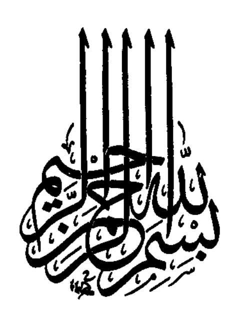

الميزان
في مقارنة الأديان
حقائق ووثائق


بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف
المستشار محمد عزت الطهطاوي

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣



مقـدّمة

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد، فلا شريك معه في الألوهية، ولا مثيل له في الربوبية، المعبود الذي ليس فوقه أحد، الكامل في جميع صفاته وأفعاله، يحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء، لا معقِّب لأمره ولا راد لقضائه، ومشيئته ولا نقض لحكمه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وهدىً للناس أجمعين، الداعي إلى الحق، المبعوث لسائر الخلق، وبعد:

فهذه بحوث ومقالات حررتها في مناسبات مختلفة، ونشرت في كبريات المجلات الإسلامية في مصر والبلاد العربية، وهي مجلة الأزهر، ومجلة منار الإسلام، ومجلة الوعي الإسلامي، مع أبحاث أخرى رأيت أن أجمعها في هذا الكتاب، وهي تدور جميعها حول الإسلام ومفاهيمه، وبيان جوهر عقيدته، وسامي أهدافه وتعالميه. وفي سبيل توضيح هذه الغاية واستجلاء هذه المهمة، كان لا بد من الكشف عما يشتمل عليه غيره من العقائد خصوصاً الكتابية منها، وهي اليهودية والنصرانية، تلك التي ناصبت الإسلام العداء منذ إشراق نوره وانبلاج عقيدته وشريعته على العالمين، ذلك أن الإسلام (وهو رسالة الله الخاتمة) كشف ما عبثت به أحبارها وكهنتها بمعالمها وأصولها، وما كتمته من علامات وشواهد عن عامة طوائفها تشير إلى بعثة خاتم الأنبياء وصفته وبلده والإقليم الذي تظهر فيه دعوته.

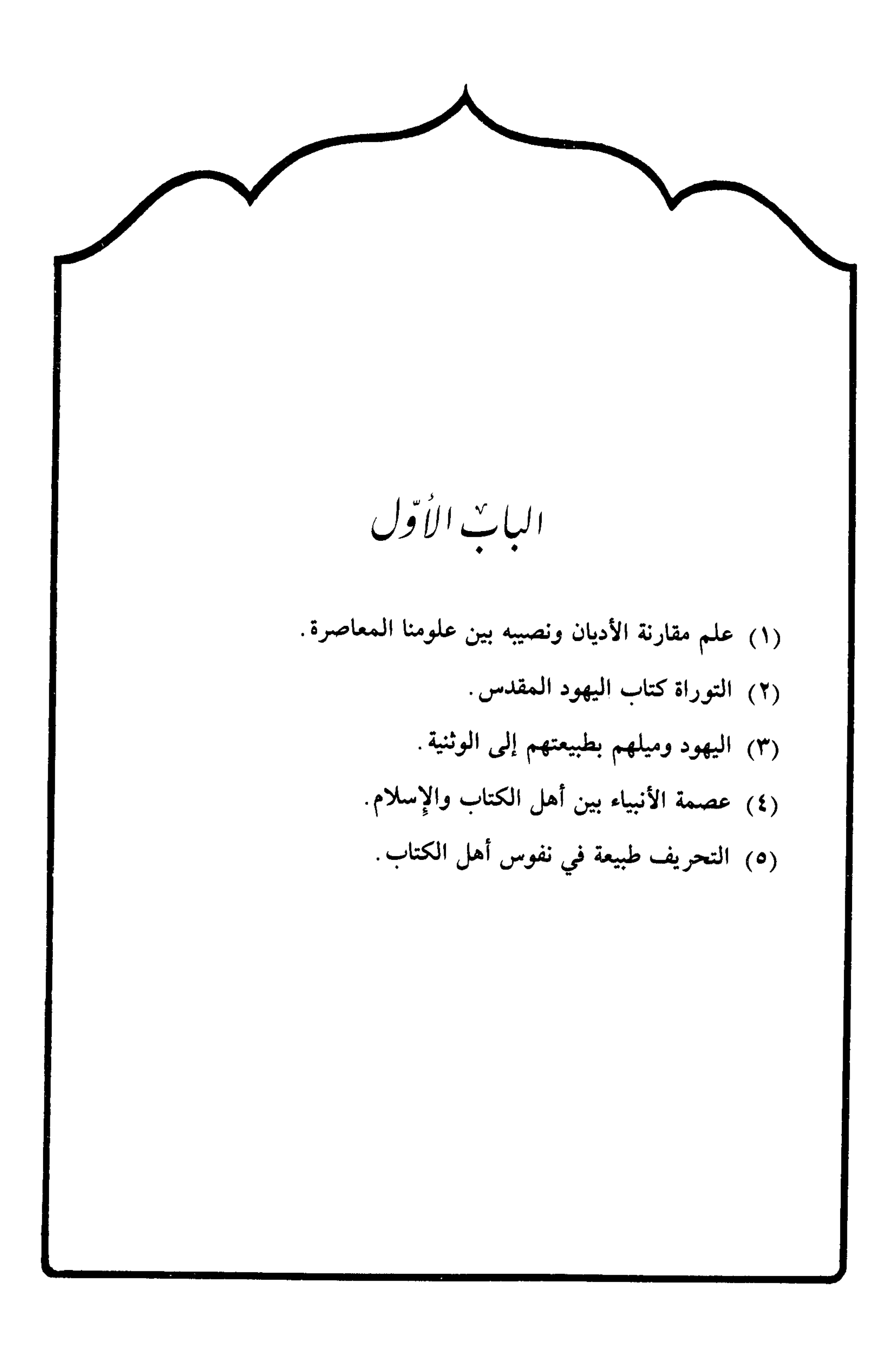
فكان ﷺ أشبه بالمصباح المنير الذي أضاء دياجير الظلام، ومحا غياهب الشرك والفساد والظلم والطغيان، وبذلك استنارت الدنيا بهذا المصباح السماوي المبارك، فجاء

مصـدقاً من الله ومؤيـداً بقوة منـه، فوضـح معالم العبـودية لـذي الجلال والإكـرام، راسماً الـطريق إلى رضـوان الله ومحبتـه، فمـلأ الـدنيـا نـوراً وخيـراً وعـدلاً في أسمى صـورهـا ومحاسنها، ورحمة شاملة في كل ناحية من نواحي الحياة، يقول جلّت كلماته:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانـه سبل السـلام، ويخرجهم من الظلمـات إلى النور بـإذنه ويهـديهم إلى صراط مستقيم﴾ [سـورة المائـدة: الآيتان ١٥، ١٦].

والله الموفق والهادي إلى أقوم سبيل.

المستشار محمّد عزت الطّهطاوي



الباب الأوّل

(١) علم مقارنة الأديان ونصيبه بين علومنا المعاصرة.

(٢) التوراة كتاب اليهود المقدس.

(٣) اليهود وميلهم بطبيعتهم إلى الوثنية.

(٤) عصمة الأنبياء بين أهل الكتاب والإسلام.

(٥) التحريف طبيعة في نفوس أهل الكتاب.

(١)

علم مقارنة الأديان

ونصيبه بين علومنا المعاصرة

من العجيب بـل من المؤسف أن التبشير النصـراني يعم كـل أرجـاء المعمـورة، ولـم يكتف بذلك، بل اقتحم من البلاد الإسلامية ما كان يُعدُّ من معاقـل الإسلام وقـلاعه، كأندونيسيا التي يحاول أن يجتذبها للمسيحية، بما تحويه من ملايين البشر، وكذلك الدول الأفريقية والتي غالبية سكانها تـدين بالـوثنية، ودخـول تلك الملايين إلى المسيحيـة، ليس خـطراً ضدنـا من الناحيـة الدينيـة فحسب، ولكنـه خـطر سيـاسي واقتصـادي أيضـاً، فـإن المسيحية التي ينشرهـا هؤلاء المبشرون ليست المسيحيـة السمحة التي جـاء بها المسيـح عيسى عليه السلام، بـل هي ما يسمى (بـالمسيحية السيـاسية) التي تـرمي **أولاً**: إلى ربط دول آسية وأفريقية بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين المسيحي. **وترمي ثـانياً**: إلى خلق جملة من الأفكار المسيحية يـدفع بهـا أولئك المبشـرون إلى أن تقف ليس أمام المسلمين فحسب، ولكن أمام الفكر الإسلامي في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية.

ولئن كان الاستعمار السيـاسي قد انتهى في تلك البـلاد، إلا أنه يحـاول أن يستعيد نفـوذه بطريق المبشـرين، ومن والاهم في اعتنـاق تلك المسيحيـة السيـاسيـة من السكـان الأصليين، والمبشرون وقد علموا أن الإسلام يناقش العقائـد عمومـاً، وقد نـاقش عقيدتهم وعـارضها في القـرآن الكريم وكشف مـا بها من بـاطل، وأن معتنقهـا من الكافـرين. قـال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

﴿قل هو الله أحـد. الله الصمد. لم يلد ولم يـولد ولم يكن لـه كفواً أحـد﴾ [سورة الإخلاص].

لذلك فإن المبشرين يحقدون على الإسلام، ويؤلفون الكتب والرسائل التي تتعرض كثيراً بالغمز على الديانة الإسلامية ويهاجمون القرآن الكريم، كما يهاجمون رسول الإسلام محمداً ﷺ.

ودراسة علم مقارنة الأديان يكشف للباحثين مدى التناقض والزيف في العقائد غير الإسلامية، ومدى ما يتجلى في القرآن الكريم من حق واضح في مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم، وما يتضمنه من منهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك. لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ [سورة يونس: الآية ٩٤].

هذه الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أنه بمقارنة الإسلام بغيره من الأديان خصوصاً الكتابية منها، فإن الباحث سيجد في الإسلام الحق الذي يميزه ويفضله على أي دين سبقه.

ونستخلص من ذلك أن علم مقارنة الأديان من العلوم الإسلامية التي يجب على علماء الإسلام عدم إغفالها في دراساتهم، ومؤلفاتهم وكتاباتهم حتى يتبين الحق للدارس وللقارىء، لما يمتاز به الإسلام من قوة الحجة وسلامة القصد أمام أعداء الإسلام، وكثير ما هم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العلم يعتبر ثغراً من ثغور الإسلام، يجب على المسلمين عامة وأولي الأمر منهم خاصة ـ سواء في الدين والدنيا ـ النهوضُ به، وجعله مادة أساسية في معاهدهم وجامعاتهم، فما اعتنق الإسلام واحد ممن يعتد به إلا بعد أن سلك هذا الطريق، ودرس ذلك العلم، ولنضرب على ذلك المثالين الآتيين أحدهما من الشرق والآخر من الغرب.

١ ـ **فالذي من الشرق فهو من دعا نفسه بعد إسلامه محمد فؤاد الهاشمي**، وقد كان واحداً من رجال الدين المسيحي، ويقول عن نفسه: إنه بعد أن أكمل دراسته اللاهوتية تحول إلى البحث في الدين الإسلامي، ولم يكن قصده من ذلك البحث في الإسلام بل استخراج العيوب، وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التي أوحى بها

إليـه أهله من النصارى وأسـاتذتـه من الكهنة، ولكن مـا كاد يـطرق الباب، ويمسـك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الإسلام وماسبقه من الأديان، وخرج من تلك المقارنـة وقد استولى عليه سحر الحقيقة الناصعة والمبادىء الوضاءة والتعاليم الصريحـة للإسـلام، لا اعوجاج فيها ولا التواء، ولا سلطان لكاهن ولا طغيان لأحبار، بل وجد لكل سؤال جواباً شافياً، ووجد فصل الخـطاب بينما لم يستـطع أي دين سابق أن يعـطي في ذلك الجـواب وجـد أن ما زعمـوه في الإسلام عيـوباً كـانت مزايـا له، ومـا ظنوه متنـاقضات كـان حِكَمـاً وأحكاماً فصّلت لأولي الألباب، وأن ما عابوه على الإسلام كان علاجاً للبشرية التي طـالما تردت في بيداء الظلمات، حتى أخرجها الإسـلام من الظلمـات إلى النور، وهـدى للناس بـإذن ربهم إلى صـراط مستقيم، صـراط الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً! غير المغضوب عليهم، ولا الضالين الذين ضلوا وأضلوا، ودخلوا بالناس أبواباً من الكفر والشرك والإلحاد[١].

٢ ـ **والمثال الثاني من الغرب وهو (فيدور إيفان جفرنور)**. فنزويلي الجنسية، من مواليد مدينة كلاكاس بأمريكا الجنوبية؛ يقول عن نفسه إنه كان مسيحياً كاثوليكياً درس في المدارس الكاثوليكية بمـدينة نيـويورك، ولكنهـا تركت انـطباعـاً سيئاً في نفسـه، ثم درس البوذية والهندوكية وبعض الديانات الوثنيـة، لكنه لم يجـد فيها راحتـه، ولما أراد الاطـلاع على الإسلام لم يسهل عليه ذلك في بادىء الأمر، لأن المؤسسات اليهودية بأمريكا، والتي كانت تتحكم في وسائل الإعلام من صحافة وسينما ومسرح وكل شيء أبعدت عن مجـالها كل ما يشيـر إلى الإسلام من قـريب أو بعيد، خصـوصاً بعـد أن تحول إلى الإسـلام قسم دراسي بأكمله، ولما اطلع على بعض ما كتبه المنصفـون عن الإسلام، وقـرأ ترجمـة أمينة لمعاني القرآن الكريم، فوجد تعبيراً دقيقـاً عن أعماق نفسـه، بصورة مـطابقة لفـطرته التي تذكرها، وهو يتدبر في معانيه، ووجد فيه تلبية لكل حاجاته الروحيـة، لذلـك فقد قـرر أن يعتنق الإسلام وتسمى باسم فارض رحمة الله[٢].

ومن العجب حالياً في بلادنا الإسلامية أنه إذا ألَّف أحد المتخصصين بحثاً أو كتاباً

---

(١) كتاب الأديان في كفة الميزان تأليف محمد فؤاد الهـاشمي، وقد كـان من رجال الكهنـوت المسيحي في مصر قبل إسلامه.

(٢) كتاب «في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين» للمؤلف.

في علم مقارنة الأديان نجد المسؤولين في وزارات الإعلام يقفون أمام نشره بمقولة الخشية من تفتيت الوحدة الوطنية، وأن منع نشر مثل هذه الأبحاث والكتب داعية من دواعي الأمن، ولكن هذه حجة واهية، وتبرير مدحوض طبقاً لما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة النور: الآية ٥٥].

وليس التمكين بغير جهد مبذول، ولا بغير دعوة مستمرة إلى الله وإلى نشر دينه الإسلام، سواء باللسان أو بالقلم، ومنه البحث والكتابة في ذلك العلم؛ علم مقارنة الأديان، فإن ذلك فوق أنه أداء واجب ديني، هو السبيل لسيادة الأمن والسلام في بلاد الإسلام.



(٢)

التـــوراة

كتاب اليهود المقدس

من المسلَّم به لدى معتنقي الأديان السماويـة أن الله سبحانـه وتعالى أنـزل على نبيه موسى بن عمران عليه السلام كتاب «التوراة»، فيه هدى ونور، يتضمن العقيدة والشـريعة، وألزم قومه اليهود اتباع ما جاء في هذا الكتاب، وكذا الالتزام بأحكامه.

قـال تعالى في القـرآن الكريم مـذكـراً بني إسـرائيـل بتلك المنـة الكبـرى والنعمـة العظمى:

﴿وإذ واعـدنا مـوسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجـل من بعـده وأنتم ظـالمـون، ثم عفـونا عنكم من بعـد ذلك لعلكم تشكـرون، وإذ آتينـا مـوسى الكتـاب والفـرقـان لعلكم تهتدون﴾ [سورة البقرة: الآيات ٥١، ٥٢، ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إنا أنـزلنا التـوراة فيها هـدىً ونور يحكم بهـا النبيون الـذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكـانوا عليـه شهداء﴾ [سـورة المائدة: الآية ٤٤].

وإلى هذا يشير العهد القديم في الكتاب المقدس في قوله:

(هذا هو الكلام الذي كلَّم به موسى جميـع إسرائيـل في عِبْر الأردن في البـرية... ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهـر كلَّم موسى بني إسـرائيل حسب كل ما أوصـاه الرب إلَهم) [الإصحـاح الأول من سفر التثنيـة، عدد ١، ٢، ٣ من العهد القديم].

كما يشير إلى ذلك هذا السفر في قوله: (وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل، هـذه هي الشهادات والفـرائض والأحكام التي كلَّم بهـا موسى بني إسـرائيل

عند خروجهم من مصر) [الإصحاح الرابع من سفر التثنية، عدد ٤٤، ٤٥].

والتوراة في مفهومها المجرد عند أهل الكتاب المعاصرين، وهم اليهود والنصارى، لا تعني إلَّا أسفار موسى الخمسة، وهي: (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية). أما باقي الأسفار وتدعى أسفار الأنبياء بعد موسى فقد ألحقت بعد ذلك بالأسفار الخمسة المشار إليها. ويذكر المؤرخون من أهل الكتاب أن موسى عليه السلام حرَّر كتاب التوراة (وهي الأسفار الخمسة المذكورة) ثلاث عشرة نسخة؛ أعطى لكل سبط من الاثْنَي عشر سبطاً من اليهود نسخة، والنسخة الباقية وضعها في تابوت العهد المقدس[١]. . .

كما خصَّص موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام ونسله من بعده من سبط (لاوي) ليكون منهم الكهنة والأحبار وجميع الرئاسات الدينية على بني إسرائيل، وما يستتبع ذلك من الحكم بشريعة التوراة، واستنباط ما تحتاج إليه الشريعة من أحكام من نصوص التوراة في القضايا والمشاكل التي تعرض عليهم[٢].

ولكن هل بقي نص التوراة على ما هو عليه نصاً واحداً؟

يقرر المؤرخون أن التوراة ظلت صحيحة في أيدي اليهود لم يغيروا منها حرفاً واحداً إلى زمن الأسر البابلي عندما حاربهم نبوخذ نصّر ملك بابل، وهزمهم وأسر كثيراً منهم، ولكن بعد ذلك حدث أن اتفق اليهود في مدينة بابل بعد سنة ٨٦ قبل الميلاد على إحداث تغيير في النص المقدس، لأنهم وهم في الأسر لما تأكدوا من إدبار الدنيا عنهم، وإقبال الخير على بني إسماعيل بعد سنوات غير طويلة، رَأَوا أن يحتفظوا بكيان مستقل لهم إلى الأبد، ومن أجل ذلك كتب لهم أحد الكهنة كتاب التوراة على المبادىء الآتية ــ خصوصاً وأن النص الأصلي أبيد خلال هزيمتهم ــ :

١ ــ إن الله تعالى إلّه واحد؛ ولكن ليس للعالمين، بل لبني إسرائيل ــ وهم اليهود كما غلب على تسميتهم ــ من دون الناس.

---

(١) كتاب نصوص التوراة السامرية باللغة العربية ــ تعريب المحقق الدكتور أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة دار الأنصار.

(٢) المرجع السابق.

٢ ـ شريعة التوراة أنزلها الله تعالى، ولكن ليست للعالمين، بل لبني إسرائيل من دون الناس.

٣ ـ إن النبي الذي تنتظره الأمم، والذي أخبر عن مجيئه النبي موسى عليه السلام سوف يأتي، ولكن ربما يكون من بني إسرائيل لا من بني إسماعيل.

ولما انتهى الكاهن المذكور من تحريراته على المبادىء السابقة عرضها عليهم، فسروا بها، وتمسكوا بنصوصها المبتدعة، العبرانيون منهم والسامريون(١).

كيف اختلفت التوراة العبرانية عن التوراة السامرية بعد ذلك؟

لما رجع بنو إسرائيل بعد سبيهم من بابل بالتوراة المستحدثة، وسكن العبرانيون في مدنهم بأرض فلسطين، وسكن السامريون في مدنهم، ظهر عداء شديد بين العبرانيين وبين السامريين، بسببه اختلفت التوراة العبرانية عن التوراة السامرية.

ورغم أن اليهود السامريين واليهود العبرانيين متفقون في:

١ ـ وحدانية الله وعظمته.

٢ ـ وأنه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

٣ ـ وأنه سوف يرسل نبياً مثل موسى عليه السلام.

٤ ـ وأنه سيجازي الناس على أعمالهم(٢).

إلَّا أنهم يختلفون في أمور أهمها:

١ ـ أسفار الأنبياء: فإن العبرانيين يعترفون بها والسامريين يرفضونها.

٢ ـ النص على يوم القيامة: فإن العبرانيين لم يصرحوا به في أسفار موسى الخمسة، وإنما صرحوا به في أسفار الأنبياء، وصرَّح به السامريون في أسفار موسى الخمسة، ومع تصريح العبرانيين به في أسفار الأنبياء اختلفوا فيما بينهم في البحث:

(أ) فقال البعض: إنه يكون يوم القيامة بالجسد والروح.

(ب) وقال آخرون: إنه بالروح دون الجسد.

---

(١) كتاب نصوص التوراة السامرية.

(٢) المرجع السابق ص ٦.

٣ ــ جبل جرزيم في فلسطين يقدسه اليهود السامريون، ويتجهون إليه في الصلاة والحج، أما العبرانيون فيقدسون جبل صهيون.

٤ ــ يزعم السامريون أن النبي الذي سيرسل آخر الزمان من آل يوسف، والعبرانيون يعتقدون أنه من نسل داوود، وقد تغيرت نظرة اليهود العبرانيين اليوم إلى السامريين، فينظرون إليهم الآن على أنهم إخوة، وإن اختلفوا معهم في بعض الآراء والمفهومات، وفي ذلك يقول اليهودي العبراني (عزرا حداد) عن السامريين:

(إن حدة الجفاء المستحكم بين السامريين واليهود العبرانيين قد خفَّت بتأثير موجة الاضطهاد التي غمرت الفريقين، فقربت المصائب بينهما، بل صاروا يمتشجون ببعض الشعائر الموسوية وحرصهم الشديد على تطبيقها).

والسامريون عندهم اعتقاد راسخ أنهم من بني إسرائيل من آل يوسف الصديق، يتبعون النصوص الحرفية لأسفار موسى الخمسة، ومنطوقها الحرفي الشديد، والحرص على حرمة السبت، لا يرى عندهم فيه نار ولا نور، يصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود العبرانيين، لكنهم يتشددون فيه، فلا يستثنون منه حتى الأطفال المرتضعين، وفي عيد الفصح يحجون إلى جبل الجرزيم فينحرون الذبائح هناك، مثل ما كان يفعل الإسرائيليون قديماً على جبل القدس، ويسمون الحجر الذي ينحرون عليه أضحيتهم بالصخرة تشبيهاً بالصخرة المقدسة المعروفة في مدينة القدس[١].

وجه الخلاف بين الكتابة السامرية والكتابة العبرانية:

الكتابة السامرية تنقصها ثلاثة أحرف على الخط العبراني، ذلك أن السامريين قد احتفظوا بالخط العبراني القديم، في حين اقتبس اليهود العبرانيون الخط الآشوري المربع بعد عودتهم من سبي بابل، ومن يقرأ كتاب التوراة سواء السامرية أو العبرانية، وكذا ترجمتها اليونانية، لا يعتقد أن موسى عليه السلام هو كاتبها، بل يجزم أن الكاتب شخص غيره. ومثال ذلك:

١ ــ ففي سفر الخروج يقول الكاتب:

---

(١) كتاب نصوص التوراة السامرية.

(وأكل بنو إسرائيل المنَّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة) [سفر الخروج: إصحاح ١٦، عدد ٣٥].

٢ ــ وفي سفر العدد يقول الكاتب:
(وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس على وجه الأرض) [سفر العدد: إصحاح ١٢، عدد ٣].

٣ ــ وفي سفر التثنية يقول الكاتب:
(فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودُفن في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) [سفر التثنية: إصحاح ٣٤، عدده ٥ ــ ٦].

إذاً مَن هو الكاتب لتوراة موسى بعد سبي بابل؟

١ ــ لا يوجد في التوراة ما يدل على اسم هذا الكاتب، لكن يشتبه في أن الكاهن (عزرا) هو ذلك الكاتب وهذا من عبارات وردت في سفر عزرا وسفر نحميا.

٢ ــ ومما يؤيد هذا النظر ما قرره الفيلسوف اليهودي العبراني سبينوزا في كتابه (رسالة اللاهوت والسياسة) من أن موسى لم يكتب هذه التوراة، ولا يمكن أن يشتبه إلاّ في أن (عزرا) كتبها في بابل أثناء سبي نبوخذ نصّر لهم، واستشهد بعبارات للحبر اليهودي إبراهيم بن عزرا[١].

واليهود السامريون يقولون: إن التوراة كتبها عزرا، وساعده بقوته زر بابل بن شالتئيل، وهؤلاء السامريون أقل عدداً نسبياً في الأفراد والأموال عن غيرهم من الفئات التي تعتمد في عقيدتها على العهد القديم[٢].

ولكن هل بقي نص التوراة العبراني على ما هو عليه نصاً واحداً؟

يقرر العلامة والطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)[٣]: أن عالم الأديان (أدموند جاكوب) في دراساته للعهد

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، تأليف اسبينوزا، ترجمة حسن حنفي، ص ٢٧٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تنشره حالياً مكتبة دار المعارف بالقاهرة.

القديم يذكر أنه حتى القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً لم يكن هناك نص واحد للتوراة، بل كان هناك على الأقل ثلاث مدوّنات للنص العبري، وهي :

١ ـ النص المحقق (الباسوري).

٢ ـ والنص الذي استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة اليونانية.

٣ ـ والنص المعروف بالساموري.

ثم بين موريس بوكاي أن كلمة (توراة) اسم سامي، أما التعبير اليوناني الذي أعطى كلمة Pentateuque الفرنسية فهي تعني مؤلفاً يتكون من خمسة أجزاء، وهي التي أشرنا إليها آنفاً وهي أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية.

وشبيه بذلك التفصيل لنسخ التوراة ما قرره حجة الإسلام أبو المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني إمام الحرمين في رسالته (شفاء الغليل)، فقد ذكر أن نسخ التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ثلاث نسخ وهي[١]:

١ ـ النسخة العبرانية وهي التي بأيدي اليهود الآن.

٢ ـ ونسخة التوراة اليونانية أو السبعينية وهي التي بأيدي النصارى الآن، ويدعون بالمسيحيين.

٣ ـ ثم التوراة السامرية.

ويذكر المؤرخون أنه لما حارب (نبوخذ نصّر) ملك بابل بني إسرائيل، وانتصر عليهم قسمهم إلى مجموعات ثلاثة، فقد استبقى في الأرض المغلوبة قسماً وأخذ معه قسماً آخر سباه في بلاده، أما القسم الثالث فقد أعمل فيه القتل والذبح[٢].

ولم يسلم كتاب التوراة من تلك المحنة، فقد قيل إنه أبيد، وانتهى أمره بمعرفة الغزاة البابليين في ذلك الزمان، ولما أقام (قورش) ملك الفرس دولته حارب البابليين، وهزمهم وقضىٰ علىٰ دولتهم، ثم رد أسرى بني إسرائيل إلى بلادهم وعندئذٍ قام هؤلاء العائدون (كما قدمنا) بتكليف واحد منهم يدعى (عزرا) بتنظيم شؤونهم، وإعادة كتابة

---

(١) كتاب شفاء الغليل لأبي المعالي عبد الله بن يوسف الجويني.

(٢) كتاب على التوراة تأليف الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي الشافعي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا صفحة ١٠.

توراتهم من جديد، فحررها وكان ذلك قبل بعثة المسيح عليه السلام بنحو من (٥٤٥) سنة لكنها لم تلقَ قبولاً كافياً من الإسرائيليين السامريين.

التـوراة اليونانيـة:

هي ترجمة للتوراة العبرانية، ولقد قام بها سبعون كاهناً من أحبار اليهـود، وذلك في مدينة الإسكندرية في عهد الملك بطليموس فيلادلف خلال الفترة من ٢٨٥ إلى ٢٤٧ قبل الميلاد، واقتصرت تلك الترجمة على أسفار موسى الخمسة، وبها فروق في ألفاظ ومعانٍ كثيرة بينها وبين التـوراة العبرانيـة، وكذا التـوراة السامـرية، ثم تـرجم المترجمـون أسفار الأنبياء الموجودة بالتوراة العبرانيـة، وعددهـا ٣٤ سفراً إلى اللغـة اليونـانية، وضمـوها إلى ترجمة الأسفار الخمسة الأولى، وقد عرف تلك الترجمة بالترجمة السبعينية.

ويبدو أن المترجمين للتـوراة تعمدوا إحـداث تغيير في بعض نصـوصها المتـرجمة، لتصير تلك الترجمة غير معتبرة التقديس حتىٰ يرجع الناس هناك إلى الأصـل، وهي التوراة العبرانية، إلا أنه لما اعتنق حكام الدولـة الرومـانية ملة النصـرانية اعتـرفوا بسـلامة التـوراة اليـونانيـة، وفضلوهـا على غيـرهـا، ولـذلـك فهي معتبـرة التقـديس عنـد جميـع طـوائف النصرانية، سواء كانوا من الكاثوليك أو من الأرثوذوكس.

وبقي الحال على ذلك حتى ظهور مذهب البروتستنت بزعامة (مارتن لوثر) وانشقاقـه هو وأتباعه على الكنيسة الكـاثوليكيـة، فرفضـوا التوراة اليـونانيـة، واعتبروهـا غير مقـدسة لديهم، ورجعوا إلى نصوص التوراة العبرانية، التي حررها عزرا، واعتبروهـا هي الواجبـة التقديس، وما يزالون يقدسونها إلى يومنا هذا.

القرآن الكريم ينعىٰ على اليهود التغيير والتبديل في التوراة:

يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿فويل للذين يكتبـون الكتاب بـأيديهم ثم يقـولون هـذا من عند الله ليشتـروا به ثمنـاً قليـلاً، فـويـلٌ لهم ممـا كتبت أيـديهم وويـل لهم ممـا يكسبون﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٩].

ويقول جلَّت كلماته:

﴿ولقـد أخذ اللَّهُ ميثـاقَ بني إسرائيـل وبعثنـا منهم اثني عشـرَ نقيبـاً، وقـالَ اللَّهُ إنّي معكم لئن أَقمْتُم الصلاةَ وآتيتُم الزكاة وآمنتُم برُسلي وعَزَّرْتُموهم وأقرضْتُمُ اللَّهَ قرضاً حسناً لأُكفِّـرَنَّ عنكم سيئاتكم ولأُدْخِلنَّكم جنـات تجري من تحتهـا الأنهار، فمن كفـر بعد ذلـك

منكم فقد ضلَّ سواء السبيل. فبِمَا نقْضِهم ميثاقَهم لعنَّاهم وجعلنا قُلوبهم قاسيةً يُحَرِّفون الكلم عن مواضِعِه ونَسوا حظّاً مما ذكروا به، ولا تزال تَطَّلعُ على خائنةٍ منهم إلَّا قليلاً منهم فاعفُ عنهم واصفَحْ، إنَّ الله يحبُّ المحسنين﴾ [سورة المائدة: الآيتان ١٢، ١٣].

ففي الآية الأولى يتوعد الله سبحانه وتعالى بالهلاك هؤلاء الذين يحررون التوراة بالتحريف في كتابتها كما يدسّون فيها أكاذيبهم، موهمين الناس أنها من عند الله، ليحملوهم على اعتقادها، يبتغون بهذا الفعل ثمناً قليلاً، هو الاحتفاظ بالرياسة، وأكل أموال الناس بالباطل، وهم بهذا يرتكبون أكبر جريمة، وهي افتراء الكذب على الله، ويختارون الباطل، وينبذون الحق فيكونون بذلك كمن يبيع شيئاً نفيساً ذا قيمة بثمن تافه.

وفي الآية الثانية: أخذ الله العهد على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من فرائض وأحكام، وأمر سبحانه أن يختار موسى عليه السلام منهم اثني عشر رئيساً دينياً، يتولون أمور الأسباط، ويقومون على رعايتهم، وقال الله:

إني معكم بالنصر والتأييد على أعدائكم، إذا قمتم بأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وآمنتُم بجميع رسلي، ونصرتموهم وجاهدتم الأعداء معهم، وأنفقتم المال في سبيل الله عن طيب نفس، فيغفر ذنوبكم ويدخلكم في الآخرة الجنة، تتمتعون بما فيها من نعيم خالد، أما من كفر بهذا الوعد، فقد حاد عن صراط الله السوي، ولكن بني إسرائيل لم يوفوا بعهدهم، ونقضوا الميثاق الإلّهي، فعاقبهم الله بطردهم من رحمته، وأورث قلوبهم الغلظة والقسوة، فهي لا تلين ولا تنفذ إليها الموعظة، ولا تؤثر فيها الحجة، لذلك فهم يغيرون كلام الله في التوراة بالمحو والإثبات والزيادة والنقصان وسوء التأويل، بل أعرضوا عن بعض ما أمروا به في التوراة، من اتباع النبي الأمي وهو رسول الله محمد ﷺ والإيمان به.

ثم إن الغدر والخيانة عادة مستمرة في هؤلاء اليهود، ومتنقلة فيهم من الأصول إلىٰ الفروع فلا تزال ـ أيها الرسول ـ تطّلع من هؤلاء اليهود المعاصرين على خيانة إثر خيانة، فهم قوم لا عهد لهم ولا وفاء عندهم.

لقد دمغتهم الكتب السماوية بالغدر والخيانة والقسوة، ونعت عليهم كثيراً من الصفات الذميمة:

(أ) فهذا نبيهم إرميا يرميهم بالكذب والسرقة والزنى والشرك، وأنهم حوّلوا

بيت الله إلى مغارة لصوص [سفر أرميا: إصحاح ٧، عدد ٨ ـ ١١] .

(ب) كما رماهم المسيح عليه السلام بأنهم مثل القبور المبيضة من الخارج، المليئة بالجيف من الداخل، ووصفهم بأنهم الحيات ـ أولاد الأفاعي ـ وأنهم قتلوا الأنبياء والحكماء، وجعلوا بيت الله مغارة لصوص [إنجيل متى: إصحاح ٢٣، عدد ١٣، ١٤، ١٧، ٢٣ ـ ٣٥].

هل شهد للإسلام أحد من اليهود حديثاً:

نعم شهد للإسلام من اليهود العبرانيين، شموئيل بن يهوذا بن أيوب، كان يقيم في مدينة فاس بأقصى المغرب، اشتغل بعلوم التوراة، ثم اطلع على سائر العلوم المتعارفة في وقته، وقد توفي سنة ٥٧٠هـ بعد أن حرر رسالة وافية عن الإسلام، سمّاها (بذل المجهود في إفحام اليهود). والمطلع عليها يتبين له اعتناقه للإسلام وإقراره بنبوة الرسول محمد ﷺ[١].

ومن اليهود السامريين الذين اعترفوا بالإسلام، ولم يسلموا (أبو الفتح ابن أبي الحسن السامري الدنقي) مؤلف كتاب (التاريخ مما تقدم عن الآباء)، فقد كتب عن النبي محمد ﷺ ومنها قوله: (ومحمد ما أساء إلى أحد من أصحاب الشرائع...).

وقوله: (وجاء في نقل السلف عن محمد...)[٢].

وفي مصر أسلم من اليهود المصريين الأستاذ زكي عريني المحامي، ويبدو أنه كان من اليهود العبرانيين وقصة إسلامه مشهورة، نشرتها جريدة الأهرام القاهرية سنة ١٩٥٩، وفيها يقول عن نفسه قبل إسلامه: (لماذا اقتصرت عبادتي لله على صورة واحدة؟ ولماذا لا أعبده على دين الحنيفية؛ على الدين الإسلامي؟ وخاصة أن الإسلام وجدان بالقلب وعقيدة بالفعل).

ثم يتكلم عن الشريعة الإسلامية فيقول: (نشأت ونهضت بعد رسول الله ﷺ مباشرة إذ ما جاوز العصر الإسلامي الأول حتى وضع أصولها، وقواعدها الأئمة الأربعة بحيث

---

(١) كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود، تأليف الحبر شموئيل بن يهوذا، تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي.

(٢) كتاب التوراة السامرية، المرجع السابق ص ١٩.

انتهى كل منهم في دراسته للشريعة بقانون متكامل وشريعة وصلت حد الكمال).

وعن الإسلام يقول:

(تسائلت ما هو مبدأ هذا الدين الأصيل؟ ثم يجيب نفسه: وجدته حقيقة أزلية عرفها إبراهيم عليه السلام، وكذلك عرفها جميع الأنبياء قبله وبعده، ولم تستوقفني تلك الحقيقة بالرغم من أزليتها، ولكن الذي استوقفني فعلاً حقيقة أخرى خالدة وهي الرسالة المحمدية، حقيقة محمد نفسه، هذا الرجل الذي أرسله ربه في صحراء قاحلة جرداء جدباء، حيث لا ثقافة لأهلها ولا معرفة، اللهم إلاَّ القليل من الثقافة ومن المعرفة، هذا الرجل من جاء إليه بالقرآن؟ . . . أيقنت حينئذٍ أن القرآن لا بدَّ أن يكون من وراء الحجب وأن يكون من عند الله)[1].

ومَن أصدق من الله قيلاً، ومَن أصدق من الله شهادة، يقول جلَّت كلماته:

﴿لكنِ الله يشهد بما أنزل إليك، أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٦].



(١) كتاب نظرات على طريق الإسلام، في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، تأليف المستشار محمد عزت الطهطاوي.

(٣)

اليهـود
وميلهم الفطري إلى الوثنية

كان الإسرائيليون أو اليهود ـ كما غلب على تسميتهم ـ في ابتداء أمرهم أمة توحيد تدين بعقيدة الإلّه الواحد، وقد جاء في التوراة ما يشير إلى ذلك عند إبلاغ موسى عليه السلام قومه من اليهود وهو في الجبل بالوصايا التي يجب أن يسيروا عليها في حياتهم ليكونوا مؤمنين، وأهم هذه الوصايا الاعتقاد بالله الواحد، مثال ذلك القول المنسوب إلى الله في سفر الخروج:

(أنا الرب إلّهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلّهك إلّه غيور).

[انظر سفر الخروج: الإصحاح ٢٠، من عدد ٢ إلى عدد ٥ من العهد القديم في الكتاب المقدس].

إلّا أنه مع مرور الزمن اضمحلت عقيدة اليهود في التوحيد، ومالوا بطبعهم إلى الوثنية، فاستبدلوا بجلال الوحدانية وسمو تكريمها لله الواحد الأحد الخالق القديم، عبادة الحجر الذي لا يسمع ولا يبصر، وعبادة البشر الذي لا يغني لهم شيئاً، فخرجوا بذلك على التعاليم الإلّهية، حتى سمّوا في أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس بالبيت المتمرد.

فقد ورد عنهم في سفر حزقيال قوله:

(قد جعلت جبهتك كالماس، أصلب من الصوان، فلا تخفهم، ولا ترتعب من وجوههم، لأنهم بيت متمرد).

[سفر حزقيال: إصحاح ٣، عدد ٩].

وهذه الروح الوثنية التي كانت متسلطة على اليهود، جعلتهم لا يرعون لنبي الله موسى، ولا لأخيه هارون عليهما السلام حرمة، إذ انحرفوا إلى عبادة الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين، من دون أيّ حياء، وقد ورد ما يشير إلى ذلك في سفر الخروج في الإصحاح ٣٢ من عدد ٧ إلى ٩، القول المنسوب إلى الله لموسى عليه السلام خلال صعوده الجبل لمناجاته:

(فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة).

وعبادة اليهود للعجل المسبوك على شكل الحيوانات تمثل ديانة التوتمية في تقديس الحيوانات.

ولما توفي موسى وهارون عليهما السلام تمادى اليهود في عصيان أوامر الله، والانسياق إلى عبادة الأصنام فجلبوها من الأمم المحيطة بهم، وأقاموها في أنحاء شتى بمدنهم في المرتفعات وعلى الطرق، بل أقاموا لبعضها سدنة وكهنة، يقدمون لها النذور ويحرقون لها البخور، ولم يستمعوا لنصح أنبيائهم لهم، حتى لقد هددهم الله بالقتل في قوله لهم: (وأضع جثث بني إسرائيل قدّام أصنامهم وأذري عظامكم حول مذابحكم) [انظر سفر حزقيال: في الإصحاح ٦، عدد ٥].

شغف اليهود بعبادة العجل:

ـ ثم إن شغفهم بالعجل وتقديسهم له أدّى بهم إلى أنه كان لا يخلو عند اليهود معبد ملكي من وجوده فيه، أو وجود صورته فيه، وقد أشار إلى ذلك سفر الملوك الأول في الإصحاح الثاني عشر، عدد ٢٥ ـ ٣١، في قوله:

(وبني بريعام شكيم في جبل أفرايم وسكن بها... فاستشار الملك وعمل عجلَي ذهب، وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم، هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان، وكان هذا الأمر خطية، وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان).

ـ ومعبد أورشليم كان حتى عصر الملك حزقيا ملك يهوذا (القرن الثامن ق. م) يشتمل على حية معدنية تعرف باسم (نحشتان) وهي تمثل الإلّه وترمز إليه وكان خادم المعبد يبخرها، ويزعمون أنها ترجع إلى عهد موسى عليه السلام، فقد ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني، عدد ١ ـ ٤، قوله:

(وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا. . . وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود أبوه، هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا تلك الأيام يوقدون لها ودعوها: نحشتان).

ـ كما كانوا يقدسون صوراً ترمز إلى الإلّه وتعرف باسم (ترافيم) يزعمون أن بيت النبي داود عليه السلام كان عامراً بها. فقد ورد في سفر صموئيل الأول: الإصحاح ١٩، عدد ٩ ـ ١٣، قوله:

(وكان الروح الردي من قبل الرب على شاول وهو جالس في بيته ورمحه بيده، وكان داود يضرب باليد فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح. . . فهرب داود ونجا تلك الليلة. . . فأخذت ميكال الترافيم ووضعته في الفراش، ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب).

ـ بل إنهم عبدوا النار، وبنوا المرتفعات التي في وادي ابن هتوم، ليجيزوا أبناءهم وبناتهم في النار (لمولك) الذي كان وثناً من أوثان الفينيقيين، وإلى هذا أشار سفر أرميا في الإصحاح ٣٢، عدد ٣٤، ٣٥، فيقول:

(بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي، لينجسوه، وبنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هتوم، ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار لمولك، الأمر الذي لم أوصهم به، ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس، ليجعلوا يهوذا يخطىء).

فكانوا يضعون الأطفال فوق ذراعي الصنم مولك الممدودتين فتهبطان بهم بعد إيقاد النيران تحته، وبذلك قتل اليهود كثيراً من أطفالهم بهذه العبادة الحقيرة.

وهم بذلك تشبَّهوا بالمجوسية في تقديسهم للنار.

ثم نقل اليهود عبادة الأصنام إلى البيت المقدس في أورشليم (مدينة القدس)،

فملأوا بها مقاصير العبادة، وحجراتها، وإلى هذا يشير سفر حزقيال في الإصحاح ٨، عدد ١٠، ١١ فيقول:

(فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط، على دائرة، وواقف قدّامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل... وكل واحد مجمرته في يده وعطر عنان البخور صاعد).

ثم تطرق الحال ببعضهم إلى أن عبدوا الشمس وسجدوا لها، وقد نص على ذلك سفر حزقيال في الإصحاح ٨، عدد ١٦، فيقول عن أحد أماكن الصلاة:

(عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق).

وهذه العبادة تمثل عقيدة الصابئة في عبادتهم للكواكب والنجوم، ثم عبدوا البعليم والبعل وعشتاروت، وإلى هذا يشير سفر القضاة في الإصحاح الثاني، عدد ١١، ١٢، ١٣، فيقول:

(وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إلّه آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت).

ولم يكتفوا بذلك بل إنهم عبدوا (كوشان رشعتايم) ملك آرام وإلى هذا يشير سفر القضاة في الإصحاح الثالث، عدد ٨، فيقول:

(فحَمِي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين).

كما عبدوا عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة فيقول عنهم سفر القضاة في اصحاح الثالث المشار إليه، عدد ١٤:

(فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة).

وأخيراً انتهى الأمر بفريق من اليهود إلى عبادة بعض البشر فعبدوا كاتب الشريعة (عزرا) الذي قيل عنه إنه كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب بعد رجوعه من الأسر في بابل، قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وقالت اليهود: عُزيزٌ ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٠].

وعبادتهم لعزرا كانت بناء على نظرية الحلول، ونظرية الاتحاد الفاسدتين، فقد اعتقدوا أن الله حلّ أو اتحد في عزرا، هاتان النظريتان اللتان يستند إليهما النصارى أيضاً في عبادتهم للمسيح عليه السلام، فهم يعتقدون أن الله حلّ أو اتحد فيه مستندين إلى ما ورد في إنجيل لوقا مثلاً بالإصحاح الأول، عدد ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥:

(فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع... فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلًا، فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليك).

مع أنه ورد في الأسفار اليهودية أن روح الرب حلّت على بعض الأنبياء الآخرين، ولم يعتقدوا رغم ذلك أن الله حلّ فيهم، مثال ذلك ما ورد في سفر حزقيال بالإصحاح ١١، عدد ٥، قوله على لسان ذلك النبي (وحل عليَّ روح الرب) ولم يقل أحد من اليهود أو النصارى أن الله حل أو اتحد في حزقيال.

ما هو سبب انحرافهم؟

يبدو أن السبب في انحراف اليهود والنصارى إلى عقيدة الاتحاد والحلول، هو ما تطرق إلى مفاهيمهم بناء على ما اندس في كتبهم بأن الله روح، وأنها التي تقوم بها الحياة، مع أن روح القدس أو روح الرب لا يعدو أن يكون الملاك المرسل بالوحي، أو بالبشارة، وإضافة الروح إلى الله هي إضافة تشريف، فيقال عنه: روح الرب أو روح الله، والإضافة كإضافة البيت والكتاب إلى الله فيقال: (بيت الله وكتاب الله)، وقد يرد روح الله أو روح الرب في أسفار أهل الكتاب بمعنى الفكر المستقيم، فقد ورد بسفر أشعيا: إصحاح ١١، عدد ١ وما بعده، في قوله:

(ويخرج قضيب من جزع يسّى ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب).

أما في عقيدة الإسلام فإن الله حيّ بذاته فحياته صفة من صفات ذاته، زائدة على

بقائه وهي صفة كمال، لأن الموت صفة نقص والله سبحانه وتعالى منزَّه عن جميع النقائص وواجب له الكمال.

قال تعالى:

﴿الله لا إلّه إلّا هو الحي القيوم﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

وقال سبحانه:

﴿هو الحيّ لا إلّه إلّا هو﴾ [سورة غافر: الآية ٦٥].

القرآن الكريم يذكر عن اليهود شيئاً من طبيعتهم المتمردة:

لقد أخذ الله على ذلك الشعب اليهودي الميثاق على أن تكون عبادتهم لله وحده خالصة، وكلفهم بأعمال الخير مثل بر الوالدين والإحسان إليهما وللأقارب واليتامى والمساكين والكلام الطيب مع الناس، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومع ذلك فقد تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً مع أنهم يعرفونه ويذكرونه.

قال تعالى:

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلّا الله، وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حُسناً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ثم توليتم إلّا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٣].

٢ ــ وقال سبحانه:

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلّهك وإلّه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلّهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ [سورة البقرة: الآية ١٣٣].

فهذا يعقوب جدّ اليهود، ويسمى إسرائيل وإليه ينتسبون، لما حضرته الوفاة، جمع بنيه الأسباط، وسألهم عن الإلّه الذي سيعبدونه من بعده، فأجابوه بأنهم على عهدهم حتى بعد وفاته في القيام بعبادة الله وحده، كما كان يعبده جدهم إبراهيم وجدهم إسحاق وعم أبيهم إسماعيل عليهم السلام، (وقد ذكر إسماعيل ضمن الآباء من باب التغليب، لأن إسماعيل هو عم ليعقوب)، كما قرروا أمام أبيهم أنهم مطيعون خاضعون لله تعالى وحده بإسلامهم لله، إذ الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم.

٣ ـ بعد أن خرج اليهود من مصر بصحبة نبي الله موسى عليه السلام حاول فرعون مصر وقتئذٍ اللحاق بهم، وورد البحر هو وجنوده على أثرهم، بعد أن فَرَقه موسى لقومه، وجاوزوه جميعاً إلاَّ أن البحر أطبق على فرعون وجنوده أمام أعين اليهود، مما كان يقتضي منهم التمسك بطاعة الله والحفاظ على عقيدة التوحيد، إلاَّ أن الشخصية اليهودية انقلبت إلى شخصية غادرة تنزع بطبعها إلى الشر والابتعاد عن مواطن الخير، لذلك فما أن اطمأنوا بنجاتهم من عدوهم فرعون، حتى طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم (إلّهاً مجسماً) ليعبدوه كتلك الأصنام التي تعبدها الأقوام التي صادفوهم بعد عبورهم البحر، ففزع موسى من جاهليتهم التي عادت إليهم بعد إكرام الله لهم، ولم يملك موسى إلاَّ أن حذرهم من ذلك التفكير السيء، والوهم الباطل الذي راودهم، وإلى هذا يشير قوله تعالى:

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارقَ الأرض ومغاربَها التي باركنا فيها، وتَمَّتْ كلمةُ ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا، ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه، وما كانوا يعْرِشون. وجاوزنا ببني إسرائيل البحرَ فأتَوا على قوم يعكفون على أصنامٍ لهم، قالوا: يا موسى اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء مُتَبَّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال: أغير الله أَبْغيكم إلّهاً وهو فضلكم على العالمين﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠].

وهذا التفضيل كان من الله لهم في زمانهم، وقبل أن تشرق على العالم دعوة الإسلام، ورسالة سيدنا محمد ﷺ ختام رسالات السماء، والتي بفضلها أصبحت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس. قال تعالى عن أمة الإسلام:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس: تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠].

٤ ـ ثم ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ليتلقى كتاباً فيه بيان ما يُصلح قومه بعد أربعين ليلة من الصيام، وقد استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام، وهناك تلقى موسى من ربه الألواح فيها مواعظ وتفصيلٌ لكل شيء من أصول الحياة المستقيمة، ولما رجع رأى من قومه ما أسف له وأثار غضبه، فقد رأى قومه قد اتخذوا لهم عجلاً من حُلي أتقنوا صنعه، وعكفوا على عبادته وبذلك كشف اليهود عن شخصيتهم المريضة، تلك الشخصية التي تنسلخ سريعاً عن الحق، انقياداً لما جبلوا عليه من طبع كله الشر،

فوبخهم موسى عما ارتكبوه من جرم كبير في حق الله، وبلغ به الغضب حداً إذ ألقى الألواح من يده، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وكأنه استشعر تقصيراً من جانب أخيه، إلاّ أن هارون عليه السلام بيَّن له أن اليهود استضعفوه، وكادوا يقتلونه، ورجاه ألاّ يفعل به ما يشمتهم فيه، فلم يتمالك موسى عليه السلام إلاّ أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر له، ولأخيه، ويدخلهما في رحمته بعد أن ظهرت له براءة أخيه، قال تعالى:

﴿وواعدنا موسى ثلاثينَ ليلةً وأتممناها بعشر فتمَّ ميقاتُ ربه أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي، وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين، ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه، قال: رب أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً، وخر موسى صعقاً، فلما أفاق قال: سبحانك تُبْتُ إليك وأنا أول المؤمنين، قال: يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين. وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، سأريكم دار الفاسقين. سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم، هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون؟. واتخذ قوم موسى من بعده من حُليِّهم عِجلاً جسداً له خُوار، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، اتخذوه وكانوا ظالمين، ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمْنا ربنا ويغفرْ لنا لنكونَنَّ من الخاسرين. ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسِفاً قال: بئسما خلَفتُموني من بعدي أعَجِلتم أمر ربكم، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قال ابنَ أُمّ إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني، فلا تُشمِت بِيَ الأعداء، ولا تجعلني مع القوم الظالمين، قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، وكذلك نجزي المفترين، والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [سورة الأعراف: الآيات من ١٤٢ إلى ١٥٣].

٥ ــ وكيف تستقيم الطبيعة اليهودية أو تثبت على الحق؟ لقد انتهى بها الأمر بأن قضى العدل الإلّهي على تلك الشخصية المتمردة، أن تطرد من رحمة الله إلى يوم

القيامة، بسبب ما اختاره اليهود لأنفسهم بسوء نيتهم وأعمالهم، ولعل حكمة الله الحكيم الخبير والعليم بطبائع النفوس، اقتضت تقطيعهم تخفيفاً لشرهم على العالمين، فوزعهم الله هنا وهناك، ليداولهم الناس بالإذلال والتنكيل وإلحاق سوء العذاب بهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى:

﴿وقطعناهم في الأرض أُمَماً منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسناتِ والسيئاتِ لعلهم يرجعون﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٦٨].

٦ ــ وحتى في وقتنا الحاضر لم تتغير طبيعة الشخصية اليهودية عما كانت عليه في تطاولها على قدسية الألوهية، ومقام رب العالمين فهذه جولدا مائير التي كانت رئيسة لوزراء إسرائيل إبّان حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد استغاثت بأمريكا وقتئذٍ تقول: (إن أمريكا هي إلّه إسرائيل الوحيد) ذلك أن أمريكا أقامت بينها وبين دولة إسرائيل جسراً جوياً خلال حرب أكتوبر، نقلت إليها بواسطته أحدث السلاح والعتاد، ولولا ذلك لذاقت إسرائيل هزيمة منكرة.

وتقول تلك السيدة في كتابها (حياتي):

(إنه ليس صحيحاً أن الله هو الذي اختار اليهود، ولكن اليهود هم الذين اختاروا الله، فلقد كان الناس يعبدون الأصنام، ولكن اليهود عبدوا الإلّه الواحد، فهم الذين اختاروا الإلّه الواحد، وهم الذين اختاروا التوحيد، ولذلك فليس الله هو الذي يستحق الشكر لأنه اختار اليهود، ولكن اليهود هم الذين يستحقون الشكر من الله، لأنهم هم الذين فضلوه على بقية الحيوانات والأوثان).

٧ ــ وما ذكرته جولدا مائير عن الله سبحانه ليس بمستغرب منها، فهي من شعب اليهود الذي انحرف بطبعه عن جادة الحق منذ فجر تاريخه حتى لتجد في (التلمود) وهو كتاب اليهود الثاني بعد التوراة، نجد اليهود (يعاتبون الله ويلعنونه ويشتمونه بأن السنَّ تقدمت به، وأنه لم يعد قادراً على الرؤية والسمع وحسن التقدير، وأنه منذ تخلّى عنه اليهود اختلت في يده موازين كل شيء، وكثيراً ما بكى الله بين أيديهم، وطلب منهم المغفرة وقليلاً ما غفروا له). تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً! وقد ذكر القرآن الكريم شيئاً مما قالوه عن الله بما لا يليق فمرة يقولون:

﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨١].

ومرة يتطاولون عليه بقولهم إنه بخيل:

﴿وقالت اليهودُ: يـد الله مغلولة. غُلَّت أيـديهم ولُعنوا بمـا قالـوا﴾ [سورة المـائدة: الآية ٦٤].

قضاء العدل الإلَهي في اليهود:

لذلك قضى العدل الإلَهي ولا راد لقضائه بطرد هذه الفئة الضالة من رحمة الله، وأن يبعث عليهم إلى يـوم القيامـة من ينكل بهم، ويسـومهم ألوانـاً من العذاب، مهمـا حـاول أعوانهم من الكافرين أمثالهم مد يد المساعدة، والمعاونة لهم فإن حبلها مقـطوع يومـاً ما، طبقاً لوعيد الله، وتاريخ اليهود حافل بأحداث العذاب الدنيوي الذي تصبه البشريـة عليهم صباً منذ بداية وجودهم حتى يومنا هذا، قال تعالى:

﴿وإذ تأذن ربك ليبعثنَّ عليهم إلى يوم القيامـة من يسومهم سـوء العذاب. إن ربـك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٦٧].



(٤)
عصمة الأنبياء
ما بين أهل الكتاب والإسلام

يعتقد أهل الكتاب عامة من اليهود والنصارى أنه يجوز على أنبياء الله ورسله معصية[1] الله في جميع الكبائر، والصغائر من الذنوب، فيما عدا الكذب في التبليغ فقط، لذلك فهم في نظرهم غير معصومين من الخطأ والخطيئة، وبتعبير أهل الكتاب يقولون: (إن الروح القدس يعصمهم فيما ينطق به على أفواههم، فتكون نبوءاتهم وأقوالهم معصومة من الخطأ، وذلك بفعل الروح القدس الذي يهيمن عليهم، فلا يخطئون فيما يقولون ولا يخطئون فيما يكتبون)، وفيما عدا ما هو موحى به إليهم، فإن الأنبياء والمرسلين غير معصومين من الخطأ والخطيئة، ويسوقون في ذلك نصوصاً من الكتاب المقدس مثالها كالآتي:

١ ــ (لأنه ليس إنسان لا يخطىء) [سفر الملوك: إصحاح ٨، عدد ٤٦].

٢ ــ (من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرًّر، هوذا قديسوه لا يأتمنهم، والسموات غير طاهرة بعينيه، فبالحري مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء) [سفر أيوب: إصحاح ١٥، عدد ١٤ ــ ١٦].

٣ ــ وجاء في سفر المزامير: (فسدوا ورجسوا بأعمالهم، وليس من يصنع الصلاح، اطّلع الرب من السماء على بني البشر لينظر هل من فاهم ملتمس لله، قد زاغوا جميعهم وتدنسوا وليس من يصنع الصلاح ولا واحد).

---

(١) نشر بمجلة «منار الإسلام» بالعدد الثاني عشر، السنة السادسة، ذو الحجة سنة ١٤٠١ هـ اكتوبر سنة ١٩٨١ م، واستكمل نشره بالعدد الأول السنة السابعة محرم سنة ١٤٠٢ هـ نوفمبر سنة ١٩٨١ م.

وقوله: (إن كنت للآثام راصداً يا رب يا سيد فمن يقف).

وقوله: (ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر أمامك حي).

٤ ــ كما ورد في سفر الأمثال: إصحاح ٢٠، عدد ٩، قولـه: (من يقول إني زكيت قلبـي، تطهرت من خطيئتي).

وتطبيقاً لما تقدم من مفاهيم أهل الكتاب عن عصمة الأنبياء، والمرسلين من الخـطأ والخطيئة، فيما عدا الكذب في التبليغ نجد الآتي:

أولاً: اليهود: وصموا الأنبياء والمرسلين جميعـاً بوصمـة الخطأ والخـطيئة، ونسـوق النماذج الآتية على سبيل المثال لا الحصر.

١ ــ آدم أبو البشر وهو أول الأنبياء عليهم السلام:

ذكروا أنه أخـطأ، وعصى ربه، وورّث الجنس البشـري كله خطيئتـه، إذ خالف هـو زوجته أمر ربه ومولاه وسيده، لأكلهما من شجرة المعرفة، لذلك أخرجهما ربهما من جنـة عـدن، وأنـزلـه هـو وزوجتــه حـواء إلى أرض الــدنيـا. [سفــر التكـوين: إصحــاح ٣، عدد ٢٣، ٢٤].

٢ ــ نوح عليه السلام:

نسبـوا إليـه أنـه شـرب الخمــر وسكـر وتعــرى. [سفـر التكــوين: إصحـاح ٥٩، عدد ٢٠، ٢١].

٣ ــ لوط عليه السلام:

زعموا أنه أخطأ وزنى بابنتيه. [انظر سفر التكوين: إصحاح ١٩، عدد ٣٠ ــ ٣٦].

٤ ــ إبراهيم الخليل عليه السلام:

ذكروا أنه كذب على فرعون ملك مصر عند زيارته لها، وأخبر المصريين عن زوجته أنها أخته، وذلك حتى إذا أخذها فرعون أعطاه لأجلها غنماً وبقراً وحميراً وعبيداً وإماء وأتناً وإبلاً.

ويقولون: إن إبراهيم كرر نفس هذه الواقعة مع «أبيمـالك» ملك جِـرَار فكذب عليـه وقال عن زوجته: إنها أخته، فإذا أخذها أبيمالك ملك جرار حصـل إبراهيم منـه على غنم

وبقر وعبيد وإماء. [انظر سفر التكوين: إصحاح ١٢، عدد ١٠ ـ ١٧؛ وكذا نفس هذا السفر في الإصحاح ٢٠، عدد ١، ٢، ١٤].

٥ ـ **إسحاق عليه السلام:**

زعموا أنه كذب على أبيمالك وأهل جرار أيضاً فذكر لهم أن رِفْقة زوجته هي أخته. [سفر التكوين: إصحاح ٢٦، عدد ٦ ـ ٩].

٦ ـ **يعقوب عليه السلام:**

وهو إسرائيل جدّ بني إسرائيل أو اليهود كما غلب على تسميتهم.

نسبوا إليه أنه غش أباه وخدعه بمؤامرة دنيئة بينه وبين والدته رِفْقة حتى حصل على بركة أخيه من أبيه وهو على فراش الموت. [سفر التكوين: إصحاح ٢٧، عدد ١ ـ ٢٧ وما بعده].

٧ ـ **موسى عليه السلام:**

وهو النبي الرسول المخلَص، كما ورد عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿واذكر في الكتاب موسى، إنه كان مُخْلَصاً وكان رسولاً نبياً﴾ [سورة مريم: الآية ٥١].

زعموا عنه في سفر الخروج من كتاب التوراة أنه طلب من بني إسرائيل عند خروجهم من مصر ألا يمضوا فارغين، وعليهم أن يحتالوا لسلب المصريين متاعهم من الذهب والفضة، وذلك في قوله:

(فحمل الشعب عجينهم قبل أن يخبز، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم، وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين، حتى أعاروهم فسلبوا المصريين). [انظر سفر الخروج في الإصحاح ١٢، عدد ٣٤، ٣٥، ٣٦].

كما نسبوا إليه في سفر التثنية من كتاب التوراة، أنه قام بقتل الملك سيحون ملك حشبون، وكذلك بنيه، وجميع قومه، وعندما استولى على بلاده قام بإحراق الرجال والنساء والأطفال، لكنه استبقى البهائم فقط لسلبها، وذلك في قوله لبني إسرائيل:

(قوموا ارتحلوا واعبروا وادي أرمون. انظر: قد دفعت إلى يدك سيحون ملك

حشبون الأموري وأرضه. ابتدىء تملَّك وأثر عليه حرباً... فأرسلت رسلاً من برية قد يموت إلى سيحون ملك حشبون بكلام سلام قائلاً: أمرٌ في أرضك، أسلك الطريق لا أميل يميناً ولا شمالاً، طعاماً بالفضة تبعني لآكل وماء بالفضة تعطني لأشرب، أمر برجلي فقط... إلى أن أعبر الأردن إلى الأرض التي أعطانا الرب إلهنا، لكن لم يشأ سيحون ملك حشبون أن يدعنا نمر به... فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص، فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه، وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت، وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال، لم نبق شارداً، لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذناها). [انظر سفر التثنية في الإصحاح الثاني، عدد ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥].

ونكتفي بهذا القدر من الأنبياء والمرسلين ففيه الكفاية حتى لا نخرج عن موضع البحث.

* * *

ثانياً: عند النصارى أو المسيحيين، كما غلب على تسميتهم، وهم يسيرون في اعتقادهم على ما يسير عليه الإسرائيليون، فيجيزون على أنبياء الله ورسله معصية الله في جميع الذنوب، سواء كانت من الكبائر أو الصغائر، فيما عدا الوحي، وأنهم في ذواتهم غير معصومين من الخطأ والخطيئة.

لذلك فهم يؤمنون بتلك النصوص التي وردت بالعهد القديم، والتي تَصِمُ رسل الله وأنبياءَه بالمعاصي، والفسق والفجور، فتقول كهنتهم صراحة وعلى الملأ عن الكتاب المقدس:

(والذي يضم العهد القديم وهو كتاب اليهود، والعهد الجديد وهو الأناجيل الأربعة والرسائل المعتمدة لدى النصارى).

(إن ذلك الكتاب هو صوت الجالس على العرش كل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو فقرة من فقراته هو حديث نطق به الكائن الأعلى، وأنه كله قد أوحي به من الله) طبقاً لما ذكره بولس في رسالته الثانية إلى تيموثيئوس إصحاح ٣ عدد ١٦ في قوله: (فإن الكتاب كله قد أوحي به من الله).

ويعلِّق على ذلك العالم الفرنسي دكتور موريس بوكاي في مؤلفه (دراسة الكتب

المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)[١] بقوله:

(إن المسيحية التي كانت أولاً يهودية مسيحية، قد تلقت بشكل طبيعي جداً ميراث العهد القديم، الذي ارتبط به وثيقاً كتاب الأناجيل، وذلك قبل أن يجري عليها التحول الذي حدث بتأثير بولس، ولكن إذا كان تطهير الأناجيل قد تم باستبعاد الأناجيل المزورة، فإن المسؤولين لم يروا ضرورة القيام بنفس الفرز بالنسبة إلى العهد القديم، وقبلوا ما يحتويه كلية تقريباً رغم ما يحتويه من مجموع متنافر).

ويبدو أن النصارى راقت لهم تلك النصوص التي لوثت سيرة الرسل، والأنبياء السابقين، والتي تضمنها كتاب التوراة ويهدفون من ذلك إلى إبعاد المسيح عليه السلام من مجموع الأنبياء والرسل وقصر العصمة من الخطأ والخطيئة عليه وحده، حتى يجدوا ما يبرر لهم رفعه من مرتبة البشرية إلى مرتبة الألوهية.

وعندما يقرأ المرء العادي النصوص السابقة بالكتاب المقدس، والتي تصم أنبياء الله ورسله ومن اختصهم الله بوحيه بتلك الأوصاف، هل يجول في خاطره أن يكون هذا الكلام وحياً أو شبه وحي؟ إن المرء لا يسعه إلا أن يستغرق في الأسى والضيق وهو يسمع هذا الكلام الذي لا يصدر إلا من عقل مريض أو فؤاد سقيم.

ويعلق على هذا أحد علماء الإسلام في زماننا المعاصر بأبحاثه التي ضمتها كتابه (قذائف الحق)[٢]:

(إن في تلك النصوص إساءة أيّما إساءة إلى أنبياء الله ورسله لما نسبوه إليهم مما يتورع عنه الحشاشون والرعاع، وبأي وسيلة تكون هذه الإساءة من جانبهم إلى الأنبياء؟ لقد غلفوا هذه الإساءات في ثوب الوحي السماوي المعصوم حتى لا يجرؤ على تكذيبه أحد).

هل هذه سيرة رسل وأنبياء من قبل الله وأولاده أنبياء أم سيرة قطاع طريق ولصوص وفسقة وديوثين؟

---

(١) كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» تأليف دكتور موريس بوكاي، نشر دار المعارف بالقاهرة.

(٢) كتاب «قذائف الحق» تأليف الشيخ محمد الغزالي.

إن جمهرة الفلاسفة والعلماء العقلاء يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بـالجهالـة، كما يرفضون مقولـة أن يسيء الله اختياره لسفـرائه إلى خلقـه، فكيف إذاً يستقيم ذلك مـع تلك النصـوص التي تنعت الأنبياء والمـرسلين وأبناءهم بـالزنـا والسكـر والاحتيـال، وأحط صفات الانحراف.

(وإذا كـان أنبياء الله ورسله بتلك الصفـات المنحطة فلمـاذا يلام إذاً رواد السجـون وأصحاب الشرور)[1].

لا شـك أن تلك النصـوص التي تصم الأنبيـاء والمـرسلين بهـذه الصفـات الـدنيئـة لا تتفق مع مقتضيات العقل السليم، والمنطق المستقيم، فيما يجب أن يكون عليـه هؤلاء الصفـوة من الناس ممـا يقطع بـأن النصـوص المـذكـورة هي من إضـافـات البشـر الـذين لم يراعوا لله حقاً، ولا لرسله أو لأنبيائه حرمة.

ويقـول العالم الفـرنسي دكتور مـوريس بوكـاي تأييـداً لهذا النـظر في كتابـه السابق الإلماع إليه[2]:

إن أقدم نص عبري مكتوب للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد، هـذا إذا وضعنـا جانبـاً ما كشفت عنـه أسطوانـات مغارة قمـران التي ترجـع إلى ما قبـل العصـر المسيحي بقليـل، وبرديـة الوصـايا العشـر، وبعض مخطوطـات ناقصـة ترجـع إلى القرن الخامس بعد الميلاد بكنيسة القاهرة.

وإنه إن وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معـطيات العلم رسـوخاً في عصرنا فـلأن ما أضـافه الإنسـان إلى العهد القـديم كان شيئـاً ضخماً، ممـا أدى إلى تلك التحولات التي أصابت العهـد القديم الأول من نقـل إلى نقل، ومن تـرجمة إلى أخـرى، بكـل ما ينجم حتمـاً عن ذلك من تصحيحـات جاءت على أكثـر من ألفي عـام. هـذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هـذا الكتاب المقـدس قبل أن يكـون مجموعـة أسفار، كـان تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه نقل الأفكار.

---

(١) كتاب قذائف الحق.

(٢) كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» المرجع السابق الإشارة إليه.

وينقل المؤلف عن العلامة (ادموند جاكوب) أنه قال: حتى أقوال البركات واللعنات والقوانين التي يستنها الأنبياء للبشر فإن تناقل هذه الأقوال كان يتمّ إما عن طريق الأسرة، وإما عن طريق المعابد في شكل روايات لتاريخ شعب الله المختار، مما يقطع بأن مساهمات البشر في تدوين التراث الشفهي الأصلي كانت كبيرة حقاً، وقد أوردت دائرة معارف أونيفر ـ ساليس في مقال لها عن التوراة (Bible) للكاتب (ج. ب ساندروز) الأستاذ بكليات الدومنيكان بسولشوار أن العهد القديم يبدو صرحاً أدبياً للشعب اليهودي منذ أصوله، وحتى العصر المسيحي، ولقد دونت وأكملت وروجعت الأسفار التي يتكون منها فيما بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد.

كما أن تلك الكتابات صححت وأكملت بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً.

وأنه يمكن القول بأن أسفار موسى الخمسة تكونت من أقوال موروثة مختلفة جميعها بشكل يقل أو يزيد حِذقاً، كتبها محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيّروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة. انتهى نقل المؤلف.

وخلاصة ما تقدم أن الوحي اليهودي اختلط بكل هذه الكتابات المضافة من قبل فئة من البشر، نسبوا دون حياء إلى أنبياء الله ورسله أقذر أنواع المعاصي، وأحط أنواع الخطايا، مما يقطع بعدم الاطمئنان إلى تلك النصوص بوصفها وحياً أنزله الله، والحكم يرفضها جميعها، وعدم الاعتداد بها كوحي أنزله الله.

أما بالنسبة للوحي المسيحي الحالي والاحتجاج بأن نصوصه كلها أوحي بها من الله فإن هذا يفتقر إلى سند علمي، ولقد كان القديس جوستين والذي عاش في منتصف القرن الثاني يطلق على ما يسمى بالوحي المسيحي **مذكرات الرسل**.

كما يؤكد الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي في كتابه المحفوظ بدار الكتب المصرية: أن رسم كلمة «الإنجيل» على الكتب الأربعة المعتمدة لدى النصارى باسم الأناجيل (وهي أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) لم يحرر من قبل هؤلاء المبشرين الأربعة أنفسهم ولكنه أضيف عليها من قبل الكنيسة مؤخراً، أو من قبل مجمع نيقية السابق عقده في ٣٢٥ ميلادية، وأن طوائف النصارى التي تتكلم السريانية لا يلقبون تلك الكتب

الأربعة بعنوان الإنجيل بل بعنوان (كاروزونا) أي موعظة، فيقولون: كاروزونا متى وكاروزونا مرقص أي موعظة متى وموعظة مرقص... إلخ، وأنه لذلك فليس من الحق، أو من المسلَّم به أن يحمل أي سفر من أسفار العهد الجديد اسم (إنجيل)[1].

ويقول كولمان في كتابه (العهد الجديد): إن ما يسمى بالإنجيل بقي طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط، أو بالكاد، وهذا التراث الشفهي نقل أقوالاً وروايات منعزلة، وقد نسج المبشرون كل على طريقته وبحسب شخصيته واهتماماته اللاهوتية الخاصة الروابط بين هذه الروايات، والأقوال التي تلقوها من التراث السائد، فجمعوا شيئاً من أقوال المسيح وربطوا الروايات بصيغ أسلوبية غامضة بشكل أدبي الطابع، لكن ليس له أي أساس تاريخي.

وأنه لذلك توجد متناقضات في نصوص الوحي المسيحي وأمور غير معقولة واستحالات مادية ودعاوى معاكسة لأمور تمَّ وانتهى التحقق من صحتها، وإذا نظر إليها الباحث على أنها كتابات ظرفية أو خصامية فإنه لن يدهش عندما يجد فيها كل هذه العيوب التي هي علامة صنع الإنسان في مثل هذه الظروف.

من كل ما تقدم من شهادات خصوصاً علماء النصرانية السابقين والحاليين وهم القديس جوستين والأب عبد الأحد داود الآشوري والعلامة كولمان، فإنه يكون من التجوز القول بأن الكتاب المقدس هو كلام الله رب العرش، وكل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو فقرة من فقراته هو حديث نطق به الكائن الأعلى أو أنه كله قد أوحي به من الله، وهذا يؤكد للباحث الحر أن ما نسبوه إلى الأنبياء والمرسلين من سيء القول وقبيح الفعل هو من قبيل الإضافات غير الواعية التي أقحمت ضمن ما أضيف على الكتب المقدسة، تلفظها العقول المستنيرة والأذواق السليمة.

أما دعوى النصارى في تقديس المسيح عليه السلام، ورفعه إلى مرتبة الألوهية فينقضها واقع بشريته، فلقد صلّى لله كما يصلي البشر، ودعا ربه كما يدعو البشر، وأكل وشرب ونام، بل بكى كما يبكي البشر، وأسفار العهد الجديد التي يقدسها النصارى تفيض بما يؤكد ذلك؛ لذا كان الناس جميعاً من معاصري المسيح ممن رَأوه وجالسوه،

---

(١) كتاب الإنجيل والصليب تأليف الأب عبد الأحد الآشوري العراقي محفوظ بدار الكتب المصرية.

وتحدثوا إليه وعاش بينهم، وصادقوه، وحتى من لم يؤمنوا به وعادوه، لم يروا فيه إلا إنساناً مثلهم بشراً مخلوقاً كغيره من بني البشر، أما محبوه ومن آمن بدعوته، فلم يروا فيه إلا أنه نبي مكرم من الأنبياء، ويحكي لوقا في بشارته عن رجلين من محبي المسيح فيقولان عنه:

(كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب) [إنجيل لوقا: في الإصحاح ٢٤، عدد ١٩].

وتتحدث إليه المرأة السامرية التي قابلها عند البئر: (قالت المرأة: يا سيد أرني أنك نبي) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح ٤، عدد ١٩].

وعندما كان المسيح يعظ الناس ويبلغهم رسالات الله، فكثيرون من الناس لما سمعوا هذا الكلام قالوا:

(هذا بالحقيقة هو النبي) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح ٧، عدد ٤٠].

ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل [إنجيل متى: إصحاح ٢١، عدد ١٠ ــ ١١].

ويشير إلى ذلك لوقا في إنجيله إلى قول الناس فيه بقولهم:

(قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه) [إنجيل لوقا: إصحاح ٧، عدد ١٦].

كما يذكر ذلك يوحنا في إنجيله عن الجموع التي احتشدت للمسيح بقوله:

(إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح ٦ عدد ١٤].

وعندما هاجم كهنة اليهود المسيح، وأرادوا القبض عليه، وتعذيبه، خافوا من الشعب لأنه كان في منزلة الأنبياء وهذا في قوله:

(ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي) [انظر إنجيل متى: إصحاح ٢١، عدد ٤٥ ــ ٤٦][١].

---

(١) الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى، العهد الجديد.

ويقول بطرس خليفة المسيح في سفر أعمال الرسل إصحاح ٢٢ عدد ٢٢ عن المسيح:

(يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده).

عصمة الأنبياء والمرسلين في نظر الإسلام:

إن القول بارتكاب الأنبياء والمرسلين للمعاصي والسيئات في نظر الإسلام هو قدح في نبوتهم مما يدفع البشر إلى عدم طاعتهم أوالاقتداء بهم في أفعالهم، واجتراحهم السيئات والمعاصي يناقض ما أثر عنهم من كمال الخلق، والهداية. يقول الله سبحانه وتعالى عنهم في القرآن الكريم:

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩٠].

فصحَّ يقيناً أنه لو جاز أن يقع من أحد من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ذنب عمد سواء كان صغيراً أو كبيراً، كان الله عز وجل قد حضّنا على المعاصي، وندبنا إلى الذنوب وهذا محال.

ويقول الإمام أبومحمد بن حزم الأندلسي في كتابه الفِصَل في الملل والأهواء والنحل: (وما وقّر الأنبياء أو نظر إليهم بشيء من التقدير أن كانوا سراقاً أو زناة ولاطة وبغائين، ووالله ما نعلم كفراً أكثر من هذا، ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين أعظم من كفر أهل هذه المقالة، وليت شعري ما الذي أمنهم من كذبهم في التبليغ، لأنا لا ندري لعلهم بلغوا إلينا الكذب من الله تعالى[1].

ونستطيع أن نؤكد ونحن مطمئنون أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لا يجترحون السيئات، إذ كيف يجترحونها وبعض الناس لا يجترحها بنص القرآن الكريم.

وأنبياء الله ورسله هم صفوة خلقه فهم أحق بهذه الدرجة وبكل فضيلة ــ بلا خلاف ــ من أحد من أهل الإسلام. قال تعالى:

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢١].

---

(١) كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» تأليف الإمام أبومحمد علي بن حزم الظاهري الأندلسي.

وجماع ما تقدم أن الله عز وجل قد طهّر أنبياءه ورسله وصانهم من كل ما يعابون به، لأن العيب أذى، وقد حرم الله عز وجل أن يؤذى رسوله قال تعالى:

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٧].

ويقول الإمام القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي[١]:

١ ـ إن صدور كبائر الذنوب عمداً من الأنبياء والمرسلين يوجب سقوط هيبتهم من القلوب، وانحطاط رتبتهم في أعين الناس فيؤدي ذلك إلى النفرة عنهم، وعدم الانقياد لهم، ويلزم منه إفساد الخلائق، وترك استصلاحهم، وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة.

أما القول بصدورها سهواً عنهم أو على سبيل الخطأ في التأويل، فلا يجوز أيضاً، فهم معصومون عن الكبائر مطلقاً وعن الصغائر عمداً، فلو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم فيما صدر عنهم ضرورة لقوله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [سورة آل عمران: الآية ٣١].

٢ ـ ولو أذنبوا لردت شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [سورة الحجرات: الآية ٦].

ولأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل بسرعة من متاع الدنيا كيف تُسمع شهادته في الدين القيم أي القائم إلى يوم القيامة.

٣ ـ وأنه إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً لقوله تعالى:

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٧].

---

(١) كتاب «المواقف» تأليف الإمام القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر.

٤ ـ ولو أذنبوا أيضاً لدخلوا تحت قوله تعالى:

﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ [سورة الجن: الآية ٣٣].

وقوله تعالى:

﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [سورة هود: الآية ١٨].

وتحت قوله: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [سورة البقرة: الآية ٤٤].

فيلزم إذاً كونهم موعودين بعذاب جهنم وملعونين ومذمومين وكل ذلك باطل إجماعاً.

٥ ـ ولكانوا على تقدير صدور الذنب عنهم أسوأ حالاً من عصاة الأمة إذ يضاعف لهم (أي للأنبياء والمرسلين) العذاب على الذنب، ومن المعلوم أن النبوة أجلّ من كل نعمة فمن قابلها بالمعصية استحق العذاب أضعافاً مضاعفة.

٦ ـ ولو حدثت منهم المعصية لم ينالوا عهده تعالى لقوله:

﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٤].

والمذنب ظالم لنفسه، وأي عهد أعظم من النبوة.

٧ ـ ولكانوا غير مخلَصين لأن الذنب بإغواء الشيطان، وهو لا يغوي المخلصين لقوله تعالى حكاية عنه على سبيل التصديق:

﴿ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٣٩، ٤٠].

وقد قال الله تعالى في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب:

﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ [سورة ص: الآية ٤٦].

وفي حق يوسف:

﴿إنه من عبادنا المخلَصين﴾ [سورة يوسف: الآية ٢٤].

إنه تعالى قسم المكلفين إلى حزب الله، وحزب الشيطان، فلو أذنبوا لكانوا من

حزب الشيطان، ولكانوا خاسرين لقوله تعالى:

﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [سورة المجادلة: الآية ١٩].

مع أن الزهاد من آحاد الأمة داخلون في المفلحين، أفيكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء؟ ذلك مما لا شك في بطلانه[١].

وخلاصة القول أنه في عقيدة الإسلام:

لا يجوز البتة أن يقع من الأنبياء والمرسلين أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة، فالله سبحانه وتعالى عصمهم قبل النبوة، وبعدها من كل ما يؤذون به، فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا والبغي وأذى الناس في حريمهم وفي أموالهم وكل ما يعاب به المرء ويُتَشكّىٰ منه، ويؤذى بذكره. قال تعالى:

﴿اللَّهُ يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ [سورة الحج: الآية ٧٥].

وقبل أن نختم هذا البحث يقتضينا الأمر أن نشير إلى أن ما ورد في قصة آدم أبي البشر عليه السلام، وما جاء عنها في سفر التكوين، مما ذكرناه سابقاً، يبدو أن فيه بعضاً من الوحي الصحيح وإن تخلله كثير من إضافات البشر يجب إجلاؤه وتصحيحه على ضوء المفاهيم الإسلامية السليمة، فإن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهي الله عز وجل له ولزوجته عن الأكل من الشجرة ليس على التحريم، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلاً، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الأبد، ويشير إلى ذلك قوله تعالى حاكياً عن إبليس:

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلَكَين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدلّاهما بغرور﴾ [سورة الأعراف: الآيات ٢٠، ٢١، ٢٢].

وقوله عز وجل:

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنَسِي، ولم نجدْ له عَزْماً﴾ [سورة طه: الآية ١١٥].

ويقول في ذلك الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي:

---

(١) كتاب المواقف.

(فلما نسي آدم عهد الله إليه في أن إبليس عدوّ له أحسن الظن بيمينه)[1].

وكمبدأ عام فإن الإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة، فخطيئة آدم لا تدينه أبداً ما دام قد رجع إلى ربه، ولا تدين أبناءه من بعده، ونجاته كانت رهينة بتوبته إلى الله قال تعالى:

﴿وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [سورة طه: الآيتان ١٢١ ــ ١٢٢].

وقوله تعالى:

﴿فتلقَّى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧].



(١) كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، الجزء الرابع، الكلام في آدم عليه السلام تأليف الإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي.

(٥)

التحريف عند أهل الكتاب وجرأتهم فيه على الله وعلى آياته المنزلة

في حفل لوضع حجر الأساس لإحدى المؤسسات النصرانية العلاجية في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧م حضره كبار رجال الحكم وعلى رأسهم زعيم الدولة السياسي في إحدى الدول الإسلامية، قام كاهن طائفة أهل الكتاب النصراني بإلقاء خطاب له بهذه المناسبة حشاه ببعض من آيات القرآن الكريم، انحرف بمعناها ومبناها عن جادة الحق والصواب من دون أي شعور بالحياء، أو الخجل، وهو يلقي خطابه أمام زعيم الدولة.

يقول ذلك الكاهن النصراني في بداية خطابه: إن الإسلام حينما يتحدث عن النصارى فإنما يسميهم أهل الكتاب، ثم أورد ضمن خطابه قوله تعالى:

﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾.

وقد أغفل ذكر جزء من بداية الآية نصه: ﴿ليسوا سواء﴾ ويستبيح الكاهن المذكور لنفسه تفسير الآية الكريمة السابقة فيقول: إن القرآن قد تكلم عن أهل الكتاب كأهل عبادة، وأهل سهر في الصلاة وأهل معروف وإيمان وصلاح، ولذلك ورد في سورة البقرة:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾.

ثم يقول: ولهذا نجد القرآن حينما يتكلم عن المسيحيين من أهل الكتاب إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتي هي أحسن، فقد ورد في سورة العنكبوت قوله:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلَّا بالتي هي أحسن إلَّا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلٓهنا وإلٓهكم واحد﴾.

وقد أغفل ذكر باقي الآية وهو قوله:

﴿ونحن له مسلمون﴾.

ثم يستطرد ذلك الكاهن فيقول ـ ويا بئس ما قال! ـ إنه يقول: إن القرآن وضع أهل الكتاب في موقف السؤال والمشورة، بل الإفتاء في الدين، واستشهد عن جهل أو عن سوء قصد، بما ورد في سورة يونس بقوله تعالى:

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾.

واستشهد أيضاً في سورة الأنبياء بقوله تعالى:

﴿وما أرسلنا قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنت لا تعلمون﴾.

ثم يقول ذلك الكاهن: والقرآن حينما يتكلم عن النصارى يصفهم بأنهم أهل رأفة ورحمة ففي سورة الحديد في الحديث عن السيد المسيح يقول تعالى:

﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾.

وهو أيضاً يجعلهم أقرب الناس مودة للمسلمين فيقول تعالى:

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾.

انتهى كلام ذلك الكاهن النصراني فيما ألقاه، وذكره بخطابه من الآيات القرآنية، وهو ما يهمنا في الرد عليه نظراً لما اشتمل عليه حديثه من تغيير وتبديل في معاني الآيات الكريمة، أو بعبارة أخرى لكثير من التحريف، وبادىء ذي بدء فإن التحريف قسمان: لفظي ومعنوي.

والتحريف اللفظي: يكون بتبديل ألفاظ الآيات أو زيادتها أو نقصانها، وهذا ما لم يستطعه ذلك الكاهن، اللّهم إلّا في بعض الآيات فإنه جاء بها في خطابه ناقصة لأجزاء منها لا يتم المعنى المستهدف إلّا بها.

أما التحريف المعنوي: فهو الذي يقع في تفسير الآيات فيأتي المفسر فيها بمعاني ليست هي المقصودة من الآيات التي يذكرها وهذا ما جاء به الكاهن المذكور كما سيأتي إيضاحه.

والنصارى حقيقة هم أهل كتاب لكن هذا اللفظ ليس خاصاً بهم، أو قاصراً عليهم وحدهم، بل يشاركهم فيه اليهود إذ هم من أصحاب الديانات السماوية السابقة.

فاليهود يحصرون إيمانهم في رسالة موسى عليه السلام، ويكفرون بما وراءها من رسالات، كرسالة المسيح عليه السلام ورسالة النبي محمد ﷺ.

والنصارى هم فريق من أهل الكتاب يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام، ويكفرون لا برسالة النبي محمد ﷺ فحسب، بل برسالات جميع الأنبياء السابقين ويقولون عنهم إنهم (سراق ولصوص)، وينسبون ذلك القول إلى السيد المسيح [انظر الإصحاح العاشر من إنجيل يوحنا، عدد ٨، في قوله: جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص].

عندما أورد ذلك الكاهن الآية القرآنية الآتية انزلق إلى التحريف اللفظي بالنقص، لأنه أغفل ذكر بداية الآية في خطابه وهو قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء﴾.

وباستكمال هذا الجزء ينتظم النص القرآني بعد تمامه بقوله تعالى:

﴿ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان: ١١٣، ١١٤].

وجزء الآية الذي أسقطه كاهن النصرانية وهو قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء﴾ هو تمهيد لتعداد محاسن المؤمنين من أهل الكتاب بعد دخولهم في الإسلام، مثل عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً، وهداه الله للإسلام ونجاشي الحبشة وأصحابه بعد دخولهم في الإسلام بعد أن كانوا يدينون بالنصرانية.

والمعنى: ليس أهل الكتاب متساوين في الاتصاف بما ذكر من القبائح بل منهم طائفة سلمت منها، واتصفت بالخير، وقد وصفها الله هنا بثمانية أوصاف بعد انتظامهم في أمة الإسلام، وشهادتهم لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة والنبوّة.

١ ــ أمة قائمة مستقيمة ثابتة على طاعة الله.

٢ ــ يتلون آيات الله آناء الليل، وهو القرآن الكريم.

٣ ــ وهم يسجدون.

٤ ــ يؤمنون بالله واليوم الآخر.

٥ ــ ويأمرون بالمعروف.

٦ ــ وينهون عن المنكر.

٧ ــ ويسارعون في الخيرات.

٨ ــ وأولئك من الصالحين.

أما المعنيّ والمقصود في قوله تعالى عن:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ فهم المسلمون، وقيل هم أصحاب النبي ﷺ، فهم يتلون الكتاب حق التلاوة، والكتاب هنا يعني القرآن الكريم.

وأما الآية ٤٦ من سورة العنكبوت، فقد أوردها ذلك الكاهن النصراني في خطابه لكنه أغفل ذكر باقي الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ونحن له مسلمون﴾، وهو كما قدمنا من قبل التحريف اللفظي بالنقص، وحقيقة: إن أمثل الطرق في محاجَّة أهل الكتاب هي أن تكون بالرفق واللين، إلَّا أنَّ من يفرط منهم في الاعتداء والعناد ولم ينفع معه الرفق فلا سبيل له إلَّا بالإغلاظ في القول.

أما الآية ٩٤ من سورة يونس، وهي قوله تعالى:

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾.

فإن ما انتحله ذلك الكاهن من أقوال، هو اختلاقات وليس تفسيراً، كما صور له وهمه، وهو تحريف منه في معنى الآيات، وقد درج على ذلك كثير غيره من المستشرقين، وقد ورطهم فيه عدم فقههم للغة العربية في أمور:

١ ــ منها أن الخطاب يوجه في القرآن الكريم إلى الرسول محمد ﷺ، والمراد به المسلمون، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية، وفي هذه اللغة يوجه الخطاب لكل من يمكن مخاطبته، وهو في حقيقته خطاب لشخص واحد، كما في قوله تعالى:

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ [سورة الأنعام: الآية ٢٧].

وقوله تعالى:

﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ [سورة سبأ: الآية ٥١].

٢ ـ ومنها أن السؤال لا يعني الاستفهام، وإنما يعني التأمل والبحث ومن ذلك قوله تعالى:

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [سورة الزخرف: الآية ٤٥].

ولا يمكن أن يسأل النبي محمد ﷺ رسولاً من الرسل الذين سبقوه، كيف وبينه وبين آخر واحد منهم نحو ستة قرون.

فالخطاب هنا موجه إلى الأمة، والمراد به ابحثوا يا معشر المسلمين وقارنوا بين الإسلام وبين غيره من الأديان، خصوصاً الكتابية منها، وعندئذٍ ستجدون في الإسلام الحق الذي يميزه، ويفضله على أي دين سبقه، وإذاً فما ذهب إليه الكاهن المذكور في سفسطته وأوهامه لا أساس له، ومرده إلى ضعفه أو جهله في علوم اللغة العربية كما قدمنا.

أما الآية رقم ٧ من سورة الأنبياء، فإن استشهاده بها، هو حجة عليه، وليس حجة له، لأنه بوصفه من أهل الكتاب وله شيء من العلم بالتوراة والإنجيل، كان يقتضيه الأمر عدم المكابرة أمام وضوح الحق الظاهر في الكتاب الخاتم، آخر رسالات السماء، وهو القرآن الكريم، فلا يتجرأ عليه على الأقل هذا التجرؤ في لحن القول، والتحريف في لفظه، وفي تفسير آياته، والآية تحمل الرد على من أنكر بعثة الرسل من البشر وتشير إلى أن جميع الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى وتقدموا بعثة النبي محمد ﷺ كانوا رجالاً من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، ولهذا قال سبحانه وتعالى:

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف، هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة؟ لقد كانوا بشراً، وذلك من تمام نعمة الله على خلقه، إذ بعث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وعن الآية ٢٧ من سورة الحديد فإن ما أوردته من أوصاف الرأفة والرحمة إنما تنطبق على أتباع المسيح عليه السلام ولكن **من هم هؤلاء الذين اتبعوه؟**

إنهم الحواريون وأتباعهم الذين آمنوا بأنه عبد الله ورسوله، وبالكتاب الذي جاءهم

به من عند الله، ولم يغيروا ولم يبدلوا عقيدته وكتابه كما فعل الكهنة الآباء بالكنيسة تارةً وبالمجامع تارةً أخرى فلقد غيَّروا وبدلوا.

إذاً من يطلق عليهم النصارى في وقتنا الحاضر ليسوا بأتباع المسيح، إذ هم سلالة أولئك الذين غيَّروا وبدَّلوا وغَلَوا في المسيح حتى رفعوه من مرتبة النبوَّة والرسالة إلى مقام الألوهية، فجعلوه إلَهاً أو جزء إلَه، فهم بمعزل عن الحق وعن الرأفة والرحمة اللتين أودعهما الله في قلوب الذين اتبعوه حقيقة كما أسلفنا، ولا شك أن ما زعموه بدعوى الألوهية في المسيح شيء لا يرضاه هو نفسه، كما لا يرضى به الله سبحانه وتعالى لأنهم جمعوا إلى الكفر بالله المبالغة في التعبد الباطل.

وأما الآية ٨٢ من سورة المائدة التي استشهد بها الكاهن المذكور على مودة قومه للمسلمين فأمر بعيد عن واقع الحال ولنستشهد على ذلك بالآتي:

١ ــ عندما قام نصارى الإسبان بعدوانهم على المسلمين هناك في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر الميلادي أخذوا يذبحون المسلمين ذبحاً وأحرقوا ٣١ ألفاً ولم يتركوا مسلماً واحداً على قيد الحياة أو غير منفي خارج البلاد.

ونفس ذلك حدث بالنسبة للمسلمين في صقلية حيث أباد النصارى جميع من كان فيها من المسلمين.

٢ ــ وفي اليونان بعد استقلالها من الدولة العثمانية في القرن الماضي أباد النصارى شعب موريا المسلم عن آخره، حتى النساء والأطفال والشيوخ، ولم يبقوا منهم أحداً، حتى لقد بلغ مجموع ما قتلوه من المسلمين ٣٠٠ ألف مسلم، كما دمروا جميع المساجد الإسلامية هناك.

٣ ــ وفي دول البلطيق تحول المسلمون من أكثرية إلى أقلية باستخدام الإرهاب والتعذيب المستمرين.

٤ ــ وفي وقتنا الحالي فإنه ليس بخافٍ على أحد تلك المذابح المستمرة على المسلمين في الفليبين بفعل حكومتها النصرانية التي رأسها ذلك النصراني فرديناند ماركوس ومن خلفه بعد ذلك.

والآية الكريمة المشار إليها من سورة المائدة نزلت في النجاشي وأصحابه بعد إسلامهم، وقيل في الوفد الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب مسلمين، وقيل

في جماعة من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به المسيح عليه السلام، فلما بعث النبي محمد ﷺ آمنوا برسالته وصدَّقوه، فأثنى الله تعالى عليهم في هذه الآية، لأنهم لم يستكبروا عن اتباع الحق والانقياد له بعد أن استبان لهم.

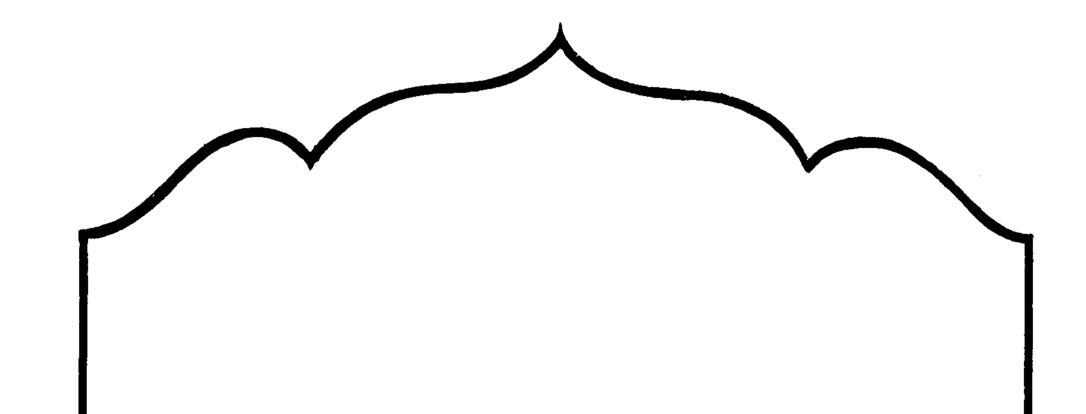
ومما يؤيد هذا القول ويؤكد بأن هؤلاء الذين عنتهم الآية قد دخلوا في الإسلام وانضوَوا تحت لوائه الآية التالية للآية السابقة مباشرة وهو قوله تعالى:

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٣].

ولا يفوتنا أن نشير في ختام هذا البحث إلى أن الذين يلحدون في آيات الله ويميلون بها عما لا يليق بها بالتحريف والتأويل الباطل لا يخفى أمرهم على الله، وسيجزيهم جهنم بما كانوا يعملون، قال تعالى:

﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ [سورة فصلت: الآية ٤٠].





الباب الثاني

(١) الوثنية وتغلغلها في عقيدة النصرانية المعاصرة.

(٢) المسيح بين التلمود وبين القرآن الكريم.

(٣) معلومات هامة عن العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب.

(٤) التوحيد عقيدة الفطرة الإنسانية.

(٥) يا أهل الكتاب لم هذا الهجوم على عقيدة التوحيد؟

(١)

«الـوثـنـيـة»

وتغلغلها في عقيدة النصرانية المعاصرة[1]

لمَّا قضى الله سبحانه وتعالى بذهاب المسيح عليه السلام من هذا العالم الدنيوي سواء بالوفاة بعد قبض روحه شأنه شأن باقي البشر، أو برفعه إلى السماء بعد أن نجّاه الله من أعدائه من اليهود الذين تآمروا على قلته وصلبه ـ كما رفع إدريس عليه السلام إلى السماء من قبل ـ قام تلاميذه وحوارييه بنشر دعوته في التوحيد والسلام وحب الخير إلى الناس.

إلَّا أن الوثنية وقد كانت غالبة على أهل الأرض في ذلك الزمان دفعت، المتأثرين بها، والذين اعتنقوا النصرانية إلى أن يستمدوا مما رسخ في أذهانهم، واستقر في خيالهم من أمور الشرك، ومن الطقوس الوثنية السائدة، مما طمسوا به الحق السماوي الذي جاء به المسيح من عقيدة نقية في التوحيد المجرد لله وحده، وأنه إنسان رسول تكلم بالحق طبقاً لما ذكره عنه إنجيل يوحنا، وهو يخاطب اليهود المتآمرين على قتله في قوله:

(ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) [انظر نص إنجيل يوحنا: إصحاح ٨، عدد ٤٠].

كيف كانت النصرانية في بداية أمرها؟

كانت النصرانية في بداية أمرها ديانة سماوية نزلت على المسيح عليه السلام، لكنها كانت عقيدة مكملة لليهودية ومصححة لما شابها من انحرافات مع توالي الحقب

---

(١) نشر بمجلة الوعي الإسلامي العدد ١٩٤ من السنة السابعة عشرة صفر سنة ١٤٠١هـ، ديسمبر سنة ١٩٨٠م.

والأزمان. . ولذا جعلت شريعتها الأساسية توراة اليهود مع تعديلات قليلة ورد ذكرها في إنجيل المسيح. . لذا كان المفهوم الطبيعي للنصرانية أن تحكم بشريعة التوراة الأصلية مع مراعاة التعديلات الواردة في الإنجيل.

غير أن الذي حدث بالفعل لم يكن كذلك، فلقد انتقلت النصرانية من فلسطين إلى أوروبا ومن المجتمع اليهودي إلى المجتمع الروماني. . وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذي مارسته الكنيسة في أوروبا في العصور الوسطى، لم تكن الشريعة النصرانية مطبقة في غير الأحوال الشخصية. . وما عدا ذلك من أمور كان يحكمه القانون الروماني بجاهليته ووثنياته.

وللتدليل على ما سبق شرحه نذكر شهادة بعض الباحثين والعلماء والأساقفة المعاصرين طبقاً للآتي:

أولاً ـ ماذا يقول الكاتب الأمريكي درابير؟

يقول في كتابه (النزاع بين الدين والعلم): لقد دخلت الوثنية والشرك في النصرانية عن طريق من تظاهروا باعتناقها رياءً وكذباً، ليتقلَّدوا المناصب العالية في الدولة الرومانية من دون أن يؤمنوا بها. . وقد فعل ذلك قبلهم الإمبراطور قسطنطين الذي اعتنق النصرانية ولم يتخلَّ عما اعتاد عليه من ظلم وفجور. . لقد اعتنق النصرانية مرغماً بعد أن رفعته إلى العرش، آملة أن يتقيَّد بأوامرها، ويساعد على انتشارها، غير أنها لم تستطع أن تقضي على جرثومة الوثنية الرومانية فيه. . وكانت نتيجة ذلك الصراع أن امتزجت مبادىء النصرانية وقيمها وعقائدها ببقايا تلك الوثنية، ونشأ عن ذلك الامتزاج دين جديد هو خليط من النصرانية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية. .

ثانياً ـ ماذا يقول الأستاذ مجدي مرجان الباحث القبطي المصري الذي اعتنق الإسلام بعد ذلك؟

يقول في كتابه (الله واحد أم ثالوث):

١ ـ إن المتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعتبر أصلاً من أصولها، ومعتقداً من أهم معتقداتها. . وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين، وقال به الهنود، وقال به غيرهم من الأمم الوثنية.

٢ ـ إن الخلاف الأساسي بين النصرانية والإسلام، بل بين النصرانية والرسالات السماوية كافة، هو في هذه الصورة المشوهة عن الله، التي ألصقتها الوثنية بالنصرانية بقصد هزيمتها والقضاء عليها.

٣ ـ ولقد قرر الأستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث النصراني، حيث ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة وثنية الهنود القدماء أوجه التشابه الكبير بين القانون الإيماني الهندي وبين القانون الإيماني في عقيدة النصرانية.

٤ ـ إنه بعد ذهاب السيد المسيح، اضطر تلاميذه وحواريّوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها، كالرومان واليونانيين والفرس وغيرهم، ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة النصرانية بين تلك الشعوب الوثنية، وخوفاً من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير، الذي وجدته بين اليهود الذين ضاقوا بها ورفضوها، اضطر المبشرون النصارى إلى تطعيم النصرانية ببعض الطقوس والشعائر والعادات، التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية. . ويبدو أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية، فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة النصرانية إلى أذهان الوثنيين، وظنوا أنه مع مرور الوقت فإن النصرانية ستتطهَّر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها.

٥ ـ ولقد تحول فعلاً إلى النصرانية كثير من الوثنيين، ولكنهم نقلوا إليها أيضاً مزيداً من العادات والشعائر الوثنية. . واضطر دعاة النصرانية وقتئذٍ إلى السكوت، وغض الطرف والمجاملة وذلك للإبقاء على هؤلاء الوثنيين، وعدم تنفيرهم من النصرانية علَّهم يستقيمون بعد ذلك على نهج العقيدة الصحيح.

٦ ـ لكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلاً هو غير ما توقعه أولئك المبشرون النصارى البسطاء، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية، وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتى بها المسيح عليه السلام.

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال أخذت الأحكام الإلّهية تتغيَّر، لتحل محلها أحكام أرضية، وأخذت الحقائق تتقهقر، لتفسح الطريق للأوهام، وأخذت النصرانية تتباعد شيئاً فشيئاً عن الدين السماوي العظيم الذي أتى به المسيح عليه السلام من لدن

الرحمن الرحيم، وكان للموقف المتهاون الذي وقفته النصرانية، ومبشروها إزاء الوثنية وعاداتها، السبب في تغلب الوثنية على النصرانية وتطويعها لمشيئتها وطقوسها، ذلك أن الوثنية قريبة لغرائز البشر الحسية وشهواتهم البهيمية.

ثالثاً ـ القس بولس الياس اليسوعي وهو من رجال الدين النصارى:

يقول ذلك القس في كتابه (يسوع المسيح): لقَّحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفسير، فنتج عن هذا التلاقح تراثٌ جديد نقلوه إلى روما، ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب، وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف، فما فرضت صيغة موحدة للصلاة.

رابعاً ـ ويقول الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في كتابه (مقارنة الأديان) عن المسيحية:

١ ـ إن النصرانية مرت بعهود ضعف واضطهاد، وقد امتد هذا الاضطهاد إلى إنجيل المسيح فالتهمه وقضى عليه.. وهكذا فقدت النصرانية كثيراً من رجالها في قمتهم المسيح نفسه.. وفقدت أكثر مراجعها الأصلية، وهو إنجيل المسيح فأصبح مصدر النصرانية الحقيقي واهناً أو بالأحرىٰ معدوماً.

٢ ـ ولقد وقفت حضارات أخرى أقدم جداً من النصرانية بين بين: بين التعدد الذي قال به البابليون، وبين التوحيد الذي قال به المصريون في عهد أخناتون، وكذا قال به الإسرائيليون فظهرت بدعة (التعدد في وحدة، والوحدة في تعدد) وقد قال بهذا الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام، فقد كان عندهم: براهما وفشنو وسيفا، يعدونها ثلاثة جوانب لإِلَه واحد، وكانوا يعدون براهما واحداً له ثلاثة أقانيم.

خامساً ـ ويقول ويلز وهو أحد علماء مقارنة الأديان في بلاد الغرب:

إنه بعد الفتح الإغريقي لمصر أصبحت مدرسة الإسكندرية الحديثة مركزاً لحياة مصر الدينية بل صارت في الحق مركز الحياة الدينية للعالم الهلليني كله، فأقام بطليموس

الأول معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم، كان يعبد فيه نوع من ثالوث الأرباب مكوَّن من:

(١) سيرابيس، (٢) وإيزيس، (٣) وحوروس.

ولم يكن الناس يعدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاث لإلّه واحد.

ما هو وجه الخلاف بين نشأة الإسلام ونشأة النصرانية؟

إن وجه الخلاف بين نشأة الإسلام ونشأة النصرانية، أنه بينما اضطرت النصرانية إلى النمو في حضانة الوثنيات التي سادت المجتمع الروماني، والمجتمع اليوناني، قضى الإسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرماً، ونشر تعاليمه التي تقوم على الوحدانية للذات الإلّهية دون لبس أو غموض.

وتحدثنا كتب السيرة النبوية أنه لما عرض عبدة الأوثان على النبي ﷺ أن يعبدوا الله مدةً وأن يعبد آلهتهم مدةً أخرى رفض النبي ﷺ ذلك العرض بشدة، ونزل الوحي الإلّهي بآيات بيِّنات قضت على تلك الفكرة في مهدها، وذلك في قوله تعالى:

﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي ديني﴾ [سورة الكافرون].

هكذا كان موقف الإسلام حاسماً منذ انبلاج نوره في مكة المكرمة.

أما النصرانية فإن الإمبراطور قسطنطين الروماني كان يعمل جاهداً بغية توطيد ملكه للتأليف بين النصرانية والوثنية التي كانت سائدة في المجتمع الروماني، وظن دعاة النصرانية وقتئذٍ أنَّ قبولهم للأوضاع الوثنية إنما هو قبول مرحلي، لا محيد عنه، وأن النصرانية ستستطيع أن تنجو آخر الأمر من رجس الوثنية، ولكن النتيجة ظهرت على عكس ما كانوا يتوقعون، فلقد تغلبت الوثنية وقضت في النهاية على عقيدة التوحيد، وأقرت عقيدة التثليث، والتي ترتكز على أن الإلّه عبارة عن ثلاثة أقانيم: هي الآب وهو الأصل، والابن وهو الكلمة تجسد في المسيح، وروح القدس الذي التقى بالعذراء مريم قبل ولادة المسيح.

ما هو موقف الإسلام من عقيدة النصرانية في الثالوث؟

لما جاء الإسلام هادياً للبشرية كانت دعوته في الألوهية دعوة إلى الوحدانية وإلى

تنزيه الإلّه الواحد من لوثة الشرك والتعدد، وأنه متصف بجميع صفات الكمال، وأن ذاته منزهة عن التثليث، الذي تسرب من الوثنية إلى النصرانية، لذا كان موقف الإسلام موقف المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الإلّهية، ومنادياً لهم بالعودة إلى جوهر التوحيد، الذي هو أصل الديانات السماوية، ولا جدال في أن التوحيد هو أشرف العقائد الإلّهية وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية.

القرآن الكريم يقضي بمحكم آياته على فكرة الثالوث، ويقرِّر أن الحق الذي لا جدال فيه هو أن الله إلّه واحد:

١ ــ قال تعالى:

﴿يا أهل الكتاب لا تَغْلُوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم، إنما الله إلّه واحد﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

فلقد نادى الله سبحانه النصارى بقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب﴾، وفي هذا توبيخ لهم، أن يتدبروا كتابهم الذي نزل على رسولهم المسيح عليه السلام، ويتأملوا ما فيه، وهو ــ بلا ريب إن وجد ــ ليس فيه شيء مما يدعون، ويفترون كذباً لا أساس له، ولا دليل يعتمد عليه، فيما زعموه بأن (المسيح ابن الله) لأن هذا القول يناقض الدليل الواضح والحق الثابت إذ الإلّه لا يلد ولا يولد، فإن ذلك أمارة الحدوث، وعلامة الاحتياج، وأن المسيح لا يعدو كونه رسولاً من الله، وقَصْرُ نص الآية المسيحَ على كونه رسولاً فيه زجر شديد لهؤلاء الذين يقولون على الله غير الحق، وفي ذكر الآية لاسمه، وفي نسبته لأمه إشارة إلى أنه إنسان ككل الناس ولدته أنثى، وأنه وجد بسبب كلمة الله وأمره (كن) مَثله كمثل آدم عليه السلام، خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون من غير سبب مادي من وجود أب له، كما جرت به سنة الله في توالد بني آدم، وأنه تكوَّن في بطن أمه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه، لذلك وصف بأنه روح منه أي من الله تشريفاً وتفضيلاً وليست مِنْ هذه تبعيضية بل كانت تشريفاً وتعظيماً له عليه السلام، وإذا كان شأن المسيح أنه ليس إلهاً ولا ابناً لله، اقتضى الأمر تكليف النصارى الإيمان بالله وحده رباً لا شريك له في العبادة، وليس معه ثان ولا ثالث، وكذا تكليفهم بالإيمان بجميع الرسل، وفي جملتهم المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

والتعبير بقوله: (ولا تقولوا ثلاثة) لبيان أن مجرد النطق بذلك منكر وقبيح فضلاً عن أن يكون اعتقاداً وإيماناً، وفيه إشارة إلى أن ما ذهب إليه النصارى لا ظل له من الحقيقة.

ثم بذل القرآن النصيحة لهم في قوله تعالى: ﴿انتهوا خيراً لكم﴾، فلقد أمرهم بالانتهاء من هذا القول وهو قول التثليث لأنه شرك محض، وأن في خروجهم منه خير لهم، لأنهم يخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام بزعمهم أن الله مركب من أقانيم ثلاثة، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة يحيل كذلك تركبها واتحادها، وأن رجوعهم إلى التوحيد هو رجوع منهم إلى العقيدة الصحيحة المبنية على الحجة والبرهان فيفوزوا من الله بالرضوان.

٢ ــ وقال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

في هذه الآية قضى الله بالكفر الصريح على القائلين بالتثليث، لأنه ــ كما ذكرنا آنفاً ــ تسرب إلى النصرانية من العقائد الوثنية.

وخلاصة القول:

إن التثليث تقرر رسمياً بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، وأنه دخيل على النصرانية الحقة الموحِّدة، وقد اعترف كبار علماء اللاهوت النصارى في قاموس الكتاب المقدس أن عقيدة التثليث: (لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون، ولكن مجمع نيقية المسكوني أقر التثليث عقيدة رسمية للنصرانية سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند جميع الكنائس النصرانية على يد أوغسطنيوس في القرن الخامس الميلادي). انتهى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس[١].

---

(١) انظر الوثيقة الثالثة في باب الوثائق من صورة ما حرر في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث.

والحق أنـه لا يمكن عقـلاً أن يكـون الإلّـه إلاّ واحـداً، أمـا تعـدد الآلهـة كمـا في التثليث، فهـو وصم لها بـالقصور، لأن قـدرة كل واحـد منهم تكـون حينئـذٍ مقيـدة بقـدرة الآخرين، والإلّه لا يكـون محدود القـدرة والسلطان لأن تحديـد القدرة وصم لـه بالعجـز، والإلّه لا يكون عاجزاً، وإذاً لا يمكن أن يكـون الإلّه إلاّ إلّـه واحد، قـال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وما من إلّه إلاّ إلّه واحد﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].



(٢)

«المسيح عليه السلام»
بين التلمود وبين القرآن الكريم

مما لا جدال فيه أن الدول النصرانية الأوروبية هي التي صنعت دولة إسرائيل جسماً غريباً في الوطن العربي والتراب الإسلامي، فقد تلاقت أهداف الدول الصليبية الحاقدة مع الصهيونية اليهودية الحاسدة في الكيد ضد الإسلام، وخططوا منذ القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد سنة ١٥٠٥ ميلادية للقضاء على قوة الكيان الإسلامي، وإنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين، وأمدوها بعد أن أفلحوا في إنشائها في منتصف مايو سنة ١٩٤٨ م، وما زالوا يمدونها بكل ما تحتاجه من مال وعتاد وسلاح وأغذية ومن المهاجرين خصوصاً من دول أوروبا الشرقية.

فلقد نجح اليهود في إقناع المسؤولين في الدول النصرانية منذ بداية عصر النهضة الأوروبية بأنهم أقرب الناس إليهم، لذلك تم الاتفاق بينهم على ضم التوراة (كتاب اليهود) إلى مجموعة الأناجيل والرسائل النصرانية باعتبار أن التوراة هي كتاب العهد القديم، ومجموعة الأناجيل والرسائل النصرانية هي كتاب العهد الجديد، وسمّي الاثنان معاً بالكتاب المقدس وبذلك أفلح اليهود في جعل النصارى عموماً تبعاً لهم، يأتمرون بأمرهم في أمور الدين وعندئذ سهل التسلط عليهم في أمور الدنيا، خصوصاً في الاتجاهات السياسية، وهذا ما لمسه العرب والمسلمون في الواقع والحقيقة في سياسة تلك الدول النصرانية أمثال فرنسا وانجلترا وألمانيا، وما يمكن ملاحظته حالياً في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن هل تدري تلك الدول النصرانية والتي تزعم أنها تؤمن بالمسيح عليه السلام ـ وغلت في تقديسه حتى رفعته من مرتبة الرسالة والنبوة إلى مقام الألوهية والربوبية ـ كيف يذكره اليهود خفية فيما بينهم؟ وكيف صوروه للناشئة من أبناء اليهود في أجيالهم

المتعاقبة في تلمودهم المقدس؟ وهو الكتاب العقائدي الذي يحتوي على التعاليم الشفوية، ويفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه، وفي اعتقادهم أنه ليس هناك ما هو أسمى مقاماً منه.

فيما يتعلق باسم المسيح عليه السلام نجد الآتي:

١ ـ إن الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو (جيشوا هانوتسري) (Jeshua Hanotsri) أي يسوع الناصري، وقد دعي بالناصري نسبة إلى مدينة الناصرة التي نشأ فيها، كما يدعى النصارى بالعبرية (نوتسريم) (Notsrim) أي الناصريون، ولما كانت كلمة (جيشو) تعني المنقذ أو المخلص فإن اسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية خشية أن يعثر عليه أحد من الأمم التي تعتنق النصرانية والتي كان يقيم اليهود بين ظهرانيهم.

٢ ـ واليهود يدعون المسيح في التلمود (أثوايش) (Otho Isch) أي ذاك الرجل ويراد به أنه الرجل المعروف من قبل الجميع. ففي كراسة (أيهوداه زاراه) نجد الآتي: (يدعى مسيحي من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة، الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت).

٣ ـ في مكان آخر بالتلمود يدعى المسيح (بيلوني) (Peloni) أي رجل معين، وعن مريم أو (ماري) والدته يطلقون عليها (أم الرجل المعين ذي الصلة بيوم السبت) وكانت تبيع الخضار في السوق.

٤ ـ وعلى سبيل التحقير والازدراء يدعون المسيح (نجار بارنجار) (Naggar bar Naggar) أي نجاراً ابن نجاراً، كذلك يدعونه (بن شارش إتيم) (Ben Charsch Etaim) أي ابن الحطاب.

٥ ـ كما يدعونه تالوي (Talui) أي الرجل الذي شنق، ويشير الرابي صموئيل بن ماير في (هبلخوت آكوم) وهو من كتاب موسى بن ميمون إلى أنه في الواقع من الجرم اشتراك اليهود في الأعياد النصرانية كعيد الميلاد وعيد الفصح، لأن أولئك النصارى يقيمون قدّاساً من أجل ذلك الذي شنق.

٦ ـ أما الرابي ابن عزرا في تعليقه على (جينيس) فيناديه أيضاً تالوي، الذي استنسخ الأمبراطور كونستانتين صورة تمثال يسوع على رايته، ففي أيام الأمبراطور

كونستانتين غيَّر ديانة الأمبراطورية الرومانية ووضع تمثال ذلك الذي شنق على رايته.

٧ ـ فضلاً عما سبق فقد ذكر اليهود في تلمودهم أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي حملته أمه خلال فترة الخطبة، وكانت تتقمصه (روح) (Esau)، وأنه لذلك كان شريراً وأنه مجنون ومضلل ووثني وصلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثناً لهم يعبدونه، وكل ذلك وارد في كراسة التلمود (كاللاه) (Kallah) على لسان الرابي (اليعازر) والرابي (جيهوشو) والرابي (أكيباه).

٨ ـ ثم أورد اليهود قصة أخرى مروية في (سانهيدرين) (Sanhedrin) وهو مرجع يهودي يبحث في شؤون تنظيم المحاكم ونشوئها ومحاضر جلساتها، بالإضافة إلى مسائل العقوبات التي تترتب على الجرائم الرئيسية، فذكروا عن المسيح أنه كان من بين الذين أجرموا بحق القانون فحكم عليه بالموت وحده فقط بعد أن قبض عليه احتيالاً، أو لجأوا إلى إضاءة شمعة في غرفة داخلية، وجاؤوا بشهود عيان إلى غرفة خارجية تجاور الأولى بحيث كان بمقدور هؤلاء الشهود رؤيته والإنصات إلى أقواله بينما هو لا يستطيع ذلك، ثم طلب منه أن يعيد اعترافه حتى إذا كرر (الغاوي) ثانية ما قاله، انبرى آخر يسأله: لكن كيف لنا أن نتخلى عن إلٰهنا الذي في السماء ونحترم أوثاناً؟ فإذا ثاب الغاوي وعاد عن أقواله فكل شيء حسن، أما إذا قال هذا واجبنا ومن الصواب أن نفعل ذلك، دفع به أمام القاضي ليرجم بالحجارة حتى الموت، وهذا ما فعلوه مع ابن ستادا في لود، ثم شنقوه عشية عيد الفصح (اليهودي) وكان ابن ستادا هذا ابن (بانديرا) لذلك روى الرابي شاسوا أن بانديرا كان زوج ستادا أمه وهي (ماري) حلاقة السيدات أم يسوع والتي أشيع عنها أنها هربت من زوجها وأنها كانت عاهرة واقترفت الزنا.

ولقد دعاه اليهود في تلمودهم ابن بانديرا، وبابن ستادا بقصد إخفاء اسمه الحقيقي حتى لا يفطن النصارى الذين كان اليهود يعيشون بين ظهرانيهم إلى ضبط خداعهم وتحايلهم بسهولة فيصبوا جام غضبهم عليهم.

٩ ـ كما وصفه اليهود بأنه ساحر ومشعوذ، وساقوا لذلك قصة دارت بين المسيح ويهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح ولقبوه (بوداس)، إذ لَفَظَ المسيح الاسم العظيم للإله (يهوا) (Ihuh) واستمر يفعل ذلك حتى هبت رياح رفعته بين الأرض والسماء. ولفظ (بوداس) أيضاً اسم (الله) وبطريقة مماثلة رفعته الرياح، وبهذا عام الاثنان حول الهواء وسط انذهال المتفرجين، ثم أمسك بوداس بيسوع (المسيح) وهو يدفع به إلى الأرض

لكن هذا حاول بدوره دفع بوداس فنشب بينهما قتال متواصل، وعندما تأكد بوداس أنـه لن يفـوز في النهايـة ضد أعمـال يسوع بـال عليه، وهكـذا أصبحا وجـوداً نجساً فسقـطا على الأرض، ولم يعد بإمكانهما التلفظ بالاسم الإلهي من جديد إلى أن يغسلا نفسيهما.

١٠ ــ بـل ورد في (زوهار) وهـو إحدى كـراسات التلمـود، أن يسوع مـات كبهيمة ودفن في كومة قذرة حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة، فقد لقي ميتة حقيـرة بشنقه على صليب في ليلة عيد الفصح اليهودي، وذلك عقاباً له على جرائمه وعقوقه.

هكـذا زعم اليهـود وهكـذا صـوَّروا المسيـح عليـه السـلام في كتبهم، أمـا عقيـدة المسلمين في المسيح عليه السلام فهي كالآتي:

يعتقـد المسلمون أن المسيـح رسول بعثـه الله إلى بني إسرائيـل، شأنـه شـأن بـاقي الرسل السابقين مصدقـاً لما بين يـديه من التـوراة، وقد رسم القـرآن الكريم لـه، وللسيدة والدته صورة كريمة سامية.

فلقد تحدث القرآن الكريم بأن الله اصطفى السيدة مريم على نساء العالمين لتكـون أماً للمسيح عليه السلام، وجعلها أطهر نساء العالمين عنـدما أخلصت العبـادة لله سبحانـه وتعـالى، حتى وصلت إلى مرتبـة الصديقيـة وهي درجة عـظيمة القـدر عنـد الله، وصلتهـا بصـدق نيتها في القـول والعمل، ولا غـرو في ذلك فهي نشـأت في بيئة طيبـة، في كفالـة نبـي الله زكريا عليه السلام، شبت منذ طفولتهـا على طاعـة الله تعالى، وقـد رماهـا اليهود بالزنى، لما حملت وولدت المسيح عليه السلام، إلا أن الله برأهـا من السفاح على لسـان وليدها الذي أنطقـه الله عقب عملية الـوضع، فبـرأ والدتـه وأخبرهـم أنـه عبد الله وأنـه آتاه الكتاب وجعله نبياً.

قال تعالى:

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٣٧].

وقال تعالى:

﴿وإذ قـالت المـلائكـة يـا مـريم إن الله اصـطفـاك وطهـرك واصـطفـاك على نسـاء العالمين﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٢].

وقال سبحانه عن اليهود الذين كفروا بالمسيح عليه السلام وطعنوا في شرف والدته:

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ [سورة النساء: الآية ١٥٦].

وقال جلّت كلماته:

﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [سورة التحريم: الآية ١٢].

وفي سورة مريم يقول الله تعالى عن المسيح ووالدته:

﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو عليّ هيِّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا﴾ [سورة مريم: الآيتان ٢٠، ٢١].

وفي موضع آخر من تلك السورة الكريمة يحكي القرآن في أسلوب رائع ما أرجف به اليهود عنها من اتهام باطل، فتحدث المعجزة وينطق وليدها ببراءتها، وأنه نبي مرسل خاضع في عبوديته لله سبحانه.

قال تعالى:

﴿فأتت به قومها تحمله، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان في المهدِ صبياً، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ [سورة مريم: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢].

أما عن خَلْق المسيح عليه السلام بدون أب فقد كان بسبب كلمة الله وأمره (كن) فقد تكوّن في بطن أمه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه شأنه شأن آدم سواء بسواء.

قال تعالى:

﴿إنما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وقال سبحانه:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٥٩].

وكانت الحكمة من رسالة المسيح عليه السلام أن يبين لبني إسرائيل بعض الذي كانوا يختلفون فيه، وأن يحل لهم بعض الذي حرم عليهم، ويبشرهم بقرب بعثة النبي محمد ﷺ خاتماً للمرسلين والأنبياء، وظهور الإسلام ختاماً لرسالات السماء ديناً للبشرية عامة، وليس لطائفة دون طائفة أو فريق دون باقي البشر.

قال تعالى:

﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه، فاتقوا الله وأطيعون﴾ [سورة الزخرف: الآية ٦٣].

وقال جلت كلماته:

﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ [سورة آل عمران: الآية ٥٠].

وقال سبحانه:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

ما هي الحكمة التي تتبين من قيام المسيح عليه السلام بالبشارة بالنبي محمد ﷺ؟

إن الحكمة المقصودة من إخباره بني إسرائيل بذلك هي أن يسارعوا بالوفاء بعهد الله الذي أخذ على آبائهم مع نبي الله موسى عليه السلام بالإيمان بهذا النبي الأمين، فهذا هو الدين الواحد، وهذا هو الإسلام الذي جاء به الرسل جميعاً وسار موكب الإيمان يحمله شعاراً له على مدار القرون والأزمان.

قال تعالى:

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون، وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به﴾ [سورة البقرة: الآيتان ٤٠، ٤١].

لكن بكل أسف جحدوا نعمة الله، ولم يوفوا بعهد الله الذي أُخذ على آبائهم، فلم يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ، وكفروا بها حسداً وبغياً من أنفسهم واستحقوا غضب الله ولعنته.

قال تعالى:

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٩].



(٣)

معلومات هامة

عن العهدين القديم والجديد

من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب

أولاً: بيَّن كثير من العلماء غير المسلمين أن أسفار التوراة والأناجيل المعتمدة لـدى طوائف النصرانية محرَّفة ومتناقضة، منهم على سبيل المثال:

١ ــ إبراهيم بن عزرا الذي عاش من (سنة ١٠٩٣م ــ ١١٦٧م).

٢ ــ وباروخ سبينوزا الذي عاش خلال المدة من (سنة ١٦٣٢م ــ ١٦٧٧م).

ثانياً: إن ما يقرأ في أسفـار الكتاب المقـدس ليس وحْياً، بـل هو تـاريخ دوَّنـه أتباع الأنبياء السابقين، ولو كان وحياً ما ذكرت فيه قصص الأنبياء فقط، لأن الوحي يعبر عن قيم ومبادىء، ولا يسرد تاريخ الأشخاص إلَّا في حدود الموعظة.

بخلاف ما نراه في كتاب الإسـلام وهو القـرآن الكريم (فهـو لا يتحدث عن شخص محمـد)، لأنه كتـاب يتعلق بالله رب العـالمين، ويشتمل على المبـادىء والقيم والتشريـع والعبادات، والتي كان دور محمد ﷺ فيها، هو دور المبلِّغ لها بواسطة الـوحي الذي كـان ينزل عليه.

ثالثاً: من الثابت علمياً وتاريخياً:

١ ــ أن تدوين الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى جاء متأخـراً بزمن طـويل عن عصر الأنبياء المنسوبة إليهم.

٢ ــ ولم يعرف حتى الآن كاتبها بالضبط.

٣ ــ ولم يحدد العصر الذي دونت فيه تحديداً قاطعاً.

٤ ـ وأناجيل النصارى الأربعة لا توجد حالياً إلاَّ محررة باللغة اليونانية في أصولها، وهي لغة تخالف اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام وحواريوه وتلاميذه[١].

فكيف يعتقد والحال هذه أن ما فيها من الأخبار التاريخية صحيح، أو أن ما عداها خطأ بل العكس هو الصحيح، وأن تلك الكتب أصابها التحريف والتبديل طوال حقبة من السنين.

رابعاً: إن دين الله هو التوحيد من لدن آدم إلى محمد ﷺ، والمسيح نفسه لم يَدْعُ قومه إلاَّ إلى توحيد الله، غير أن من زعموا أنهم أتباعه بعد مضي بضعة قرون من الزمان حرَّفوا دعوته، وقرروا ألوهيته في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م، ثم اضطهدوا من كان مؤمناً بنبوته وبشريته حتى قضوا عليهم، ولم يبقَ سوى من حاد عن طريق التوحيد وسلك سبيل التثليث[٢].

خامساً: ثم وَرَّثُوا هذه العقيدة لمن جاء بعدهم جيلاً بعد جيل.

وطبيعي ألا تعرف الأجيال اللاحقة شيئاً عن هذا الصراع العقائدي فتظل مؤمنة بأن عقيدة النصرانية الحالية هي الموصى بها من الله.

اللَّهم إلاَّ من هداه الله فأنكرها لتنافرها مع الطبيعة البشرية، أو من جدَّ في البحث في تاريخ الصراع العقدي بين الطوائف النصرانية.

سادساً: أيدت الدراسات العلمية ما جاء في القرآن الكريم عن عدم سلامة قصة قتل المسيح وصلبه، واقتنع به أصحاب الاتجاه العقلي في مجال البحوث الدينية المقارنة[٣].



---

(١) انظر في باب الوثائق، الوثيقة الثامنة عن الحوار بين خرسطو فورس جبارة وبين الشيخ حسن الطويل.

(٢) انظر في باب الوثائق، الوثيقة الثالثة عما حرر في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث وما تقرره دائرة المعارف الأمريكية عن التوحيد والتثليث بالوثيقة السابعة.

(٣) انظر في باب الوثائق، الوثيقة السادسة في كتاب: الخالدون مائة، أعظمهم محمد رسول الله ﷺ: ما يقوله مؤلف هذا الكتاب مايكل هارت عما ذكره عن القديس بولس.

(٤)

التـوحيـد

عقيدة الفطرة الإنسانية

إن سلامة العقل توجب احتـرام الحقائق، وإدراك الـواقع، والـوقوف بـالظنـون عند حـدودها، ورفض الأوهـام، وعدم الإيمـان بالخـرافات، والإنسـان بفطرتـه التي خلقه الله عليها يدرك وحدانية الإلّه مثلما هو يدرك بفطرته أن العدل جميل والـظلم قبيح، وأن العلم مفخرة والجهل معرَّة، قال الله تعالى: ﴿فأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيل لِخَلْقِ الله﴾[1].

فالناس كما خلقهم الله يولـدون على فطرتهم فهم مستعـدون لها مؤثـرون لمنهجها، يتدافعون في مجراها تـدافع المـاء إلى منحدره، لكن العـوائق المصطنعـة هي التي تقطع عليهم طريقهم وتردهم عن وجهتهم، يقول الله تعالى في الحـديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشيـاطين فاجتـالتهم عن دينهم وحرمت عليهم مـا أحللت لهم، وأَمَرَتْهُمْ أن يشركوا بـي ما لم أنزل به سلطاناً)[2].

ويشيـر رسول الله ﷺ إلى بعض تلك العـوائق بقولـه: (ما من مـولود إلاَّ يـولـد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[3].

وراثـة العقيـدة:

ممـا يثير الأسى أن النـاس درجوا على هـذه الأرض منذ وجـدوا على وراثة العقيـدة

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) صحيـح الإمام مسلم بشـرح النووي ١٧/١٩٧، كتـاب الجنة، بـاب: الصفات التي يعـرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٣) صحيح البخاري ومسلم.

الإيمانية، وتقليد الآباء والأجداد دون مواجهتها، والبحث فيها مع أن الدين لم يكن في يوم من الأيام إقراراً لأوضاع متبعة بائرة، ولا انسياقاً لطقوس قائمة، وإنما كان الدين اتساقاً مع الفطرة، دعوة إلى الحق وثورة على الباطل، ولو كانت العقيدة إرثاً وتقليداً لما انتقل الناس من باطل إلى حق، ومن عبادة الأصنام والأحجار إلى عبادة خالق الأرض والسموات، ومن السجود للبشر إلى السجود لرب البشر.

تبرم القلب بفطرته على الشرك:

والقلب المشرق على فطرته يشق طريقه وسط الظلمات والأشواك متبرماً بما ورث من عقائد الشرك أو الثنائية أو التثليث حتى يصل إلى التوحيد الخالص فيعب من ينبوعه المتفجر، ولا غرو في ذلك فالتوحيد يعني أنه «لا إله إلاَّ الله»، تلك الكلمة الطيبة التي شبهها الله في قرآنه العظيم بالشجرة الطيبة، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

التوحيد دعا إليه كل الرسل والأنبياء:

وكلمة التوحيد الخالدة «لا إله إلاَّ الله» قالها كل نبي ورسول من الله، ودعا إليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى أكمل الله دينه وأتم نعمته على الناس جميعاً بدين الإسلام.

١ ــ فهي أساس دعوة نوح عليه السلام، كما يفهم من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ الله إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

٢ ــ وهي دعوة هود عليه السلام إلى قومه عاد، كما يفهم من قوله سبحانه:

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة هود: الآيتان ٢٥، ٢٦.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾[1].

٣ ـ وهي دعوة صالح عليه السلام إلى قومه ثمود، كما يفهم من قوله جل شأنه:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنِ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فِيهَا، فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[2].

٤ ـ وهي دعوة شعيب عليه السلام إلى قومه أهل مدين، كما يشير قول الله تعالى:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[3].

٥ ـ وهي دعوة إبراهيم عليه السلام إلى قومه؛ يقول الله تعالى فيما يقصه عنه:

﴿وإِبْراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنَ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِزْق وَاعْبدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ؛ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

٦ ـ وهي دعوة موسى عليه السلام وأول كلام تلقاه عن الله، كما يشير إليه قوله جلَّ شأنه فيما يقصه عنه لما توجه في طريق عودته إلى مصدر النار التي رآها:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا مُوسَى إِنِّي أَنَا ربُّكَ فَاخلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى. وأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[5].

٧ ـ وهي رسالة المسيح ابن مريمَ عليه السلام إلى قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فيما يقصه القرآن عنه في دعوته إلى قومه:

---

(١) سورة هود: الآية ٥٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٤) سورة العنكبوت: الآيتان ١٦ ـ ١٧.

(٥) سورة طه: الآيات ١١ ـ ١٤.

﴿مَا قُلْتُ لَهُم إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيب عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

٨ ــ وهي دعوة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ ورسالته، وذلك في دعوته إلى الناس كافة إذ يقول تعالى في كتابه الكريم هادياً ومرشداً ومعلماً:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله﴾[2].

فكرة توحيد الإلّه غاية استهدفتها البشرية منذ القدم:

مما يثير الدهشة والعجب أن فكرة توحيد الإلّه وتنزيهه عن الشبه والمثيل جنحت إليها البشرية على طول تاريخها الطويل، فلم تكن قضية الرسالات السماوية وحدها، بل هي قضية العقول المستنيرة وموضع عنايتها والدفاع عنها:

فقد وصل إليها الهنود أخيراً بعد أن كانوا يقولون بتعدد الآلهة التي وصلوا بعددها إلى ثلثمائة وثلاثين ألفاً، فتخلصوا منها جميعاً، واقتصروا على إلّه واحد قالوا عنه إنه واحد لا شريك له في الملك، ولا يشبه أحداً من مخلوقاته، وهو حي لا يموت ولا يحس جوعاً ولا ظمأً، وهو الذي يضطر الإنسان إلى معرفته[3].

أما في بلاد الإغريق فقد انتهى (أفلاطون) إلى القول بأن الله هو خالق الكون وأنه هو المثل الأعلى الذي يحب الخير لعباده.

كما أثبت (أرسطو) أن الله هو واجب الوجود لذاته، وأنه واحد قديم لا يتغير ولا يتبدل.

أما المفكر (أكسينوفان) فقد دأب على محاربة الشرك بين الإغريق، وجَدَّ في دعوتهم إلى تنزيه الله عن المشابهة لمخلوقاته، لأن الله منزه كل التنزيه عن أن يتصف بصفات البشر، فلكي نحتفظ للألوهية بقدسيتها لا بدَّ أن ننزهها عن صفات الإنسان، ولما كان الله هو الكمال المطلق، فإنه يجب أن يكون واحداً، لأن تعدد الآلهة يجعل بعضها

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٢) سورة محمد: الآية ١٩.

(٣) كتاب «نافذة على الإيمان» لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير ص ٩٢ ــ ٩٣ سلسلة البحوث الإسلامية.

يخضع لبعض، وهذا لا يتفق مع مقام الألوهية، كما أن الإله ليس في حاجة إلى أن يتخذ أتباعاً يعاونونه في الألوهية، ولذلك فليس هناك إله أكبر وآلهة أصغر تكون دونه، ولا آلهة متماثلون يكون بعضهم بجوار بعض، بل يجب أن يكون الإله واحداً[1].

العقل هو دليل التوحيد الفطري:

وهذا هو ما نادى به الإسلام في دعوته الخالدة إلى التوحيد، فلم يلجأ إلا إلى العقل، فهو يضع قضية التوحيد أمام العقل المجرد في بساطة ووضوح ومن دون أي تعقيد أو غموض، ثم يدعوه إلى التفكير في هدوء وتبصر من دون ميل أو هوى حتى يصل إلى حقيقة التوحيد التي تشهد بها آيات الخلق وظواهر الكون والتي يبينها القرآن الكريم، ويجليها للناس في منطق واضح وأسلوب رائع وشرح مبدع باستحالة وجود أكثر من إله واحد في الكون، ذلك أن التعدد بين الآلهة يقود إلى التناحر والتنازع بينها، وإلى انحياز كل إله إلى ما خلق مما يؤدي إلى اضطراب نظام الخلق واختلال نواميس هذا الكون، بل إلى انهيار الوجود ودماره. يقول الله تعالى:

﴿ما اتَّخَذَ الله مِنَ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إله إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

ويقول جل شأنه:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

الموحِّدون في أزمان الجاهلية العربية:

لم تخل الأرض في عصور الجاهلية وقبل ظهور الإسلام حتى في جزيرة العرب من وجود أناس موحدين، استنارت بصيرتهم فاستطاعوا أن ينزعوا أنفسهم من ظلمة الشرك ورجسه إلى ضياء الوحدانية بما وضح لهم من آيات التوحيد نذكر منهم على سبيل المثال:

---

(١) كتاب «نافذة على الإيمان»: ص ٩٣ ــ ٩٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

زيد بن عمرو بن نفيل الذي رفض الاعتقاد في آلهة قومه وسائر المعبودات المصطنعة، وعبد الله وحده، وفي ذلك يقول:

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الصبور[1]
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمَي بني غَنْم أزور[2]

كما كفر بتعدد الآلهة عربي آخر فأخذ ينشد:

أَربّاً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقاسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الخبير

ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي أخذ ينشد ويشيد بالتوحيد وبالإله الواحد فيقول:

إلّه العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شداداً بلا عمد تزين ولا رجال
وسوّاها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلال
وشق الأرض فانبجست عيوناً وأنهاراً من العذب الزلال
وكل معمر لا بد يوماً وذي دنيا يصير إلى زوال
وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
وحلَّ المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال[3]

النصرانية المثلثة لم تعدم في شعوبها من ظهور الموحدين لله على مر الزمان:

يحدثنا الأستاذ مجدي مرجان (وقد كان شماساً نصرانياً في زماننا المعاصر) أن شعوب النصرانية التي فرض عليها التثليث في عهد الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٥م لم تخل في تاريخها الطويل من قيام موحدين لله رفضوا أن يشركوا بالله أحداً، وأعلنوا توحيدهم لله على الملأ في صراحة ووضوح ودون خوف أو وجل، ولاقوا في سبيلها الأهوال وتعرضوا للأخطار وذاقوا العنت والعذاب.

---

(١) اللات والعزى من أصنام العرب في الجاهلية.

(٢) يقصد الشاعر بابنتيها صنمي اللات ومناة.

(٣) كتاب «نافذة على الإيمان» لفضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير ص ٤٦، ٤٧.

١ ــ فهذا «آريوس» المصري أسقف كنيسة بوكاليس بالإسكندرية في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي، يعلن أن الله هو الواحد الأحد القائم وحده (أي القيوم) وهو الوحيد الذي لم يولد، وليس له بداية أو نهاية، ولا يمكن إدراكه أو التعبير عنه، وليس له معادل أو مكافىء على الإطلاق.

أما المسيح فإنه بطبيعته منفصل تماماً عن الله، ومختلف في شخصه عن الذات الإلّهية، ولا يتساوى في المجد مع الله، ولو كان غير ذلك لكان هناك إلّهان.

ثم يتكلم عن الروح القدس فيقول: إن شأنه شأن المسيح مخلوق مستقل عن الله، لكن مؤتمر «نيقية» المسكوني الذي انعقد سنة ٣٢٥م تحت مظلة إمبراطور الرومان الوثني قسطنطين تبنى عقيدة التثليث، ورفض مقالة آريوس وحكم عليه بالكفر والهرطقة، ثم تقرر قتله مع مشايعيه.

٢ ــ وهذا «أوريجانوس» يعلن أن الله لا تدركه الأفهام، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان، وأن الله لا يتجزأ، ولا يحد ولا يحصر، فيحكم على هذا المفكر بالحرمان، وتحرق كتبه، ثم يطرد مع أتباعه.

٣ ــ والأسقف (نسطورا) ينكر ألوهية المسيح، ويقرر أنه إنسان كسائر البشر مملوء بالنعمة والبركة فيقرر حرمانه وطرده.

٤ ــ وفي إسبانيا يجهر المصلح الإسباني (ميشيل سرفيتوس) برأيه بوحدانية الله، وإنكار عقيدة الثالوث، ويدمغ مؤتمر «نيقية» المسكوني بالخطأ والانحراف في تقريره تلك العقيدة إذ كان الأجدر بذلك المؤتمر أن يتبطن عقيدة التوحيد لأن عقيدة الثالوث والجوهر لا يوجد لها أي أساس في أسفار الكتاب المقدس، فكان جزاء هذا المصلح الإسباني أن يتقرر إحراقه حيّاً سنة ١٥٥٣ ميلادية.

٥ ــ وفي بولونيا نادى العلامة (سوسيتس) بوحدانية الله وبشرية المسيح مقرراً أن الإلّه لا يحل في البشر، وقد تفرع عن عقيدته مذهب النصارى الموحدين الذين قاموا يدعون إلى تطهير ملة النصرانية أو المسيحية، كما غلب على تسميتها في زماننا المعاصر من أدران الوثنية، وجهالة التجسيد (أي تجسد الإلّه في صورة البشر وهو على حد اعتقادهم في صورة المسيح الذي هو من البشر) وقد لقي هؤلاء النصارى الموحدين من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم إلى هجر وطنهم والنزح إلى مختلف البلاد، ومع ذلك

لاحقهم العذاب أينما حلوا بواسطة عشاق الزور والبهتان، وعباد الزيف والضلال، فخططوا دائماً للقضاء عليهم، وتآمروا لتجويعهم، وتشريدهم أو سجنهم، وإحراقهم وتقتيلهم، حتى تاهت حقيقة التوحيد النقية، وسط زحام الباطل بين شعوب هؤلاء المفكرين والمصلحين[1].

انتهى كلام الأستاذ مجدي مرجان بتصرف.

* * *

ويلقي الأستاذ اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في أبحاثه مزيداً من الضوء على طائفة الموحدين فيقول:

١ ـ لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد في بلاد المجريين النصارى هناك بسبب الروح الاستقلالية للمجريين، وابتعادهم بطبيعتهم عن كنيسة روما، ووصل الأمر بأولئك الموحدين إلى أن كانت المجر في فترة من فترات تاريخها تحت حكم ملك موحد هو (جون سيجسموند) في المدة من سنة ١٥٤٠ إلى سنة ١٥٧١ ميلادية.

٢ ـ وفي هولندا يعلن المفكر الهولندي (توماس أكمبس) في كتابه (على خطى المسيح) التناقض الذي يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره إلّهاً أو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلّهي، ثم يطلب إلى الإنسان العادي أن يسير على نهجه، ولقد قوي فكر أولئك الموحدين هناك لدرجة أنه قرب منتصف القرن التاسع عشر صارت مدينة ليدن وجامعتها مركز التوحيد في تلك الدولة الأوروبية.

٣ ـ وفي إنجلترا أعلن المفكر الإنجليزي (جون بيدل) بعد أن حصل على درجة الماجستير من جامعة أوكسفورد سنة ١٦٤١ وانتهائه من دراساته للكتاب المقدس الشك في عقيدة التثليث، مما أدى إلى تقديمه للمحاكمة، فحكم عليه بالسجن مرتين، كما نفي إلى جزيرة صقلية، ثم ظهر في أسواق إنجلترا وقتئذٍ كتاب «عقيدة التثليث من الأسفار» لمؤلفه العالم اللاهوتي (صموئيل كلارك) وفيه يعلن أن الأب وحده[2] هو الإلّه الأسمى

---

(١) كتاب «الله واحد أم ثالوث» للأستاذ مجدي مرجان ص ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ مكتبة النهضة العربية.

(٢) يقرر المطران عبد الأحد داوود الأشوري العراقي في كتابه «الإنجيل والصليب» المحفوظ نسخته الوحيدة بدار الكتب المصرية أن كلمة (آب) في لغتها التوراتية هي بكسر الهمز، وليس معناها والد بل تعني موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات فهو خالقها وصانعها وفاطرها.

وليس المسيح. ثم قام العالم الطبيعي (جون بريستلي) بتحرير رسالة باسم (التماس إلى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين) وزع منها ثلاثون ألف نسخة بعد طبعها ونشرها في أنحاء إنجلترا، في هذه الرسالة يعرف المؤلف الإلّه الذي أنزل الوحي، بأنه هو السبب الوحيد لكل الظواهر، أما تعاليم المسيح فتعطي فقط مثلاً أخلاقية.

ولقد كان من نتيجة شيوع تلك الرسالة أن اضطهد ذلك العالم الطبيعي وأرغم على ترك بلاده ونفي إلى بنسلفانيا حيث بقي هناك حتى آخر سنوات عمره، ثم ظهر المفكر الإنجليزي (جيمس مارتينو) في المدة من سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٩٠٠ ميلادية وفي كتاباته أعلن أن الكتاب المقدس لا يعدو أن يكون وثيقة بشرية وأن المسيح ليس أكثر من إنسان.

٤ ـ وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان يمثل مذهب دعاة التوحيد الدكتور (تشارلز شاونسي) راعي كنيسة بوسطن وكذلك القس (يوناثان ميهو) الذي ناضل بشجاعة فائقة ضد التثليث.

٥ ـ وهناك كثيرون موحدون لله وينكرون عقيدة التثليث في أماكن كثيرة من العالم. يوجد بعضهم في «بلجيكا» و«الدانمرك» وفي «فرنسا» و«سويسرا» و«أيسلندة» و«تشيكوسلوفاكيا» وأغلبهم من رجال الدين لكنهم لم ينفصلوا عن كنائسهم المثلثة الأمر الذي لا يكشف للباحثين أمر أوضاعهم الدينية بكل دقة[1].

السبب في ظهور الموحدين على الدوام في الشعوب النصرانية:

يرجع هذا كما قدمنا آنفاً إلى أن عقيدة التوحيد بطبيعتها عقيدة فطرية، فضلاً عن ذلك فإن تلك العقيدة هي التي كانت غالبة على شعوب النصرانية في عهودها الأولى بوصفها عقيدة النصرانية الأصلية، وذلك قبل انعقاد مؤتمر «نيقية» المسكوني سنة ٣٢٥م، بل قبل أن تفرض النصرانية ديناً للدولة في عهد الإمبراطور قسطنطين.

ويحدثنا التاريخ أن كل الانحرافات التي لحقت بتلك العقيدة فحوَّلتها من التوحيد إلى التثليث كانت بسبب تدخل أباطرة الرومان الذين كان همهم الأول ليس سلامة العقيدة، بل تثبيت حكمهم، فطوعوا الدين لخدمة سياستهم ابتداء من الإمبراطور الوثني

(١) كتاب «طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون» تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب، ص ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٤ نشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة.

(قسطنطين) إلى أن وصل العرش إلى ابن شقيقه (يوليانوس) الذي تولى حكم الإمبراطورية سنة ٣٦١م، ثم إلى (يوبيانوس) الـذي تولى حكم الإمبـراطوريـة بعد سلفـه سنة ٣٦٣م، وكلهم كانوا رافضين لعقيدة التوحيد، ولكن عندما تتوقف السلطات الحاكمة ـ سواء كانت مدنية أو كنسية ـ عن التدخل في معتقدات النـاس بالإكـراه والحجر على تفكيـرهم فيشعر الناس بنسيم الحرية يظهر هؤلاء الموحدون لله، وينكرون ما عداها من عقائد، ولا بأس أن نقدم مثالاً عن فكر أولئك الموحدين بشرح واحد منهم.

العلامة شانينج يشرح فكره التوحيدي:

ممـا يقولـه ذلك المفكـر النصراني في شـرحه للتـوحيد الـذي يؤمن به هـو وطائفتـه الآتي:

١ ـ إن القول بثلاثـة أقانيم تتـطلب ثلاثـة جواهـر وبالتـالي ثلاثـة آلهة، وإن نـظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح وللتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقـد أي قيمة دينية أو علمية.

٢ ـ إن المسيح نفسه لم يفكر في نفسه إلَّا كزعيم ديني وليس كإلّه، وبالمثل اعتقد تلاميذه أنه مجرد إنسان، إذ لو كان عند بـطرس أو يهوذا أيّ فكـرة عن أن المسيح إلّـه لما كان هناك أيّ تفسير معقول لإنكار بطرس له، وما كان هناك تبـرير لخيـانة يهـوذا له، لأنـه بديهة أن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلّهياً له كل القوى.

٣ ـ إن القول بأن المسيـح مات من أجـل خطايـا البشر، وبهـذا وقاهم لعنـة الله، قضية مرفـوضة قـطعاً، وإلَّا كـان ذلك طعنـاً في أخلاق الله، لأن الله يجب ألا يعـرف عن طـريق اللعنة، بـل عن طـريق الحلم والحكمـة والمحبـة، فـالأب الحكيم والمحب لبنيـه لا يهلك الولد المخطىء الذي يقـع في المعاصي، لكن يعلمـه ويقوده في طـريق الحكمة والفضيلة، وإن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإلّـه أمر ينـاقض الحلم الإلّهي والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها.

٤ ـ إن الإنسـان على الرغم من أنـه قد يخـطىء أو يقع في الخـطأ لكنـه صـالـح بالفطرة، وإن العقيـدة الدينيـة يجب أن يكون الغـرض منها العمـل على حفظ الإنسان من الخطأ والخطيئة.

٥ ــ إن الموحدين ينظرون إلى المسيح باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر وهو بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من قيمه الفاضلة لو كان إلّهاً لأن الإنسان لا يستطيع تقليد الإلّه[١].

ماذا تقول دائرة المعارف الأمريكية عن عقيدة التوحيد؟

مما تقوله هذه الموسوعة: (لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين.

لقد اشْتُقَّت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد، وإن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص.

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة)[٢].

انتهى ما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية.

ماذا عن الموحدين في بلادنا المصرية:

كان من حظ الموحدين ودعاة التوحيد في مصر، وكذلك في البلاد الإسلامية أن جاوروا بني وطنهم من المسلمين، فعرفوا الإسلام بوصفه عقيدة الموحدين الرائدة في عالمنا المعاصر، ولما درسوه وفهموا عقيدته النقية الواضحة، لم يلبثوا أن اعتنقوه، وانتظموا في صفوف المسلمين، نذكر منهم المرحوم زكي النجار بطهطا، والذي تسمى باسم محمد زكي الدين النجار.

والأستاذ إبراهيم خليل فيلبس وكان من رجال الدين الإنجيليين وتسمَّى باسم إبراهيم خليل أحمد.

والأستاذ مجدي مرجان والذي تسمى باسم محمد مجدي مرجان.

وكذلك الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي.

---

(١) كتاب «طائفة الموحدين في المسيحيين عبر القرون»: ص ٣٨، ٣٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩، ١٠.

ولقد وضعوا العديد من المؤلفات التي تزخر بها الأسواق والمكتبات المختلفة، شرحوا فيها رحلتهم العقدية حتى وصلوا إلى الإسلام، بعد أن تبينوا أنه رسالة السماء الخالدة إلى الأرض، وأنه المنهج الوحيد في دنيا الناس الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة، ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاطهم وانحرافاتهم، فهي ليست من وضع مجمع من المجامع، ولا من إضافة هيئة من الهيئات ولا من إملاء كاهن أو حبر من الأحبار، بل هي تنزيل من رب العالمين.

وبعد:

فإن اهتداء الإنسان إلى فطرته ليس كسباً رخيصاً، بل هو كبير، وغُنم عظيم فيه يعيش المرء في سلام ووئام مع نفسه، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله.

والحقيقة أن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله الواحد الأحد جل شأنه.

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله، وتؤمن به وتتوجه إليه، فتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط، والاطمئنان بعد القلق.

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم: (في القلب شعث لا يلمه إلَّا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلَّا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلَّا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلَّا الاجتماع عليه والفرار إليه)[1].

ولقد مثل القرآن الكريم فطرة الخلق السليمة في معرفة الله وثبوت وحدانيته وربوبيته وأنه لا إله إلَّا هو بعد أن غرس ذلك في نفوسهم وفطرهم عليها بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا. أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ. وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].



(١) كتاب «الخصائص العامة للإسلام» للدكتور يوسف القرضاوي نقلاً عن كتاب مدارج السالكين للإمام ابن القيم.

(٢) سورة الأعراف: الآيات ١٧٢ ـ ١٧٤.

(٥)

يا أهل الكتاب

لِمَ هذا الهجوم على عقيدة التوحيد

إن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية بين أبناء الشعب الواحد غريبة على أرض الإسلام، فقد ألف هذا الدين منذ بدأ يعاشر غيره على المياسرة واللطف، وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد، وهو في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالفين له، ومن ثم لم يفرض عليهم حكمه في الحلال والحرام، أو يقهرهم على الخضوع لعقائده، أو اضطهادهم، أو مصادرة حقوقهم، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم.

وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض، وليت التواريخ الأخرى فيما حفظته الدنيا لها من حروب التعصب وغارات الإبادة والتجني، تقترب من ليونة الإسلام ومودته وسماحته.

محاولات مشينة للهجوم على عقيدة التوحيد:

ورغم مسلك هذا الدين المثالي فيما ضربه من تسامح واعتدال درجت بعض جماعات من أهل الكتاب من النصارى في داخل بلادنا الإسلامية وخارجها على إرسال خطابات إلى العديد من شباب المسلمين، تهاجم فيها عقيدته الصافية النقية في التوحيد، ثم تدعوهم إلى اعتناق فكرهم المتمثل في أن لله ابناً أرسله ليخلِّص به البشر، ويستندون في زعمهم هذا إلى نصوص من أناجيلهم، مثل:

١ ــ ما ورد في إنجيل متى بالإصحاح ٢١ عدد ٣٧ في قوله:

(فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني).

ويعنون أن الله أرسل ابنه المسيح إلى شعب اليهود.

٢ ــ وما ورد في إنجيل مرقس: بالإصحاح الثالث عشر، عدد ٣٢، في قوله:

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلَّا الآب).

٣ ــ ما ورد في إنجيل لوقا: بالإصحاح الثاني والعشرين، عدد ٧٠، في قوله:

(فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو).

٤ ــ ما ورد في إنجيل يوحنا: بالإصحاح الثالث، عدد ١٨، في قوله:

(لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم).

ومع التسليم بوجود النصوص السابقة وما في أناجيل النصارى المتداولة بينهم، نجد أن هناك نصوصاً أخرى بتلك الأناجيل يصف فيها المسيح نفسه، بأنه بشر، ابن إنسان كالآتي:

١ ــ في إنجيل متى بالإصحاح الثامن، عدد ١٨ ــ ٢٠، ورد قوله:

(فتقدم كاتب وقال له يا معلم أتبعك أينما تمضي، فقال يسوع: للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه).

٢ ــ وفي إنجيل مرقس: بالإصحاح الثامن، عدد ٣١، قوله عن المسيح:

(وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة).

٣ ــ وفي إنجيل لوقا: بالإصحاح التاسع، عدد ٥٦، قوله عن المسيح:

(لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص).

٤ ــ وفي إنجيل يوحنا: بالإصحاح الثامن، عدد ٤٠، من كلام المسيح لليهود:

(قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).

إذاً كيف يتفق القول بأن المسيح ابن الإنسان، أي أنه من البشر، وهناك نصوص أخرى، تذكر أنه ابن الله؟

فمن استقراء النصوص الخاصة بالبنوة نجد:

أن لفظ البنوة في الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب ورد بها على قبيل المجاز، فإذا كان مضافاً إلى الله أريد به الرجل البار، وقد أطلق على المسيح وغيره من الأنبياء والأشخاص فمثلاً:

آدم عليه السلام دعته الأناجيل ابن الله:

فقد جاء في إنجيل لوقا: في الإصحاح الثالث، عدد ٣٣ ــ ٣٨، بشأن نسب المسيح أنه يتصل بشيث ابن آدم ابن الله.

أطلقت الأسفار على **سليمان** عليه السلام أنه ابن الله:

جاء في سفر الأيام الأول: بالإصحاح السابع عشر، عدد ١١ ــ ١٤، قوله لداود:

(ويكون متى كملت أيامك.. أني أقيم بعدك نسلك.. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً).

أطلقت الأسفار أبناء الله على **الشرفاء أو الأقوياء**:

فقد ورد بسفر التكوين في الإصحاح السادس، عدد ١، ٢، قوله:

(وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات).

أطلقت الأسفار (ابن الله) على كل شخص بار سواء كان نصرانياً أم غير نصراني:

فقد ورد في إنجيل متى: بالإصحاح الخامس، عدد ٩، قول المسيح عليه السلام:

(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

وبالمقابلة:

أطلقت أسفار أهل الكتاب على الشخص الشرير أنه ابن إبليس:

فقد ورد في إنجيل متى: بالإصحاح الثاني عشر، عدد ٣٤، قول المسيح لليهود:

(يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار).

ولفظ الأفاعي في اصطلاح الأسفار الكتابية تمثيل للشياطين.

ولندلل على ما ذكرناه سابقاً بالآتي:

أولاً: يقرر الدكتور محمد فؤاد الهاشمي (وقد كان من رجال الكهنوت النصارى في مصر قبيل إسلامه).

أن عبارة (ابن الله) الواردة بالأسفار المقدسة لدى أهل الكتاب لا تعني ولد الله، فبنو الإنسان جميعاً هم أبناء الله، بمعنى أنهم خلقه، وأبوَّته لهم لا تعني تلك الأبـوَّة الجسدية التي تثبتها شهادة الميلاد، بل هي ربوبية الخلق والتربية، وهذا هو القصد من التعبير بلفظ (الآب) الوارد بتلك الأسفار فهي تعني الإلّـه المربـي، وكـان هذا اصـطلاحاً سـائداً عنـد اليونانيين الذين ترجمت عن لغتهم تلك الأناجيل، ولهـذا فإن المسيـح ملأ الأنـاجيل بـأنه ابن الإنسـان، وأسند أُبـوة الله لغيره في كثيـر من النصـوص، ممـا يقـطع بـأن المـراد بهـا ألوهية الله وربوبيته وتربيته لعباده، كما وصف الصالحين بأنهم أبنـاء الله بمعنى أنهم أحباؤه وأصفياؤه. [كتاب حوار بين مسيحي ومسلم تأليف الدكتور محمد فؤاد الهاشمي].

ثانياً: ويزيد الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي هذا الأمر وضوحاً إذ كـان على دراية باللغات السامية كالعبرية والآرامية فيقرر أن صلاة اليهود الـواردة في أسفار داود وهي المعنية بالمزامير عنـد أهل الكتـاب لخَّصها المسيـح عليه السـلام بقولـه: (أبانـا الذي في السماء)، وقد وصفت التوراة الله بلفظ (آب) (بمد الهمـزة) هو اسم الله بـاللغة السـريانيـة أو الكلدانية، وتعني موجد كافة الموجودات ومكوِّن كل الكائنات، فهو خـالقها وفـاطرهـا، فهي لا تعني أن لله ابناً وحيداً كما تزعم الكنيسة، وهي بخلاف كلمة (أب) بهمزة مفتـوحة والتي تعني الوالد[1].

ثالثاً: ذكر الإمام تقي الدين بن تيمية أن لفظ الابن في أسفـار أهل الكتـاب هو اسم لمن رباه الله، أو اصطفاه وكرمه من عبيده كـإسرائيـل وداود وسليمان وغيـرهم من الأنبياء، لأن لفظ الأب في لغتهم تعني الرب الذي يـربـي عبده أعـظم مما يـربـي الأب ابنه، وفي هذا المعنى يقول المسيح لتلاميذه:

(أحبـوا أعداءكم، بـاركـوا لاعنيكم، أحسنـوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجـل الـذين

---

(١) كتاب الإنجيل والصليب، تأليف الأب عبد الأحد داود الآشوري العـراقي، المطران السـابق لمدينـة الموصل وديار بكر.

يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات) [إنجيل متى: الأصحاح الخامس، عدد ٤٤ ــ ٤٥].

ويرجع أيضاً إلى كتاب: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية: الجزء الثاني فصل في معنى الابن.

رابعاً: ويقرر الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي: أن لفظ (ابن) الوارد في أسفار أهل الكتاب يُحمل على المعنى المجازي المناسب لشخص المسيح عليه السلام، ويتضح هذا المعنى بجلاء من استقراء النص الوارد في إنجيل مرقس: بالإصحاح ١٥، عدد ٣٩، في قوله:

(ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله).

ومقابلته بالنص المشتمل على هذا المعنى بإنجيل لوقا: بالإصحاح ٢٣، عدد ٢٧، في قوله:

(بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً).

ففي إنجيل مرقس لفظ (ابن الله)، وفي إنجيل لوقا بدله لفظ (البار)، واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالحين غير المسيح عليه السلام، كما استعمل ابن إبليس في حق غير الصالحين[١].

* * *

من الذي قام بتحريف لفظ (ابن الله) عن مفهوم من رباه الله واصطفاه إلى مفهوم الألوهية وابن الذات المقدسة وكيف كان ذلك؟

إن من يدعونه بولس والذي لم يرَ المسيح ولم يتتلمذ على يديه، بل كان عدواً له ولأتباعه، ثم تحايل بعد ذهاب المسيح عن هذا العالم حتى التصق بتلاميذه بعد أن اطمأنوا إليه، هو الذي انحرف بلفظ (ابن الله) عن مفهومه الكتابي التوراتي، وهو من

---

(١) كتاب إظهار الحق، تأليف الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ــ الجزء الثاني، الفصل الثالث.

ربّاه الله وأحبه واصطفاه وكرمه إلى مفهوم التقديس والألوهية، ويشير إلى ذلك كثير من أقواله التي تشتمل عليها رسائله مثل:

١ ــ قوله في رسالته إلى أهل رومية: بالإصحاح الأول، عدد ١ ــ ٤:

(بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولاً المُفْرَز لإنجيل الله الذي سبق فوعد به أنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من بين الأموات يسوع المسيح ربنا).

٢ ــ وقوله في رسالته إلى أهل فيلبي: بالإصحاح الثاني، عدد ٥، ٦:

(فليكن هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله).

٣ ــ وقوله في رسالته إلى العبرانيين بالإصحاح الأول، عدد ١، ٢:

(الله بعدما كلم الآباء والأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء).

ويؤيد ما ذهبنا إليه من رأي الدكتور شارل جينيبير أستاذ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس، الذي يكشف لنا الكثير مما قام به القديس بولس من تحريف، فلقد درس ذلك العلّامة اللغة العبرية واللغة اللاتينية والديانة اليهودية، كما درس بعمق الجو الديني العبري، أي المجتمع العبري، أو بمعنى آخر المجتمع اليهودي الذي نشأ فيه المسيح عليه السلام وقضى فيه حياته القصيرة، وكل ذلك من الوجهة التاريخية، أي بحسب الواقع التاريخي، غير متأثر في ذلك بالجانب العقائدي، وانتهى في دراساته إلى الحقائق الآتية:

أولاً: إن عقيدة النصرانية التي دعا إليها السيد المسيح كانت في غاية البساطة، إذ كان يعلن التوحيد ويؤكد أنه عبد الله ورسوله، وكان كل همه أن يدعو إلى الخُلق الكريم، إلى الرحمة والمحبة والتعاطف.

ثانياً: إن المسيح ما بعث إلّا لخراف بني إسرائيل الضالة، أي أن رسالته كانت خاصة ببني إسرائيل.

ثالثاً: إن المسيح لم يقل عن نفسه إنه (ابن الله) فذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين،

كما لا يسمح أي نص من نصوص الأناجيل إطلاق تعبير ابن الله على المسيح، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، وهي اللغة التي استخدمها القديس بولس، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وهو إنجيل يوحنا.

رابعاً: إن القديس بولس هو المسؤول عن انفصال المسيحية عن دعوة السيد المسيح، إذ تسبب بخطئه في ترجمة لفظ عبد في كلمة (عبد الله) التي يقولها المسيح كثيراً عن نفسه إلى كلمة (طفل) بدلاً من ترجمتها إلى كلمة (خادم) فصارت (طفل الله)، وكان لذلك تغيير هائل بالفكرة الدينية عن صورة الإله في الفلسفة عامة وفي عقيدة النصرانية خاصة، والتي غلب على تسميتها بالمسيحية في زماننا المعاصر، بمعنى أنه انحرف بعقيدة التوحيد الخالص إلى فكرة بنوة الطفل لله أي بنوة المسيح لله.

خامساً: وطبيعي أن الاثني عشر تلميذاً الذين آمنوا بالمسيح وتابعوه لم يكن ليوافقوا على نعت المسيح أنه ابن لله بل كان تعبيرهم عنه أنه خادم الله، لأن صورة الألوهية التي تتسم اتساماً بالكمال أنه لا يلد كما أنه لا يولد، أي أنه ليس بحاجة ـ لكماله ـ إلى ولد، إذ إن إرادة الولد إنما هي نقص في الإله.

أما بالنسبة للابن فإنه على أي وضع تصورته، يكون إمّا مولوداً وإمّا مخلوقاً، فهو لا مناص قد سبقه عدم وأنه وجد بعد عدم، إذاً فلا يكون إلهاً لأنه حادث.

ولذلك فإن المسيحية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر غريبة بعيدة كل البعد عن رسالة المسيح. (انتهى كلام الدكتور شارل جينيبير).

يرجع في هذا إلى كتاب المسيحية نشأتها وتطورها تأليف دكتور شارل جينيبير، رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، نشر دار المعارف بالقاهرة.

الإسلام يصحح الصورة الدينية للإله:

رسم الإسلام مفهوم الألوهية بالصورة الصادقة التي أنزلها الله تعالى على رسوله محمد ﷺ بعيداً كل البعد عن ألفاظ الأبوّة والابن التي التبس أمر الحق فيها على أهل الكتاب. قال الله تعالى:

﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله﴾ [سورة محمد: الآية ١٩].

وقال جل شأنه:

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ [سورة الإخلاص].

أما عن المسيح عليه السلام، فقد تحدث عنه القرآن باسم الواقع التاريخي الصادق، كما تحدث عنه باسم المنطق.

فباسم الواقع التاريخي:

يقول الله تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالَوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلاَّ اللَّهَ ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤].

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نوحي إليه أنه لا إلَه إلاَّ أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٥].

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عبادٌ مكرمون﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٦].

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إدّا، تكاد السماوات يتفَطَّرْنَ منه وتنشقُّ الأرضُ وتخرُّ الجبال هدّاً، أن دعَوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يَتَّخِذَ ولداً، إن كلُّ من في السموات والأرض إلاَّ آتي الرحمن عبداً﴾ [سورة مريم: الآيات ٨٨ ــ ٩٣].

أما من وجهة النظر المنطقية:

يقول الله تعالى:

﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنيُّ له ما في السموات وما في الأرض إنْ عندكم من سلطان بهذا، أتقولون على الله ما لا تعلمون، قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ [سورة يونس: الآيات ٦٨ ــ ٧٠].

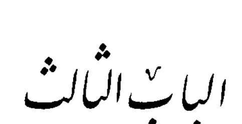
ويقول جل جلاله:

﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [سورة مريم: الآية ٣٥].

فالله سبحانه غنيّ غنىً مطلقاً عن الولد، لأن من يسعى وراء الولد أو يتبناه هو الفقير وهو المحتاج في العواطف وفي الأعمال وفي التصريف، ولكن الله تعالى يتنزه عن ذلك فهو إذا أراد أمراً، كان ما أراد، ولا يعدو المسيح أن يكون عبداً لله تعالى، كرمه الله بالرسالة التي كلفه بتبليغها إلى قومه من بني إسرائيل، شأنه شأن باقي المرسلين من قبله إلى أقوامهم، وهكذا صحح الإسلام صورة الإلّه التي كادت المسيحية أن تطمس حقيقتها، والتي ما زالت تحاول جاهدة في طمسها، قال تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواءَ قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٧].





(١) كتب النصارى المقدسة وعقيدتهم.

(٢) أناجيل النصارى بين الشك والظن
وطوائفهم التي انسلخت من عقيدة التوحيد.

(٣) كيف ألفت كتب ورسائل النصارى المقدسة عندهم.

(٤) عقيدة التوحيد وعبودية المسيح.

(٥) المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

(١)

كتب النصارى المقدسة وعقيدتهم[١]

١ ــ تنقسم كتب النصارى المقدسة إلى قسمين هما: **العهد القديم والعهد الجديد**.

(أ) فالعهد القديم يضم الأسفار التي نزلت على الأنبياء والرسل الذين سبقوا المسيح عليه السلام.

(ب) والعهد الجديد يضم الكتب والرسائل التي حررها أناس يقولون إنهم من تلاميذ المسيح.

٢ ــ بتقليب صفحات العهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها أي شيء عن عقائد النصارى الحالية.. أي لا يوجد فيها قصص الآب والابن والثالوث وألوهية المسيح.. وألوهية الروح القدس.. وتَجَسُّد المسيح وصلبه أو موته وقيامه، أو المعمودية بمفهوم النصرانية للغفران من خطيئة آدم، أو مايشير إلى اتحاد الابن الأزليّ بالآب، أو ما شابه ذلك، وهذه مجمل عقائد النصرانية.

٣ ــ إن عقائد النصرانية المشار إليها فيما سبق لا توجد في أقوال المسيح عليه السلام.. ولا في أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا عنه تعاليمه مما يفيد أن مسائل التثليث وتأليه المسيح وتأليه روح القدس أمور لا أصل لها في كتب الله.. ولكنها أمور مخترعة:

(أ) فبعضها اخترع بمعرفة بولس (الرسول في زعمهم) والذي كان عدواً للمسيح

---

(١) نشر في العدد السادس من السنة الثانية من مجلة «منار الإسلام» جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ يونية ١٩٧٧ م.

وأتباعه في أول أمره، كما أن المسيح لم يختره من تلاميذه فضلاً عن أنه لم يرَ المسيح ولم يسمع منه مواعظه.

(ب) وبعض هذه الأمور اخترع بمعرفة آباء الكنيسة ومجامعها المسكونية في القرون التالية للمسيحية الأولى.

٤ ــ إن بشارات الأنبياء التي أعلنت مجيء المسيح في العهد القديم ما ذكرت عنه إلا كونه نبياً من البشر من دون أي إشارة إلى أنه سيُقتل أو يصلب.

٥ ــ ويقول الكاتب المسيحي (ألفريداي): إن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية فقط:

(أ) التبشير بقيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة.

(ب) الله هو الأمل الذي تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً.

(ج) الكمال التام والحب الشامل. وليس شيئاً غير ذلك.

٦ ــ ولقد كتبت دائرة معارف لاروس الفرنسية (انسكلوبيدية) في القرن التاسع عشر في موضوع التوحيد والتثليث ما يلي:

(عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد (الإنجيل) ولا في أعمال الآباء الرسوليين، ولا عند تلاميذهم الأقربين.. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية.. والمذهب البروتستانتي التقليدي، يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان، رغماً عن أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة.. وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك، مع أن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس في الاعتقاد، بأنه أحد الأقانيم الثلاثة المكوّنة لذات الخالق.. وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله).

٧ ــ إن المؤرخ الشهير ويلز (Wells) يستنكر كل هذه المبادىء والشعائر، ويرى أنها جميعها موضوعة ولا سند لها من الأناجيل.. (ومن العسير أن نجد أية كلمة تنسب فعلاً إلى المسيح فسّر فيها مبادىء الكفارة والفداء، أو حضّ فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني).

ونقول أيضاً: إن كلمة أقنوم لا وجود لها حتى في تلك الأناجيل أو الرسائل الملحقة بها، بل ولا في العهد القديم، وكلمة أقنوم في مفهوم النصرانية تعني أحد الأركان أو أحد الأشخاص.

٨ ــ إن المطلع على الأناجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا يجد أنها لا تحوي أي إشارة عن التثليث، أو ألوهية المسيح، أو ألوهية روح القدس، أو عقيدة الفداء، (وهو تَجَسُّد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً لخطيئة آدم) كما يزعمون.

٩ ــ إن ما جاء عن ألوهية المسيح قد جاء بإنجيل يوحنا.. وهذا الإنجيل كله لا يُسلِّم به محققو النصرانية.. فعلماء النصرانية (المسيحية)، في أواخر القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى **يوحنا الحواري**، لأنه كان بين ظهرانيهم **أرينوس** تلميذ **بوليكارب**، الذي كان تلميذاً **ليوحنا الحواري**.. ولم يرد عنه أنه سمع من أستاذه بوليكارب صحة تلك النسبة.. وهذا يقطع بأن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا مزور بالنسبة إلى يوحنا الحواري.

١٠ ــ ولقد قال العالم (استاولن) في العصور المتأخرة ونقله عن صاحب (كاتلك) في صحيفة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤: (إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية في ذلك الوقت، تلك المدرسة التي اعتقنت مبادىء الثالوث، وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها).

١١ ــ جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها ٥٠٠ من علماء النصرانية ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور... إلخ).

١٢ ــ ويقول أكهارن في مقدمة أبحاثه: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكّين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا.

لذلك كان من التجوز إضافة مجموع العهد الجديد إلى الله أو إلى المسيح بل إنه يضاف إلى مصنفيه فقط، كما يقال حالياً: إنجيل كذا ورسالة كذا.

١٣ ــ مما يؤيد هذا النظر أن الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين بالعراق في القرن الماضي ذكر في أبحاثه المدونة بكتابه (**الإنجيل والصليب**) أن النسخ الموجودة باللسان **اليوناني** هي التي تحمل اسم (إنجيل) بصورة العنوان فقط.. أما النسخ المكتوبة باللسان **السرياني** وهي المعتمدة أساساً لدى طوائف النصرانية فقد وضع عليها

اسم (**كاروزونا**) أي **موعظة** (بالمعنى العربي) محل كلمة إنجيل، إذ ليس لأي سفر من أسفار العهد الجديد حق بأن يحمل اسم (**إنجيل**) لأن هذه العبارة لا يحق استعمالها لغير إنجيل المسيح نفسه، والقول بغير ذلك هو اعتداء على مقام المسيح عليه السلام.

ولكن أين هذا الإنجيل الخاص بالمسيح؟ حالياً لا يوجد له أي أثر البتة! ومعنى ذلك أن النصارى ليس لهم كتاب مقدس، وخلعوا هذا التقديس على تلك الكتب والرسائل الخاصة بالمواعظ.

١٤ ـ والمسيح أساساً ما جاء إلا لشعب اليهود يدعوهم إلى عبادة الله وحده وإلى ترك ما هم فيه من شرور وآثام، فقد ورد في إنجيل متى: إصحاح ١٥، عدد ٢٤:

(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) وقد دعا المسيح تلاميذه الاثني عشر إلى تبشير بني إسرائيل فقط.. كما ورد في إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥، ٦ لذلك لم تكن رسالة المسيح إلا رسالة قومية يهودية، أي لقومه من اليهود، وليست رسالة عالمية، كما يزعم الرهبان والقساوسة حالياً، بل إن هذا من مخترعاتهم التي لا أساس لها والنص السابق يؤكد هذا النظر وهو:

(هؤلاء الاثني عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا! بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

١٥ ـ يقول الأستاذ عوض سمعان الباحث القبطي:

إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح، يجد أنهم لم ينظروا إليه[1] إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا...؟

ـ لأنهم أي الرسل والحواريين كيهود، كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله: يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال (والتجديف يعني في مفهوم النصرانية الكلام بما لا يليق، وفي معنى آخر هو الكفر).

ـ ولأنهم كيهود أيضاً كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان.. نعم كانوا ينتظرون «المسيا» لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن

---

(١) انظر في باب وثائق، الوثيقة الثانية، صورة الحكم الجنائي الروماني ضد المسيح.

سوى رسول ممتاز يأتيهم من عند الله، وليس هو ذات الله (كتاب: الله طرق إعلانه عن ذاته؛ للأستاذ عوض سمعان).

القرآن الكريم يأتي بالقول الفصل:

ـ ولقد حسم القرآن قضية الرسالة إلى المسيح عليه السلام، فقرر أنها لبني إسرائيل فقط.

قال تعالى:

﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٩].

فهذا النص القرآني يقطع بأن رسالة المسيح عليه السلام قاصرة على بني إسرائيل، كما حسم القرآن الكريم قضية عبودية المسيح عليه السلام لله سبحانه، قال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلكَ المسيحَ ابنَ مريم وأمَّهُ ومنْ في الأرض جميعاً﴾ [سورة المائدة: الآية ١٧].

فإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولا عن أمه شيئاً، فكيف يكون إلٰهاً؟ وهو لا يستطيع دفع الهلاك عن نفسه، ومن صفات الإلٰه أنه لا يعجز عن شيء، وإذن فإن المسيح ابن مريم، وأمه مخلوقات كسائر مخلوقات الله.

ـ أما عالمية الرسالة فلم تكن إلا للإسلام باعتباره ختام رسالات السماء، وكلف بها خاتم الأنبياء محمد ﷺ فبلغها إلى العرب والعجم والأبيض والأسود والأحمر والأصفر، فرسالة الإسلام هي الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى امتدت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.

فالإسلام رسالة الخلود التي قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة، ويطوى بساط هذا العالم، فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للإنسانية، فليس بعد الإسلام شريعة ولا بعد القرآن الكريم كتاب، ولا بعد محمد ﷺ نبي من الأنبياء، ولا رسول من رسل الله.

قال تعالى:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨].

﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ [سورة الفرقان: الآية ١].

***

(٢)

أناجيل النصارى بين الشك والظن وطوائفهم التي انسلخت من عقيدة التوحيد[١]

إن أي كتاب سماوي يستحق أن يخضع الناس له، وللِامتثال لأحكامه لا يكفي في إسناده إلى شخص ذي إلهام أي إلىٰ مجرد الظن والوهم بل لا بد:

أولاً: أن يثبت ذلك الكتاب أنه من الله.

ثانياً: وأن يثبت أنه هو الذي أنزله على النبي والرسول الفلاني.

وهذا الثبوت يكون بسند متصل في جميع طبقاته متواتر في عامة مراتبه، أي رواه أناس كثيرون عن أناس كثيرين يؤتمن تواطؤهم على افتراء الكذب، فلا يكون هناك تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان.

وأناجيل النصارى المقدسة والمتداولة بين أيديهم ليس فيها ما يوجب القطع فيما تنقله عن المسيح عيسى ابن مريم أو ما تسنده إليه، وما فيها لا يفيد أكثر من الظن والوهم لانقطاع سند الصحة فضلاً عن التواتر في نسبتها إلى الله، أو أنها هي التي كانت منزلة على المسيح عليه السلام.

فإذا كان الظن والوهم هما فقط سند تلك الكتب المقدسة عند النصارى، فلماذا إذاً رُفضت الكتب الأخرى المنسوبة إلى المسيح وأمه وحوارييه وتابعيهم، والتي وصلت إلى سبعين كتاباً وإنجيلاً أو ما يزيد على ذلك، ودليلها لا يقل في الحجية عن دليل الظن السالف الذكر؟

(١) نشر بمجلة منار الإسلام العدد الأول من السنة الثالثة حرم سنة ١٣٩٨هـ يناير سنة ١٩٧٨م.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أنزل على السيد المسيح إنجيلاً واحداً فما بالنا نرى بأيدي النصارى أربعة أناجيل بخلاف الرسائل الأخرى المنسوبة إلى بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا؟

وإذا كانت ليست كلها من عند الله سبحانه وتعالى بل واحد منها فقط، ولا يمكن تعيينه بعينه ـ لم يكن من المعقول اعتماد شيء منها إذ كل واحد منها يحتمل أن يكون وحده هو المنزل، هذا فضلاً عن الأناجيل والكتب التي رفضوها أيضاً، فلماذا لا يكون واحد منها فقط هو الثابت نزوله من عند الله؟ مما يدعو إلىٰ الشك فيها جميعها ورفضها كلها من أساسها.

ومن المسلَّم به في مسائل العقائد أنها تنبني على اليقين، وليس على الظن أو الشك؛ لذلك لم تكن لهذه الأناجيل أو الرسائل أي حجية عقلاً لأنه لا حجة مع الاحتمال أو الشك.

ما هو السبب في كثرة ما كُتب ونُسب إلى السيد المسيح عليه السلام؟

إن السبب في ذلك هو أن أحاديث المسيح ومواعظه كانت شفاهة، لم تحصر في مكتوب أو يسطرها القلم في عهده، ولا في زمن متقارب منه، لأن دعوته نشأت أساساً في مدينة الناصرة بإقليم فلسطين بين جماعة من بني إسرائيل صيادي الأسماك، كان يتفشى الجهل فيهم، وكان حولهم شعب اليهود الذين كذبوا دعوته، وائتمروا على قتله بعد أن رفضوه ورفضوا رسالته.

وعندما ذهب المسيح عن هذا العالم قام أصحابه بتحرير فقرات قليلة كانت محفوظة في صدر كل منهم ادعى فيها أنها الإنجيل المنزل على المسيح، فاشتعلت عندئذ المنازعات، وتشيَّع لكل واحد بعض أتباعه من العوام، وكان قد تسرب إلى عقائدهم كثير من أمور الزيغ والانحراف، وتغلغل فيها شيء من مظاهر الشرك والوثنية، فأريقت بسبب هذه الاختلافات الكثير من الدماء، واستمر الحال على ذلك حتى أوائل القرن الرابع الميلادي.

ولقد وصلت الكتب المنسوبة إلى المسيح عليه السلام، إلى أكثر من سبعين كتاباً

أو إنجيلاً، وعدَّها البعض إلى ١٠٠ كتاب، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت إلى جانب الفرق التي تدين بالتوحيد الفرق المثنية والمثلثة الآتية[١]:

١ ــ طائفة تدعى بالمرقيونيين:

تنتسب هذه الفرقة إلى زعيمها مرقيون أو مرسيون، كان قسيساً من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان يعتقد بوجود إلّهين، أحدهما إلّه عادل كان قد اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً له، وأنزل عليهم التوراة. والإلّه الآخر هو إلّه الخير، ظهر متمثلاً في المسيح، وخلص الإنسان من الخطايا، وأبطل أعمال الإلّه الأول، وبناء على ذلك فإن هذه الطائفة لم تكن ترى قدسية لكتب العهد القديم، بل ترفضها جميعها، كما ترفض كتب العهد الجديد أيضاً، ولا تعتمد إلاَّ على إنجيل خاص بها هو إنجيل مرقيون.

وتشبه هذه الفرقة في اعتقادها ما يعتقده أتباع ديانة زرادشت الفارسية القديمة، والتي تقوم على وجود إلّهين هما إلّه الخير وإلّه الشر، وقد انقرضت هذه الفرقة حوالي القرن العاشر الميلادي.

٢ ــ فرقة البريدانية:

وكانت تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه معاً، وظلت هذه الفرقة حتى القرن السابع الميلادي، حيث كان لمذهبها أتباع وقتئذ ثم انقرضت بعد ذلك.

٣ ــ فرقة إليان:

وكانت تذهب إلى القول بأن المسيح إلّه، وأنه ابن إلّه، وأنه مرَّ في بطن أمه كما يمر الماء في الميزاب، لأن (الكلمة الابن) دخلت من أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح وقتله وصلبه في أعين الناس هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الثالث عشر الميلادي، حيث كان أتباعها باليمن والشام وبلاد أرمينية.

٤ ــ فرقة التثليث:

وهي المذهب الغالب على طوائف النصارى حالياً.

وتذهب إلى أن الإلّه ثلاثة أقانيم، وهي الآب والابن وروح القدس، وأن الآب

---

(١) انظر في باب وثائق، الوثيقة الرابعة؛ تقرير معهد البحوث القرآنية في جامعة ميونيخ.

هو الله، وأن الابن هو الكلمة وهو المسيح، وأن روح القدس هو الملاك الذي بشر السيدة مريم بولادة المسيح، وكان بطريرك كنيسة الإسكندرية، وبابا روما من أنصار هذا الرأي وقتئذ، وقد اتفقا على تغليب هذا الرأي وجعله عقيدة لجميع طوائف النصارى، وذلك في بداية القرن الرابع الميلادي عندما اعتنقت الدولة الرومانية عقيدة النصرانية وجعلتها ديانتها الرسمية في المؤتمر الذي دعت إليه بمدينة نيقية من أعمال آسيا الصغرى سنة ٣٢٥ م (الدولة التركية حالياً) بحضور ٣١٨ من الأساقفة الذين يتدينون بمبدأ التثليث.

وقد اتخذ هذا المؤتمر ضمن ما قرر القرارات الآتية:

١ ــ تقرير عقيدة التثليث، ويدعونها أيضاً، عقيدة الأمانة.

٢ ــ تقرير ألوهية المسيح.

٣ ــ إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح أو تحريم قراءتها، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تُقرر بأن المسيح إنسان، وأنه مجرد بشر رسول.

٤ ــ تقرير قدسية الكتب الأربعة المتداولة حالياً بين النصارى، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وكذلك ما ألحق بها من رسائل تنسب أغلبها إلى بولس ثم إلى يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا.

ما يقوله الأب عبد الأحد داود المطران الآشوري العراقي:

يقول ذلك المطران النصراني وهو من رجال القرن الماضي الميلادي في كتابه (الإنجيل والصليب): إن تلك الأناجيل الأربعة المعتبرة بيد النصارى حالياً، وكذلك الرسائل الملحقة بها، لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلاَّ في القرن الرابع الميلادي بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥ ميلادية؛ لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم النصراني قبل هذا التاريخ.

ويؤكد هذا الحبر النصراني أن تلك الأناجيل الأربعة المشار إليها فيما سبق، لم تكن موجودة حتى في زمن المحررين لتلك الرسائل الملحقة بها، لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً ولا تشير إليها.

كما أن كاتبي الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأناجيل الأربعة، مع أنه لو صحت نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من تلك الرسائل.

ما هو السر في تشبث كنيسة الإسكندرية بعقيدة التثليث؟

إن السبب في ذلك أن كنيسة الإسكندرية وقتئذ كانت تعتنق المذهب الإسكندراني، وهو المذهب الفلسفي الذي نادت به مدرسة الإسكندرية التي كان يتزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي، وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة، وكانت آراؤها في العقيدة ترتكز على الثالوث المكون من **الله والعقل والروح**، وقد امتدت جذور ذلك الثالوث الأفلوطيني حتى عقيدة المصريين القدماء، وقد أشار إلى ذلك (المستر وليم أوكسلي) في كتابه (مصر وعجائب أرض الفراعنة) بأن بعض قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوزوريس كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريباً، أي أنه ولد بالروح، وكان والده ووالدته إلّهاً واحداً بثلاثة أقانيم، وأنه بعد ما قتل وقطع جسمه قطعاً عاش ثانية، وانتهى المؤلف إلى القول بأن الديانة النصرانية هي نوع مما كان يعتقد به القدماء، واستشهد المؤلف بصور وكتابات قال إنها كانت موجودة في قصر أنس الوجود بأسوان، التي تقع في جنوب مصر، وقد نشأ بطريرك الإسكندرية في هذه البيئة التي انتعش فيها مذهب أفلوطين، لذلك لم يكن عجباً منه عند تواجده في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أن يكون من المدافعين عن عقيدة التثليث.

ما هو سبب مناصرة بابا روما وقتئذ لعقيدة التثليث؟

إن سبب ذلك أن الديانة الميترية كانت سائدة على روما، منذ أن نزحت إليها حوالي سنة ٧٠ قبل الميلاد، ومن هناك انتشرت في جميع بلاد الرومان، وصعدت إلى شمال إيطاليا، حتى وصلت إلى بريطانيا، ولقد تأثر بابا روما وقت حكم الامبراطور قسطنطين بهذه الديانة، لأن اعتقادها في الإله ميترا هو نفس ما يعتقده النصارى حالياً في المسيح، لذلك تلاقت أهدافه مع أهداف بطريرك الإسكندرية عند انعقاد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية لتقرير عقيدة التثليث.

ما هو السر في تدخُّل الامبراطور قسطنطين شخصياً لتأييد عقيدة التثليث؟

تناقل الرواة والمؤرخون أن قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم النصراني، لتقرير مبدأ في العقيدة النصرانية بالنسبة للمسيح، كان نفسه ممن يميل مع القائلين بألوهية

المسيح، وعقيدة التثليث، لذلك اختار من الأساقفة المجتمعين ٣١٨ أسقفاً ممن يميلون إلى رأيه، وألف منهم مجلساً خاصاً، خوله إصدار تلك العقيدة، وذلك أنه وقت انعقاد المؤتمر كان وثنياً ولم يكن قد دخل النصرانية بعد، فأيَّد الرأي المناصر للعقيدة المشار إليها، وذلك حتى يقرب النصرانية من وثنيته التي كان يعتنقها، حيث كانت ديانة ميترا إلّه الرومان واليونان منتشرة في أرجاء الامبراطورية الرومانية في هذا الزمان.

ويقول عن ذلك (المستر جون روبرتس): إن الميترايزمية لم تمت باعتناق الرومان للنصرانية لكنها تقمصت في النصرانية.

وهل سلمت تلك الكتب التي تقررت قدسيتها من التغيير والتبديل؟

١ ــ يقول هاورن في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ ما نصه:

(الحالات التي وصلت إلينا في بادىء زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء، وغير معينة لا توصلنا إلى أمر معين، والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية، وكتبوها وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة).

٢ ــ ويقول (لاردنر) في تفسيره في المجلد الخامس: (هكذا حكم على الأناجيل المقدسة، لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر القيصر (أناسطيوس) في الأيام التي كان حاكماً فيها على القسطنطينية **فصححت مرة أخرى**).

٣ ــ ويقول (أكهارت) العالم الألماني في مقدمة أبحاثه: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا.

٤ ــ أما المؤرخ (سلسوس) فإنه يقول: إن النصارى بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات أو أزيد من هذا تبديلاً، كأن مضامينها أيضاً بدلت، ويعلل سلسوس سبب ذلك في كتبه بأن الكذب والخداع كانا بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ.

٥ ــ بل إن أرجن كان من الذين أفتوا بجواز الكتب الكاذبة، ونسبتها إلى الحواريين أو التابعين أو إلى قسيس من القسس المشهورين، ومصرح ذلك في الحصة

الثانية من الباب الثالث من تاريخ كليسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ (لوليم سيور) باللغة الأوردية، وهي إحدى لهجات الهند.

القرآن الكريم ينعى على النصارى ابتعادهم عن التوحيد ويرد بالحجة على تلك الفرق السابقة التي اعتنقت فكرة تعدد الإله طبقاً للآتي:

١ ـ قال الله تعالى:

﴿وقال الله لا تتخذوا إلّهين اثنين، إنما هو إلّهٌ واحدٌ، فإياي فارهبون﴾ [سورة النحل: الآية ٥١].

فهنا زجر ونهي من الله عن اعتناق عقيدة ثنائية الإلّه، سواء كانت هذه الثنائية عن إلّهين هما: إلّه الخير وإلّه العدل كما يزعم المرقيونيون، أم كانت الثنائية عن إلّهين آخرين هما المسيح وأمه، كما تزعم بذلك فرقة **البريدانية**.

ثم استكملت الآية بيانها مؤكدة في ذلك إثبات الألوهية والوحدانية لله سبحانه وتعالى وحده.

٢ ـ وقال سبحانه:

(أ) ﴿بديع السموات والأرض، أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠١].

(ب) ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلّهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ [سورة المائدة: الآية ١١٦].

فمقام الألوهية منزه عن أن يكون للإلّه ولد، أو تكون له صاحبة، لأنه خالق كل شيء، والصاحبة والولد والتوالد من مقتضيات البشر وصفاتهم. وفي يوم القيامة يسأل الله سبحانه وتعالى المسيح عن دعوى الألوهية التي ألصقها النصارى به، وكذلك بأمه فيرد المسيح توبيخاً لهؤلاء الذين يزعمون أنهم قومه متبرئاً من دعواهم وذلك على رؤوس الأشهاد.

٣ ــ وقال تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

فمن ادعى بأن الله هو المسيح ابن مريم ابتعد عن حظيرة الإيمان ودخل في زمرة الكافرين، لأن المسيح بشر والبشر لا يصح أن يكون إلّهاً، ونسبة المسيح إلى مريم للإيذان بأنه ليس له حظ من الألوهية.

وزعم النصارى ألوهية المسيح على الرغم من أن المسيح نفسه قال لهم: اعبدوا الله ربي وربكم، وقدَّم ربوبية الله تعالى إليه على ربوبيته عز وجل إليهم للدلالة على أنه بشر مثلهم ولهذا أعطفهم عليه.

ونحن مع أننا نوقن بل نؤمن بأن الكتب المقدسة المتداولة بين أيدي النصارى، كما قدمنا، قد تطرق إليها التحريف والتغيير والتبديل، وزخرت بالمتناقضات، ولكنها بقيت فيها ــ مع هذا ــ بقية ناطقة بالتوحيد، تؤيد ما قررته الآية السابقة، ومثال ذلك تلك الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام قوله:

(أ) (وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) [إنجيل يوحنا: إصحاح ٨، عدد ٤٠].

(ب) (للرب إهك تسجد وإياه وحده تعبد) [إنجيل متى: إصحاح ٤، عدد ١٠].

(ج) (ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني) [إنجيل يوحنا: إصحاح ٦، عدد ٣٨].

وفي الآية القرآنية المشار إليها أنذرهم المسيح عليه السلام بأن الله قضى ولا راد لقضائه أن الله حرم دخول الجنة على من أشرك في عبادته أحداً من خلقه، وأن مقر المشركين جميعاً في نار جهنم.

٤ ــ وقال سبحانه:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إلّه إلاَّ إلّه واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣].

فمن قال بالتثليث وهو العقيدة السائدة حالياً بين الطوائف النصرانية، كان من الكافرين، ولقد اعترف كبار علماء اللاهوت، في قاموس الكتاب المقدس:

(أنها لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أنَّ أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنيسة المسيحية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي) [انتهى ما ورد بقاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٢، ٢٣٣].

ومن هذا يتضح أن التثليث ابتدع رسمياً بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، وأنه دخيل على النصرانية الحقة الموحدة، وبهذا استحق القائلون به الحكم عليهم بالكفر الصريح، ولقد أيد كبار الباحثين ـ كما قدمنا سابقاً ـ أن التثليث تسرب إلى النصرانية من العقائد الوثنية التي كانت سائدة قديماً.

والحق أنه لا يمكن عقلاً أن يكون الإلّه إلاَّ واحداً، أما تعدد الآلهة فهو وصم لها بالقصور، لأن قدرة كل منهم تكون حينئذ مقيدة بقدرة الآخرين، والإلّه لا يكون محدود القدرة والسلطان فضلاً عما يصيب ملكوت السموات والأرض من فساد بهذا التعدد. قال تعالى:

﴿لو كان فيهما آلهة إلاَّ اللَّهُ لفسدتا﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٢].



(٣)

كيف أُلِّفت كتب ورسائل النصارى المقدسة وما هي اللغة التي كُتبت بها

إن اللغة التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام هي اللغة الآرامية، لأنه ولد في فلسطين حيث كان سكانها يتكلمون تلك اللغة في عهده، ولقد سادت تلك اللغة في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد لا على فلسطين وحدها، بل على سوريا وبلاد العراق، ثم انقسمت اللغة الآرامية إلى مجموعتين:

إحداهما: مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية وتشمل اللهجات الآرامية ببلاد العراق، **والأخرى:** مجموعة اللهجات الآرامية الغربية وتشمل اللهجات الآرامية بسوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء، وهذه تنقسم إلى لهجات كثيرة منها: اللهجة التي يطلق عليها علماء اللغة اسم (الآرامية الفلسطينية الحديثة).

فهل حررت أناجيل النصرانية الأربعة ورسائلها المقدسة باللغة الآرامية لغة المسيح التي كان يتكلم بها؟

والجواب عن ذلك بالنفي، لما ثبت من أن جميع تلك الكتب والرسائل المقدسة لديهم حررت باللغة اليونانية، اللهم إلا كتاب موعظة متى فهو الذي قيل أنه تم تأليفه باللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة، ويرجعون تاريخه إلى سنة ٤٠ بعد الميلاد لكن الموجود من هذا الكتاب هو ترجمته اليونانية، إذ أن نسخته الأصلية المحررة باللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة لم يصل إليها الباحثون، ويقرون بفقدها، وكل ما وصل إليهم تلك المترجمة إلى اللغة اليونانية بعد تأليفه وذلك حوالي سنة ٦٠ ميلادية، ولا يظهر في الترجمة المذكورة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي سبق تحريره بها، وتتمثل في عدد قليل من الكلمات الآرامية مدونة بحروف يونانية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن متى المنسوب إليه ذلك الكتاب، لم يكن أصلاً من

حَوَارِيِّي، المسيح الاثني عشر، وقد تم اختياره استكمالاً لهذا العدد بعد ذهاب المسيح عليه السلام عن هذا العالم، وهلاك يهوذا الاسخريوطي، والذي كان من الاثني عشر حوارياً، لكنه خان المسيح، وأرشد أحبار اليهود وجنود الرومان إلى مقره وسهل لهم عملية القبض عليه، فتمكنوا ـ كما تزعم بذلك مراجعهم ـ من محاكمته وصلبه، لذلك اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار رجال النصرانية وقتئذ تحت رياسة بطرس فوقع اختيارهم على اثنين، يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثني عشر وهما (برساباس) الملقب جوستنوس ومتى، ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم متى فاختير بمعرفتهم حوارياً.

ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل، ولا من هو المترجم له، وما هو حال هذا المترجم في القوة أو الضعف في النصرانية، وهل هو من النصارى أم من اليهود، أو من الوثنيين أو من غيرهم، ثم أين ذلك الأصل الذي تمت الترجمة منه، حتى تتم المقارنة بينهما، كل ذلك ليس له عند النصارى جواب، فأية قيمة علمية إذاً لوثيقة لا يعرف أصلها، ولا مترجمها، ولا سند لها متصل بالمسيح عليه السلام أو تلامذته.

ومع كل ذلك فالنصارى تجزم بأنه كتاب معتمد لديهم، وتتخذه دستوراً مقدساً ترجع إليه في عقائد دينها وأصوله، مع أنه لا توجد جرثومة دليل على أنه لمتى الحواري.

أما عن كتاب مرقص فإنه ينسب إلى مرقص أحد تلاميذ المسيح، أو الأنصار أي الأنصار الاثنين والسبعين، وقد أطلق عليهم اسم التلاميذ أو الأنصار لأنهم كانوا ملازمين لصحبة المسيح عليه السلام، والأخذ عنه، أو الأخذ عن الحواريين الاثني عشر، كما أنهم قاموا بنشر النصرانية والدعوة إليها وقتئذ، ومن هؤلاء التلاميذ كان أيضاً القديس برنابا المنسوب إليه (إنجيل برنابا) والذي تنكره الكنائس النصرانية حالياً؛ لاشتماله على عقيدة التوحيد والبشارة بالنبي محمد ﷺ.

ولقد صاحب مرقص الحواري بطرس وتبعه عند ذهابه إلى روما، وبعد مقتل بطرس في سجون روما توجه مرقص إلى الاسكندرية، ونشر فيها النصرانية، وأنشأ بها الكنيسة المسماة باسم بطرياركية الاسكندرية، كما تدعى أيضاً (بالكرازة المرقسية) ثم قتل سنة ٦٨ بعد الميلاد في أحد سجون الاسكندرية.

ويقولون إن مرقص قام بتأليف هذا الإنجيل، بطلب من أهالي روما حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ بعد الميلاد باللغة اليونانية تحت إشراف أستاذه بطرس وإرشاده، وقد رجع إليه في

بعض أموره، واستمد منه بعض الذكريات، وقال بعض المؤرخين: إن القديس بطرس هو المحرر له، وإن نسب إلى مرقص، ومما تجدر ملاحظته أن مرقص وأستاذه بطرس كانا ينكران ألوهية المسيح التي هي حالياً مدار الاختلاف بين معتنقي النصرانية وغيرهم، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يستقيم هذا مع ما ورد فيه من عبارات (يسوع المسيح ابن الله) كما هو وارد مثلاً في بداية الإصحاح الأول منه، فالجواب عن ذلك أن مثل هذه الكلمات بالقطع إلحاقية ولا توجد في أصوله القديمة.

وشبيه من هذا ما ورد في تفسير الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست الأمريكي بأن ما جاء في إصحاح ١٦ من هذا الإنجيل، من عدد ٩ إلى عدد ٢٠، لم يكن في النسخ الأصلية القديمة بل أضيفت إليه فيما بعد فقرات، وتلك الفقرات هي الآتي:

(وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه، وهم ينوحون ويبكون، فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا).

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا.

أخيراً ظهر للأحد عشر وهم مُتَّكِئُون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه.

ويقول مارغوسطنيوس: (إني لم أكن أؤمن بإنجيل لوقا لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة). مما يفهم منه أنه لولا أن الكنيسة تعتبر ذلك الكتاب قانوني في الإيمان لرفض مارغوسطنيوس قبوله.

أما عن كتاب يوحنا فهو منسوب إلى القديس يوحنا، والذي كان من كبار الحَوَاريين الاثني عشر، وهو شقيق الحواري يعقوب الكبير، وهما ابنا زبدي، كانا من الدعاة الأولين للنصرانية، وتقول عنه مراجع النصرانية إنه كان من أحب الحواريين إلى المسيح عليه السلام وأقربهم إلى قلبه.

وقد تم تأليف ذلك الكتاب باللغة اليونانية سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ ميلادية، ومنها إلى اللاتينية والتي ترجم منها إلى لغات العالم المختلفة.

ومما يلاحظ على هذا الكتاب الآتي:

١ ــ انفرد في صدر إصحاحه الأول بالعبارات الآتية:

(في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله).

وهذه الفقرات متناقضة المعنى، لا تتفق مع مفهوم العقل فإن قوله: (والكلمة كان عند الله) لا يلتئم مع قوله: (وكان الكلمة الله) فإذا كان الله عين الكلمة، لا يصح أن تكون الكلمة عنده، لأن العندية تقتضي المغايرة، لأنها عبارة عن حصول شيء عند شيء كحصول المال عند زيد، ولا شك أن المال غير زيد، وزيد غير المال، وهذا ظاهر لا جدال فيه، فكيف تكون الكلمة عند الله، وأيضاً تكون عين ذاته، ثم تتجسد، وتكون ابنه، والابن عين أبيه، والأب عين الابن؟.

والكلمة والكلام هنا صفة للمتكلم، والصفة لا تكون عين الموصوف، فكلمة الله إذاً ليست ذات الله تعالى.

ولم ير في شرائع الأنبياء أو في كتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى، والقول بخلاف ذلك هو مخالفة لشرائع الأنبياء والمرسلين وتجاوز على مقام رب العالمين.

٢ ــ ولقد قال استاولن في العصور المتأخرة، ونقله عن صاحب كاثلك في صحيفة ٢٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية صنفه باللغة اليونانية (تلك المدرسة التي اعتنقت مبادىء الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها).

ولقد كانت فرقة (ألوجين) في القرن الثاني تنكر هذا الكتاب وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف، ويقول بذلك أيضاً المحقق (برطشنيدر).

٣ ــ جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصرانية ما نصه:

(أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد به صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه

غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي، الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني، بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى).

ويقول الأب عبد الأحد داوود الآشوري في كتابه (الإنجيل والصليب) أنه يلاحظ على الكتب الأربعة السابقة والمعتمدة لدى طوائف النصارى الآتي:

*** الملاحظة الأولى:**

أن هناك تيارَين مختلفَين:

أحدهما: يصور المسيح بسيرته الحقيقية، وواضح هذا في كتب متى ومرقص ولوقا، ويظهر ذلك في الطبعات الأولى لها، لكنه تغير في الطبعة الثانية والثالثة وما بعدها، فقلبوا المعلم وجعلوه رباً وإلٰهاً نازلاً من السماء إلى الأرض.

ثانيهما: تيار يصور المسيح بأنه كلمة الله وابن الله، تجسد وصار إنساناً وهذا ما سطره كتاب يوحنا.

مع أن المهمة التي أرسل الله لها المسيح عليه السلام هي:

١ ــ إصلاح بني إسرائيل.

٢ ــ شرح الشريعة الموسوية لبثّ الروح الجديدة فيها.

٣ ــ إعداد كل شيء لمجيء ملكوت الله الذي سيأتي فيما بعد، والذي أرسل هو بصورة خاصة لأجل البشارة عنه. وذكر أن ملكوت الله هذا يعني دين الإسلام ورسالة النبي محمد ﷺ بوصفها ختام رسالات السماء.

وكل ما يخالف المعاني السابقة ليس بصحيح، وليس بصحيح أيضاً أن الحق بتلك الكتب الأربعة (المدعاة أناجيل).

ومثال ذلك فإن من يقول: (لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة)، لا يقول: (أنا نور العالم)، ولا يقول: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم). فالعبارة الأولى هي الأحرى بالاعتماد عليها أما العبارات الأخرىٰ المخالفة فيجب طيها.

*** الملاحظة الثانية:**

إنه من المسلَّم به أنه كان هناك إنجيل أنزله الله على المسيح عليه السلام، ولكن

ماذا كان ذلك الإنجيل؟ وماذا صار إليه أمره؟ لا أحد يعرف الإجابة على هذا السؤال، لأن المسيح لم يترك سطراً واحداً بهيئة كتاب.

* **الملاحظة الثالثة:**

أن العالَم النصراني بقي حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بغير ما كتاب مقدس معتمد، أي حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الأمبراطور قسطنطين، بل كان هناك شتات من الكتب والرسائل المختلفة مع فئات النصارى الكثيرة، وطوائفهم المختلفة، وهناك في مدينة نيقية بعد طرد أنصار التوحيد من المؤتمر، وعلى رأسهم (آريوس)، وقد كانوا أغلبيته ثم انتخاب أربعة كتب، خلعوا على كل منها اسم إنجيل، كما تم انتخاب الرسائل المعتمدة لديهم حالياً وضموها إلى تلك الكتب الأربعة الأخرى.

* **الملاحظة الرابعة:**

أن الكتب الأربعة المتداولة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته، لم توجد في زمانه بل وجدت بعد وفاة تلاميذه بزمن طويل، ووصلت محرَّفة بعد أن عبثت بها أقلام كثيرة.

ويقول (لاوثر) في تفسيره في المجلد الخامس: (هكذا حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر القيصر أغسطنيوس في الأيام التي كان حاكماً في القسطنطينية فصححت مرة أخرى).

ويقول أكهارت أحد العلماء الألمان: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه.

ويقول المستشرق الفرنسي (إيتين دينيه): إن نصوص الإنجيل تبعث في النفس الشك في صحة تلك الأناجيل التي بين أيدينا، لأن الإنجيل الموحى من الله إلى المسيح عليه السلام بلغته وبلغة قومه ضاع واندثر ولم يبق له أثر.

وقد نقل المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح، وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها، واللغات التي ألفوا بها، وأن نسخها الأصلية فقدت.

أما عن الرسائل الملحقة بكتب النصرانية فتنقسم إلى الأقسام الآتية:

ـ **القسم الأول**: هو سفر أعمال الرسل، ويقصد بهؤلاء الرسل الحواريون والأنصار تلاميذ المسيح عليه السلام، وهذا الكتاب ألفه لوقا صاحب كتاب لوقا **باللغة اليونانية**.

ـ **القسم الثاني**: رسائل بولس وعددها (١٤) رسالة حررت كلها **باللغة اليونانية**.

ـ **القسم الثالث**: الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل، وهي رسائل **يعقوب ويهوذا وبطرس الأولى وبطرس الثانية ويوحنا الأولى ويوحنا الثانية ويوحنا الثالثة** ومحررة جميعها **باللغة اليونانية**.

ـ **القسم الرابع**: رؤيا يوحنا اللاهوتي وقد حرر هذا الكتاب **باللغة اليونانية**.

والملاحظ عل تلك الرسائل السابقة أن كتَّابها لم يدَّعوا لأنفسهم أنهم رسل من الله لذلك لا يمكن القول بأن ما حرروه هووحي من الله، أو بإلهام منه، فمثلاً بطرس في رسالته يقدمها بأنه رسول يسوع المسيح، ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله.

ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا بولس فهو الذي يذكر في رسائله أنه يتكلم عن الله، وأحياناً يقول إنه يتكلم عن نفسه، مع أنه لا يوجد في كتب النصرانية ما يشهد له بالرسالة، أو الإلهام أو الإيمان، إلا سفر أعمال الرسل، وسفر أعمال الرسل هذا محرر بمعرفة لوقا صاحب الكتاب السابق الإشارة إليه، ولم تثبت له معجزة إلهامية حتى يمكن التصديق بكل ما كتب، كما أنه لم يرد عنه في كتب النصرانية أنه كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح، وأخبرهم بأن أسماءهم كتبت في السماء، أو أنه كان من أولئك المائة والعشرين الذين ألقى فيهم بطرس خليفة المسيح خطبته وامتلأوا بالروح القدس على (حد اعتقادهم)، هذا فضلاً عما ثبت عن بولس هذا أنه لم ير المسيح ولم يتتلمذ عليه، بل ثبت بسفر الأعمال المذكور أنه كان عدواً للمسيح ودعوته، ويسوم أتباعه صنوف الاضطهاد والعذاب.

هل كتب النصارى الأربعة ورسائلهم الثلاث والعشرون المقدسة هي ما أنزله الله على المسيح عليه السلام كما حكاه القرآن الكريم؟

والجواب عن ذلك بالنفي طبقاً للآتي:

أولاً: إن تلك الكتب والرسائل تختلف كل الاختلاف عن الإنجيل الذي يذكر القرآن الكريم أنه كتاب مقدس أنزله الله سبحانه وتعالى على المسيح عليه السلام قال تعالى:

﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾ [سورة الحديد: الآية ٢٧].

ثانياً: وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن هذا الإنجيل قد حرف وبدل وزيد عليه، ونسي النصارى كثيراً منه في الأسفار التي يتداولونها باسم العهد الجديد.

قال تعالى:

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مِمَّا ذُكِّروا به فأغْرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوفَ ينبئُهم الله بما كانوا يصنعون﴾ [سورة المائدة: الآية ١٤].

ثالثاً: وقد أشار كتاب يوحنا إلى ذلك أيضاً، أو ما يقرب منه إذ يقول عنه:

(وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب).

ويقول أيضاً:

(وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة).

[انظر إنجيل يوحنا: إصحاح ٢٠، عدد ٣٠، وإصحاح ٢١، عدد ٢٥].

ويُرجع إلى بحثنا تحت عنوان: «كتب النصارى المقدسة وعقيدتهم»، وفيه أن كتب النصارى الأربعة المعتمدة لديهم هي مواعظ وليست الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح عليه السلام، وذلك طبقاً لما حققه الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين بالعراق في القرن الماضي في أبحاثه المدونة بكتابه (الإنجيل والصليب)[١].

***

(١) انظر البحث في أول الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤)

عقيدة التوحيد وعبودية المسيح[1]

النصرانية في مبدأ أمرها كما يحدثنا القرآن الكريم كانت ديانة توحيد، تدعو بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده، وتقرر أن المسيح عليه السلام إنسان من البشر أرسله الله تعالى كما أرسل الأنبياء والمرسلين قبله، لتبليغ رسالة الله إلى من أرسل إليهم.

قال تعالى:

﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

وقال سبحانه:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلَقَه من تراب ثم قال له كُن فيكون، الحق من ربك فلا تكنْ من الممترين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٥٩، ٦٠].

فلفظ كُنْ أي بإرادة الله سبحانه وتعالى، خلقه كما خلق السموات والأرضين والأفلاك والكواكب والبحار والأنهار، فليس ميلاد المسيح من عذراء وهي السيدة مريم مبرراً للقول بألوهيته وأنه ليس من جنس الناس، كما تقول النصارى؛ فإن خلقه لا يقاس بجانب قدرة الله سبحانه، ولا يرفع من قدره إلى مقام الألوهية ويسلخه من جنس الآدمية، ذلك أن المتتبع لدورة الخلق يرى أن الله جلّت قدرته قادر على كل شيء.

١ ـ فآدم: أبو البشر عليه السلام خلق من العدم دون ذكر أو أنثى، رجلاً كاملاً من تراب الأرض، ولم يتوسط في خلقه بشر ودون أن يمر بدور الطفولة.

٢ ـ وحواء: زوجة آدم خلقت من آدم وهو ذكر، وذلك بلا أنثى تتوسط هذا

---

(١) نشر بمجلة منار الإسلام العدد السابع السنة الثانية رجب سنة ١٣٩٧هـ يوليو سنة ١٩٧٧م.

الخلق، بل إنها خلقت امرأة كاملة التكوين نامية الجسم والعقل دون أن تمر بدور الطفولة والمراهقة التي تمر بها سائر الفتيات.

٣ ـ **أما المسيح عليه السلام**: فقد خلق طفلاً رضيعاً تربى في حجر أمه حتى نضج شاباً، ثم رجلاً مع مرور الأيام والشهور والسنين، وقبل ذلك كان جنيناً في بطن أمه تسعة أشهر كاملة.

٤ ـ ثم باقي البشر خلقوا ويخلقون من أب وأم عن طريق الاتصال الجنسي بالزواج الشرعي أو بنحو ذلك.

فإذا كان النصارى يزعمون عجباً أن المسيح قد صار إلّهاً لولادته من أم دون أب فآدم أبو البشر حال خلقه كان أعجب إذ وجد دون أب وأم، وكان خليقاً طبقاً لمنطق النصارى أن يكون أحرى بالألوهية من المسيح الذي خلق من أم فقط، ولا أحد من الناس ادعى ألوهية آدم عليه السلام لذلك السبب، وإلى هذا يشير القرآن الكريم لافتاً الأنظار في الآية الكريمة السابقة.

ما ورد في الكتاب المقدس على لسان المسيح مشيراً إلى الوحدانية:

أورد مرقص في إنجيله ما يؤيد دعوة المسيح عليه السلام إلى وحدانية الله صراحة عندما جاءه أحد الكتبة:

(فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أن إجابتهم حسناً سأله أية وصية هي **أول الكل**؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلّهنا رب واحد، وتحب الرب إلّهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك؛ ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيداً يا معلم، بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه)[١] [انظر إنجيل مرقص: إصحاح ١٢، عدد ٢٨ ـ ٣٢].

---

(١) انظر في باب وثائق: الوثيقة الخامسة مما أورده العالم الأمريكي مايكل هارت عن المسيح عليه السلام في كتابه الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ.

ولفظ يسوع يعني باللغة العربية عيسى أو المسيح.

وعبارة (هي أول الكل) التي وردت في هذا النص تشير على ما يبدو إلى أن هذه الوصية تعني المبدأ المحكم الواضح لحقيقة التوحيد الذي لا لبس فيه ولا التواء مما يقتضي مراعاة تأويل ما عداه من النصوص الأخرى في الكتاب المقدس، والتي توهم بالتشابه أو التشبيه على ضوء هذا النص المحكم، والذي يجب أن تكون له البينة على ما عداه من نصوص.

ما ورد في الكتاب المقدس على لسان المسيح مشيراً إلى مجرد الرسالة له:

أورد يوحنا في إنجيله قوله على لسان المسيح عليه السلام:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته) [انظر إنجيل يوحنا: إصحاح ١٧، عدد ٣].

هذا النص هو المبدأ المحكم الثاني، وبه تتم حقيقة المبدأ المحكم الأول السابق الإلماع إليه، فلقد حدد السيد المسيح بدقة تامة وبألفاظ واضحة طريق الحياة الأبدية، والذي بغيره لا تكون حياة أخرى بل يكون الهلاك لا محالة وهو:

١ ــ الشهادة بوحدانية الله سبحانه وتعالى وأن معرفته هي الحقيقة الكبرى.

٢ ــ الشهادة بأن يسوع المسيح مجرد رسول كلفه الله بالرسالة مثل غيره من المرسلين والأنبياء السابقين.

فرق من النصارى استمرت في حفاظها على عقيدة التوحيد:

لقد ظلت بعض فرق من النصارى محافظة على عقيدة التوحيد، وظل لبعضها أتباع كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادي، ثم انقرضت كلها بعد ذلك بسبب اضطهاد الدولة الرومانية لهم بعد أن قضت على عقيدة التوحيد، واعتنقت عقيدة التثليث رسمياً في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، ومن أهم هذه الفرقِ الفرقُ الآتية:

١ ــ **الآريوسيون**: وهم أتباع آريوس وإليه ينسبون، وآريوس هذا كان قسيساً في مدينة الإسكندرية في أوائل القرن الرابع الميلادي، وبعض المؤرخين يقول إنه كان قسيساً

في كنيسة تبقوميديا ــ وكان داعياً قوي التأثير في سامعيه واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه، وقد قاوم وقتئذ ما ذهب إليه بطريرك الإسكندرية من القول بألوهية المسيح وبنوته لله، إذ قام آريوس يقرر ويعلن أن المسيح ليس إلّهاً ولا ابناً للإلّه، وإنما هو بشر مخلوق ومجرد رسول فقط، وأنكر كل ما جاء في جميع الكتب الأربعة المعتمدة الآن لدى طوائف النصرانية (وهي أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا وما ألحق بها من رسائل) من العبارات التي توهم في مظهرها إلى ألوهية المسيح، وقد انقرضوا في أواخر القرن الخامس الميلادي.

٢ ــ **فرقة ميلتوس**: كان ميلتوس قسيساً في كنيسة أسيوط، وكان يرى ما يراه الآريوسيون من أن المسيح عليه السلام ليس إلّهاً ولا ابناً للإلّه، وإنما هو بشر رسول ومخلوق، وقد انقرضت فرقته بعد تقرير مجمع نيقية ألوهية المسيح سنة ٣٢٥م.

وقد ذكر ابن البطريق في تاريخه (وهو نصراني من رجال القرن الثالث الهجري كان من أشهر مترجمي الخليفة المأمون، وقد ترجم له كتابي المجسطي لبطليموس وأقليدس) في بيان مذهب آريوس: (أنه كان يقول: إن الآب وحده هو الله، وإن الابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب حينما لم يكن الابن)، وقد تبعه مشايعون كثيرون، فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي وعلى رأسها ميلتوس، وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون، كما تبعه خلق كثير في فلسطين، وفي مقدونية والقسطنطينية، وذلك على الرغم من أن كنيسة وبطريرك الإسكندرية لم يأليا جهداً في محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من الحكم عليه بالطرد من الكنيسة في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وتكفيره بعد أن أصدر ذلك المجمع قراره بألوهية المسيح، ثم أخذ الآريوسيون يضمحلون ويتناقصون حتى انقرضوا في أواخر القرن الخامس الميلادي.

٣ ــ **فرقة بولس الشمشاطي**: كان بولس الشمشاطي أسقفاً لإنطاكية سنة ٢٦٠م وكان ينكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول، وقد عقد بإنطاكية من ٢٦٤م إلى ٢٦٩م ثلاث مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر فيها بحرمانه وطرده، ولكن بقي لمذهبه أتباع حتى انقرضوا في القرن السابع الميلادي قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

ويقول الإمام ابن حزم الفقيه والعالم الأندلسي المسلم عن بولس الشمشاطي في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل): (كان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى

عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر وأنه إنسان لا إلاهية فيه).

أما ابن البطريق المؤرخ النصراني الذي أشرنا إليه فيما سبق فيقول في بيان مذهب فرقة الشمشاطي: (إنها كانت تقول): إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم، أي أنه محدث وليس قديماً، ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا بروح القدس).

٤ ــ **فرقة أبيون**: تنسب هذه الفرقة إلى زعيمها أبيون، وكانت تقر شريعة موسى عليه السلام وتعتبر عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح، وترى أنه مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها إنجيل خاص محرر باللغة الآرامية، لا يوجد حالياً شيء من نصوصه، وإن كان التاريخ أورد ذكره، وهذه الفرقة انقرضت هي الأخرى في أواخر القرن الرابع الميلادي.

وهذه الفرق التي أشرنا إليها كانت على ما يبدو تعتمد في عقائدها هذه على ما انتقل إليها من حقائق الإنجيل الصحيح الذي أنزله الله على المسيح عيسى عليه السلام، وعلى بعض الكتب الأخرى من تأليف الحواريين، وتلاميذ المسيح ومن تبعهم، غير تلك الأناجيل الأربعة التي اعتمدها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، والتي يستند عليها النصارى في تقرير عقيدة التثليث وألوهية المسيح. (كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي).

القرآن الكريم يشير إلى معتنقي التوحيد ويبشرهم بالنجاة من العذاب:

لعل تلك الفرق النصرانية التي حافظت على عقيدة التوحيد النقي وانقرضت قبل ظهور الإسلام هي التي أشار إليها القرآن الكريم وأثنى عليها، وحكم بنجاة أفرادها من العذاب، أما من أدرك الإسلام وسمع به وبرسالة النبي محمد ﷺ من أفراد النصارى، ولم يؤمن بها فإن هذه الأحكام لا تصدق عليه، ومصيره إلى النار كالكافرين والمشركين سواء بسواء.

ويؤكد هذا المعنى أن القرآن الكريم حينما يصدر هذه الأحكام يقرر أنها لا تصدق إلّا على ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾:

١ ــ أي حافظ على عقيدة التوحيد الخالص النقي.

٢ ــ وحافظ على شريعة رسوله الذي آمن به دون زيادة أو نقصان.

٣ ــ وكان على ذلك قبل ظهور الإسلام وبعثة نبيه ﷺ.

٤ ــ أو أدرك الإسلام وآمن به وبالرسول محمد ﷺ أياً كان حاله قبل ذلك.

قال تعالى:

١ ــ ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤].

٢ ــ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة البقرة: الآية ٦٢].

٣ ــ ﴿وإنَّ من أهل الكتاب لَمَن يؤمن بالله وما أُنزِل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩٩].

وقوله سبحانه:

٤ ــ ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٢].

٥ ــ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمة مقتصدة، وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٦].

٦ ــ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٩].

التوحيد الخالص وعلماء الغرب في زماننا المعاصر:

١ ـ إن المتتبع لآراء علماء الغرب في وقتنا الحالي يرى أن تصورهم الفكري بالنسبة للإلّه قد تطور، فبعد أن كانت أفكارهم عن الله سبحانه وتعالى مكانية (فوق العالم) نراهم يقولون إن هذه الفكرة قد خالفت الحقيقة منذ مدة طويلة، بل إن بعض علماء النصرانية مثل كارل رانر ينادي بضرورة أن يؤمن المسيحيون (النصارى) بالله الواحد ذي الصفات الحسنى التي توجد في تعاليم الإسلام.

٢ ـ ويقول الأستاذ الجامعي (الدكتور دانتبني) ممثل الكنيسة البروتستنتية في إحدى الجلسات التي عقدت في ڤيينّا في خلال شهر مارس سنة ١٩٧١ بين ممثلي الديانات المختلفة: (إن متابعة إرسال البعثات التبشيرية المسيحية إلى الدول الإسلامية طريق خاطئة).. وطالب باحترام وتفهم أكثر للإسلام[١].



(١) يرجع في ذلك إلى البحث الممتع تحت عنوان أفكار إسلامية دخلت مسيحية عصرنا للدكتور إسماعيل بالك مدرس اللغات الشرقية بجامعة فيينا بدولة النمسا ـ وهو من أبحاث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في المؤتمر السادس؛ المحرم سنة ١٣٩١هـ ـ مارس سنة ١٩٧١م.

(٥)

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

مما لا جدال فيه أن الإنسان عندما يذهب بعيداً عن مصدر النور كثيراً ما تختلط عليه الأمور المتعارفة له، فإذا ما أغرق في البعد عن النور ومصدره فقد التمييز بين كثير من الحقائق.

وقد قالوا: إن الألوان تتشابه في الظلام.

واختلاف الناس في الرأي الذي كان قبل مُسلماً به وواضحاً إنما هو وليدُ بُعْدِهم عن المصدر الأساسي كما بعد صاحب الألوان المتعددة عن النور، فرآها كلها في الظلام لوناً واحداً، ومن هنا تكمن الحكمة الربانية في إنزال الله للكتب السماوية على رسله حتى تكون مصدر ذلك النور الإلهي، الذي يهتدي به البشر وتوصية الأنبياء والرسل لأتباعهم والمؤمنين بهم بالمحافظة عليها نظراً لما تشتمل عليه من عقيدة سوية في التوحيد حتى لا يبتعدوا عنها فتختلط عليهم الأمور، ويتيهوا في ظلمات الشك والحيرة والاختلاف، كما حدث لأتباع المسيح عليه السلام بعد أن فقدوا إنجيل المسيح نفسه.

كيف كان كتاب السماء في دعوة المسيح عليه السلام:

كان كتاب المسيح عليه السلام هو الإنجيل نزل إليه من عند الله، وهو مصدق للتوراة كتاب موسى عليه السلام، وإذا قلنا: «التوراة» فإنما نعني التوراة المنزلة من عند الله، فالإنجيل المنزل ـ أيضاً ـ مؤيد لها قال تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

ولكن أين هذا الإنجيل ذلك الذي نزل على المسيح عيسى عليه السلام؟

هذا الإنجيل ضاع واندثر ولم يبقَ له أثر وعن ذلك يقول نورتن في كتابه الذي طبع في مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧ وقد نقل فيه بعد المقدمة عن العالم الألماني أكهارن:

(إنه كان في ابتداء الملة المسيحية توجد رسالة مختصرة، يجوز أن يُقال إنها هي الإنجيل الأصلي، وأنها وضعت للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها على الترتيب).

ويستطرد العالم الألماني أكهارن في مقدمته إلى أن يقول:

(كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه)[١].

ومن ذلك يتبين احتمال أن هذه الرسالة كانت المرجع لجميع الأناجيل التي كانت رائجة في القرن الأول والقرن الثاني الميلادي، ومنها الأناجيل المتداولة حالياً، لكن هذه الرسالة (التي أشار إليها العلامة أكهارن) فقدت، بمعنى أنها إذا كانت الإنجيل الأصلي فقد فقدت ولم يعثر لها على أثر، وبعدها بقيت تلك الكتابات التي حررها أصحابها وأسبغوا عليها من أنفسهم كلمة إنجيل ووصل عددها حتى أوائل القرن الرابع الميلادي إلى أكثر من سبعين كتاباً أو إنجيلاً وأوصلها البعض إلى ١٠٠ مائة كتاب[٢].

كيف كانت العقيدة في دعوة المسيح عليه السلام؟

إن المتتبع لتاريخ المسيحية حتى تلك الأناجيل الأربعة المتداولة: إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا يتبين أن المسيح كان يبشر بدعوة التوحيد للإله الواحد، وأنه بشر رسول فقط شأنه شأن من سبقه من المرسلين، كإبراهيم ونوح وموسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وقد ورد ذلك صراحة في قوله بإنجيل يوحنا:

---

(١) عن «إظهار الحق»، للإمام رحمة الله الهندي ص ١٠٦ مكتبة الشيخ أحمد المليجي وأخيه الشيخ محمد المليجي.

(٢) عن «مقارنة الأديان» ــ المسيحية، للدكتور أحمد شلبي ص ٩٨.

(وهـذه هي الحياة الأبـدية أن يعـرفوك أنت الإلـه الحقيقي وحدك ويسـوع المسيـح الذي أرسلته)[1].

وهذا مثل ما نقول نحن المسلمين:

(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ومفهوم المخالفة لنص إنجيل يـوحنا أن من يقـول بخلاف ذلـك كمن يؤله المسيـح أو يقول: إنه ثالث ثلاثة (الأقانيم المقدسة) لا تكون له الحياة الأبديـة، بل تكـون له حيـاة الشقاء والعذاب، كما تكرر ذلك من المسيح في قوله بـإنجيل مـرقس، لما جـاء واحد من كتبة الإسرائيليين وسأله: أيـة وصية هي أول الكـل؟ (فأجـابه يسـوع إن أول كل الـوصايـا هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد)[2].

فأيده ذلك الكاتب بقوله:

(جيداً يا معلم، بالحق قلت، لأن الله واحد وليس آخر سواه).

والمسيح ــ عيسى ابن مريم، على نبينـا وعليه أفضـل الصلاة والسـلام ــ يكرر في دعوته إلى عقيدة التوحيد لله ما نص عليه «سفر التثنيـة» وهو أحـد أسفار التـوراة المتداولـة «العهد القديم» في وصاياه لبني إسرائيل، يقول:

(اِسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[3].

(أنا أنا هو وليس إله معي، أنا أميت وأحيـي)[4].

وكل ذلك اتساق مع كلام المسيح كما هو وارد عنه في إنجيل متى في قوله:

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمـل، فالحق أقـول لكم: إلى أن تـزول السماء والأرض لا يـزول حرف واحـد أو نقطة واحـدة من النامـوس حتى يكـون الكل)[5].

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ٣٢، عدد ١٣٩.
(٢) مرقص إصحاح ١٢ ــ ٢٩ إلى ٣٢.
(٣) سفر التثنية: إصحاح ٦، عدد ٤.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ٣٢، عدد ٣٩.
(٥) إنجيل متى: إصحاح ٥، عدد ١٧ ــ ١٨.

هل ورد بالتوراة ما يشير إلى ألوهية المسيح والروح القدس؟

بتقليب صفحات التوراة المتداولة وما ألحق بها من أسفار الأنبياء العبرانيين والذي يطلق عليه العهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها قصص الأب والابن والثالوث ولا ألوهية المسيح أو الروح القدس، ولا تجسد الابن وصلبه تكفيراً عن خطيئة البشر، أو موت الابن وقيامه... إلخ تلك العقائد التي تمتلىء بها ملة النصرانية.

كما أن بشائر الأنبياء التي قيل إنها أعلنت عن مجيء المسيح في العهد القديم ما ذكرت إلا كونه نبياً من البشر دون أي إشارة إلى أنه سيقتل أو يصلب، بل على العكس من ذلك، فإنها تشير إلى أن الله تعالى يحميه ويعصمه من كيد اليهود ويحفظه من شرورهم.

ولندلل على ذلك بأقوال بعض علماء مقارنة الأديان المسيحيين في دول الغرب.

ما يقرره الكاتب المسيحي الفريد آي [١]:

يقرر ذلك الكاتب أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية:

١ ـ قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة.

٢ ـ الله هو أبو البشر وهو الأمل الذي تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً.

٣ ـ الكمال التام والحب الشامل لله.

تلك هي تعاليم النصرانية أو المسيحية لا أكثر ولا أقل، أما ما سوى ذلك من أسس دينية فقد اعتمدت المسيحية فيها على التوراة، وقد مدح المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نفسه بأنه إنما جاء ليتمم التوراة لا ليبدأ ديناً جديداً وذلك في قوله:

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل)[٢].

أما المؤرخ الشهير ويلز (Wells) فيقول:

(كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير المسيح قط

---

(١) كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف ص ١٢، ١٣.

(٢) إنجيل متى: إصحاح ٥، عدد ١٧.

ولا سمعه يبشر الناس، وكان في بداية أمره من أبرز وأنشط المضطهِدين لتلاميذ المسيح قليلي العدد، ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير اسمه من شاؤول، وجعله بولس، وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فنراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية ــ وهي ديانة (ميترا) إله الرومان المكون من ثالوث ــ وكذلك ديانة مدينة الاسكندرية ــ وهي ديانة المصريين القدماء المكونة من الثالوث أيضاً ــ فنقل إلى المسيحية التي كان يبشر بها في الأقاليم الوثنية من حوض البحر الأبيض المتوسط كثيراً من أفكار معتنقي الديانات السابقة ومصطلح تعبيراتهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة المسيح الأصلية وتنميتها وهي فكرة ملكوت السموات، ولكنه علّم الناس أن المسيح هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية، وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات:

١ ــ كالقسيس الحليق.

٢ ــ وتقديم النذور.

٣ ــ والهياكل والشموع.

٤ ــ والترتيل والتماثيل التي كانت لعقيدة ميترا وعقيدة الاسكندرية.

٥ ــ بل تبنت أيضاً حتى عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوتية.

٦ ــ وراح بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن المسيح كشأن أوزوريس كان رباً مات ليبعث حياً وليمنح الناس الخلود)[1]. انتهى كلام المؤرخ ويلز.

ويقول العالم الأمريكي المعاصر مايكل هارت عن المسيح وعن بولس الآتي:

أولاً ــ عن المسيح عليه السلام:

إن المسيح أرسى المبادىء الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها الروحية، وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني، فهو صاحب الرسالة الروحية. لكن مما تجدر الإشارة إليه أن قصة حياة المسيح وإن كانت وردت في العهد الجديد إلا أن أكثر تلك المعلومات ليست

---

(١) كتاب مقارنة الأديان «المسيحية»، للدكتور أحمد شلبي ص ١١٩، ص ١٢٠ نقلاً عن كتاب (A Short History of the World pp. 178 -179.).

مؤكدة، فلا يقين على اسمه الحقيقي، وأغلب الظن أنه يحمل الاسم اليهودي المعروف (يشوع)، وسنة ميلاده ليست مؤكدة وإن كان يقال إنه قد ولد قبل السنة التي أجمع عليها رجاله بست سنوات، حتىٰ سنة وفاته التي أجمع عليها حواريوه ليست معروفة ولا مؤكدة، كما أن المسيح لم يترك وراءه ورقة واحدة مكتوبة.

ومما يؤسف له حقاً أن الأناجيل المتداولة يناقض بعضها بعضاً، فمثلاً إنجيل متى وإنجيل لوقا يتناقضان في إيراد الكلمات الأخيرة للمسيح، وقد أشير كثيراً إلى أن المسيح كان يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهود الذين جاءوا في التوراة، كما أنه كان قد تأثر بهم أعمق الأثر.

ثانياً ـ عن بولس:

بولس هذا هو الذي ألف جانباً كبيراً من الرسائل، فمن بين السبعة والعشرين سفراً من كتاب العهد الجديد ألف أربعة عشر سفراً، ومن أهم أفكاره.

١ ـ أن يسوع المسيح لم يكن نبياً بشرياً بل كان إلٰهاً.

٢ ـ وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر.

٣ ـ وأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع، وإذا آمن بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه.

٤ ـ وبولس هذا هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى.

٥ ـ كما أن بولس هو الذي أعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة، ولا التمسك بتعاليم موسى عليه السلام لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافياً لخلاص الإنسان. وإنما الإيمان الحق هو الذي يحقق للإنسان خلاص روحه، وجسده.

وبولس في تعاليمه وأفكاره:

١ ـ إنما يردد أفكاراً كانت شائعة في زمانه، ولكن المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس.

٢ ـ وبولس هذا هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية عن مجرد ملَّة لطائفة يهودية إلى ديانة كبرى.

٣ ــ وهو المسؤول عن (تأليه المسيح).

٤ ــ بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح[١].

كيف تقررت ألوهية المسيح؟

قلنا فيما سبق: إن المسيح عليه السلام ما كان يبشر في دعوته إلا بعقيدة التوحيد للإله الواحد، وأنه بشرٌ رسول فقط، إلا أنه بعد ذهابه عن هذا العالم لقي المؤمنون به صنوفاً من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون، حتى لقد فقد الكثير من كتب المسيحية ومراجعها خصوصاً إنجيل المسيح نفسه، كما قضي على أتباع المسيحية الحقيقيين، ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلأت ــ نتيجة أفكار بولس وما شابهها ــ بكثير من المعتقدات الممزوجة بالثقافات المحيطة التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في المسيحية وقتئذ كالمصريين واليونانيين والرومان خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه، فبينما كان بعضهم يراه رسولاً مثله كمثل من سبقه من المرسلين والأنبياء رآه آخرون إلهاً، ورأى فريق ثالث أنه ابن الله له صفة القدم فهو أكبر من رسول وله صلة خاصة بالله كأنه وسيط بين الله والناس، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم في شخص المسيح. وكل واحدة تدعي أنها هي المسيحية الحقة، واختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً وتعاركوا عراكاً شديداً، مما اضطر الأمبراطور قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية الذي قيل إنه اعتزم الدخول في المسيحية إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، وقد تصادف في ذلك الوقت أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها بطريركها وبين القسيس آريوس المصري راعي كنيسة بوكاليس، إذ كان هذا الأخير داعية قوي الحجة فقاوم كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من أفكار تقوم على ألوهية المسيح، وأنه أحد أركان ثالوث الألوهية المقدس نتيجة تأثر بطريركها بمدرسة أفلوطين الفلسفية الأغريقية، فحارب آريوس تلك الأفكار ناشراً فكرة الوحدانية مقرراً وحدة المعبود وأن المسيح عبد الله ومخلوق له، وفي ذلك يقول ابن البطريق وهو مؤرخ مسيحي عن آريوس إنه كان يقول:

---

(١) كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، تأليف العالم الأميركي مايكل هارت، نشر دار المعارف بالقاهرة.

(إن الآب وحده هو الله وإن الابن ويعني به المسيح مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الابن)[1].

ويعلق على ذلك الدكتور أحمد شلبي، أستاذ الحضارة ومقارنة الأديان بكلية دار العلوم سابقاً، بقوله:

(وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت ظهور المسيحية، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون أي حتى سنة ٣١٣ ميلادية، وفي خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها (العقدي)[2] البسيط من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال، وفيها تناقض ظاهر في تعاليمها، وأشد أنواع التناقض قائم فيما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه رسولاً ككل الرسل ورآه آخرون إلهاً، واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية مما أدى إلى أن يأمر قسطنطين أمبراطور الرومان بدعوة مجمع البطارقة والأساقفة من أنحاء الأمبراطورية فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، ليضع حداً لتلك الاختلافات وليقرر حقيقة المسيح التي كانت محل تلك الاختلافات الشديدة)[3].

كيف انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م؟

اجتمع في مدينة نيقية نفر من الأساقفة والبطارقة من جميع أنحاء الأمبراطورية الرومانية وصل عددهم إلى (٢٠٤٨) أسقفاً وبطريقاً مسيحياً، وقد اختلفوا اختلافاً شديداً ولم يتفقوا على رأي مما أثار عجب الأمبراطور قسطنطين، إلا أن الرواة يقولون: إن آريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم انضم إلى آرائه أكثر من (٧٠٠) أسقف، وذلك العدد ـ وإن كان أكبر عدد نالته نحلة من النحل المثارة في ذلك

(١) عن كتاب محاضرات في النصرانية، للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٩، ٤٠ وص ١٣٦.
(٢) نسبة إلى العقيدة.
(٣) كتاب مقارنة الأديان «المسيحية»، للدكتور أحمد شلبي ص ١٢٠، ١٢١.

المجمع ـ إلا أنه لم يلق هوى وقبولاً من امبراطور الدولة الرومانية فقرر أن يفصل في الأمر بتدبير السلطة الشديدة، بعد أن تبطن رأي صديقه كاهن روما، هذا الكاهن الذي انضم إلى بطريرك الاسكندرية في رفض عقيدة التوحيد، واعتناق القول بألوهية المسيح بل بالتثليث أيضاً، لذلك أصدر الأمبراطور قسطنطين أمره بطرد الأساقفة الموحدين من دائرة المجمع، وكوّن مجمعاً صغيراً بمعرفته من (٣١٨) أسقفاً فقط ممن يقولون بألوهية المسيح واتخذوا قراراً بذلك، وتحت سلطان الترغيب والترهيب وضعوا توقيعاتهم على الوثيقة المشتملة على عدة أمور من أهمها الآتي:

١ ـ القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر.

٢ ـ القول بالتثليث.

٣ ـ اختبار الكتب والرسائل التي لا تتعارض مع الأمور السابق الإشارة إليها وتدمير ما عداها من كتب وأناجيل ورسائل خصوصاً تلك التي تنادي بالتوحيد وبشرية المسيح[١].

محاولة دعاة التوحيد حمل الدولة على عقيدة التوحيد وفشلهم بعد ذلك:

رغم تقرير مؤتمر نيقية لألوهية المسيح وعقيدة التثليث إلا أن دعاة التوحيد لم ينخذلوا عن التمسك بعقيدتهم وتخطئة قرارات مؤتمر نيقية، وقد أفلحوا في عقد مجمع إقليمي في مدينة (صور) وفيه قرروا: سلامة عقيدة التوحيد، ورفض عقيدة الثالوث، إلا أن الدولة الرومانية سرعان ما ارتدت إلى عقيدة الثالوث مرة أخرى، وقد استعانت بقوة السلطان لطمس عقيدة التوحيد، لذلك فإنها صارت تعين في منصب الأساقفة في كنائسها فقط الرافضين لعقيدة التوحيد، وتدريجياً ومع مرور الوقت أخذ هؤلاء يسيطرون على قلوب العامة ونزع بقايا التوحيد حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ، ولم يبد على السطح إلا ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث في جميع كنائس الدولة الرومانية[٢].

---

(١) كتاب مقارنة الأديان، للدكتور أحمد شلبي ص ١٦٥.

(٢) كتاب محاضرات في النصرانية، للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة.

أعجوبة عن شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث:

رغم أن النصارى ـ وقد غلبت عليهم التسمية بالمسيحيين في زماننا المعاصر ـ يؤمنون بألوهية المسيح ويقدسون عقيدة الثالوث التي تلخص في قولهم:

١ ـ إن الله هو الأقنوم الأول ويدعونه الآب.

٢ ـ إن المسيح هو الأقنوم الثاني ويدعونه الابن وقد قدم نفسه ذبيحة ليقتل ويصلب فداء للبشرية.

٣ ـ وروح القدس هو الأقنوم الثالث ويدعونه روح الله.

إلا أن بعض رؤسائهم يعلنون في بياناتهم أنه لا منافاة بين التوحيد والتثليث، ولعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة (كتاب اليهود) وهو ما يطلقون عليه (العهد القديم) كتاباً مقدساً عندهم أيضاً، فكيف يكون ذلك وينسجم وهذا العهد القديم يصرح بالتوحيد ويدعو إليه ويشدد في النهي عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله، بل إنه يدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما حلوا. مثال ذلك قوله في سفر التثنية:

(أنا هو الرب إلهك. . . لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور)[1].

وقوله: (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور)[2].

وقوله: (وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون)[3].

ماذا يعمل رؤساء النصارى الروحانيون أمام صراحة نصوص التوحيد في العهد القديم؟

---

(١) سفر التثنية من كتاب العهد القديم الإصحاح الخامس، عدد ٦ ـ ٩.

(٢) سفر التثنية من كتاب العهد القديم الإصحاح السادس، عدد ١٤ ـ ١٥.

(٣) سفر التثنية من كتاب العهد القديم الإصحاح الثالث عشر، عدد ٤.

انظر:

أولاً: إنهم يجتهدون في أن يستنبطوا من نصوص التوراة ــ أي العهد القديم ــ ما يحمِّلونه معنى الإشارة إلى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح القدس).

ثانياً: كذلك يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية لتلتقي التوراة وهي العهد القديم مع كتابهم وهو العهد الجديد بأناجيله الأربعة، وما ألحق به من رسائل فيقربوا التوراة إليهم بتحميل عبارتها ما لا تحتمل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد، وإن كان التوحيد لا يحتمل ذلك في أي وجه من الوجوه.

ثالثاً: وإنما يحاولون ذلك للرد على المسلمين الذين يعتقدون في المسيح ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ عقيدة القرآن الكريم، بينما جعل المسيحيون عيسى المسيح ــ وهو بشرٌ رسول ــ إلهاً مع الله بل جزءاً من شركة الثالوث.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالى:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

واعتماد النصارى على إيراد نصوص العهد القديم في إثبات التثليث فيه من تحميل تلك النصوص ما تنوء به من أثقال المعاني المخالفة لها ولا تحتملها أبعد الإشارات إليها، فضلاً عما يصاحب ذلك من طرح العقل طرحاً تاماً عن ميدانها، إذ ليس في قدرته جمع النقيضين في قَرَن.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

قاموس الكتاب المقدس وما يذكره عن التثليث:

هذا القاموس ألفه نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين المسيحيين فهيئة تحريره مكونة من:

- الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.
- والدكتور جون ألكسندر طمسن.
- والأستاذ إبراهيم مطر.

وقد قدم له الدكتور فيليب حتي الأستاذ الشرقي في جامعة برتسون.

وقد ورد في هذا القاموس تحت كلمة التثليث الآتي:

(اعترف كبار علماء اللاهوت أنها لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو (ترتليان) في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية.

ثم استقر التثليث ـ بعد ذلك ـ عند الكنيسة المسيحية على يد (أوغسطينيوس) في القرن الخامس الميلادي)[١]. انتهى ما جاء في قاموس الكتاب المقدس.

ومما تقدَّم يتبين أن التثليث نبت بعد المسيح عليه السلام، وأنه دخيل على دعوة المسيح التي أخلصت الدعوة في عبادة الله واحداً أحداً لا شريك له ولا ند ولا ولد[٢].

● الأدلة على حفظ المسيح عليه السلام وعدم الإضرار به أو حتى إصابته بسوء:

أولاً ـ في كلام الأنبياء السابقين المثبت في الكتاب المقدس لدى المسيحيين:

١ ـ ورد في نبوة أشعيا الإصحاح ٤٩ عدد ٢ قوله وهويحكي عن المسيح:

(في كنانته أخفاني).

٢ ـ ورد في المزمور ٣ عدد ٢، ٣ قوله عن المسيح:

(كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإله سلاه، أما أنت يا رب فترس لي).

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) راجع مجلة الأزهر ـ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ.

٣ ــ ورد في المزمور ٩١ عدد ١٠، ١١، ١٢ قوله عن المسيح:

(لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظونك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك).

ثانياً ــ في الأناجيل المتداولة:

١ ــ في إنجيل متى إصحاح ٤ عدد ٦ وفي إنجيل لوقا الإصحاح ٤ عدد ١٠ وصف لكيفية حفظه من أعدائه قوله:

(مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك).

٢ ــ ووَردَ بصريح العبارة عن نجاته من الاعتداء عليه في الإصحاح ٨ عدد ٢١ من إنجيل يوحنا قوله للفريسيين من اليهود عندما كانوا يسألونه:

(قال لهم يسوع: أيضاً أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم، حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا).

٣ ــ وقد روى يوحنا في إنجيله في الإصحاح العاشر عدد ٣١ وما بعده كيف أن اليهود تناولوا حجارة ليرجموه وهو في هيكل المعبد بأورشليم، وحاولوا الإمساك به لكنه خرج من أيديهم ولم يستطيعوا الإمساك به، ومضى آمناً إلى عبر الأردن إلى المكان الذي كان يوحنا يعمِّد فيه.

ومما يؤيد واقعة عدم صلب المسيح أو قتله شهادة بعض علماء النصرانية.

أولاً: المسيو أدوار سيوس أحد أعضاء الأنسيتودي فرانس في باريس في كتابه (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية، في صحيفة ٤٩) قال: إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقي شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية.

١ ــ منهم الباسيليديون كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناي تماماً، وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين.

٢ ــ ومنهم السيرنتيون فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى، وقد عثر

على فصل من كتب الحواريين، وإذا كلامه نفس الباسيليديين وقد صرح إنجيل القديس برنابا باسم الذي صلب بدل عيسى أنه يهوذا[1].

ثانياً: قال باسيليوس الباسليدي إن نفس حادثة القيامة (أي دعوى قيام المسيح من الأحداث) المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذلك المسيح، وبالجملة فإن الشعوب الشرقية قبل الإسلام كانت ترفض قبول مسألة الصلب والقتل للمسيح (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام).

ثالثاً: أورد موسيهيم في تاريخه أن كثيراً من طوائف النصارى كانت ترفض حصول الصلب رفضاً كلياً لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح، ونقصاً وأي نقص أعظم من نقص الإله الذي تلحقه مثل هذه الإهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منهم:

١ ـ الساطرينوسيون.
٢ ـ والكاربوكراتيون.
٣ ـ والمركبونيون.
٤ ـ والباديسيانيون.
٥ ـ والتاتبانيسيون.
٦ ـ والمانيسون.
٧ ـ والبارسكاليونيون.
٨ ـ والبوليسيون.
٩ ـ الدوسيتية.
١٠ ـ والمرسيونية.
١١ ـ والفلنطانيائية.

والفرق الثلاث الأخيرة وإن كانت تعتقد أن الشخص المصلوب غير المسيح لأن المسيح لم تسلط عليه أيدي مضطهديه لكنها تضيف إلى ذلك بأنه رفع إلى السماء.

تبعثرت تلك الطوائف وضعف شأنها بعد اعتناق الدولة الرومانية لملة النصرانية وتبنيها لعقيدة الثالوث منذ ٣٢٥ م وانتهى الأمر بتلك الطوائف إلى الانتهاء والانقراض، حتى لم يبق لها وجود في زماننا المعاصر، ومع ذلك فلا بأس بأن نورد شهادة أحد العلماء

---

(١) كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف الحاج عبد الرحمن بك أفندي باجة جي زادة ص ٢٨٠، ٢٨١، ص ٢٨٠ في رد دعوى صلب ذات المسيح بالأخبار التاريخية والأدلة العقلية. نشر في الجزء السابع من مجلة الأزهر، رجب سنة ١٤٠٥ هـ إبريل ١٩٨٥ م السنة السابعة والخمسون.

الألمان في هذا الموضوع، وهو المونسيو أرنست ذي بونسن الألماني في كتابه المسمى (الإسلام أي النصرانية الحقة) أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ــ ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح ــ لا من أصول النصرانية الأصلية[١].

وبعد:

فإنما الله إله واحد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وليس بينه وبين عباده وسيط ولا شريك، وإن من هداية البشر أن لهم عقولاً يفقهون بها لو أنهم اتخذوها وحدها سبيلاً للهدى. يقول بارتلمي سانتهلر، وهو أحد مفكري الغرب:

(إن الإسلام أحدث رقياً عظيماً فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد، وبين أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة، وإنَّ محمداً بتحريمه الصور في المساجد، وكل ما يمثل الله، قد خلص الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه وأن يفكر في الله خالقه)[٢].

قال الله تعالى في قرآنه العظيم هادياً ومرشداً:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[٣].

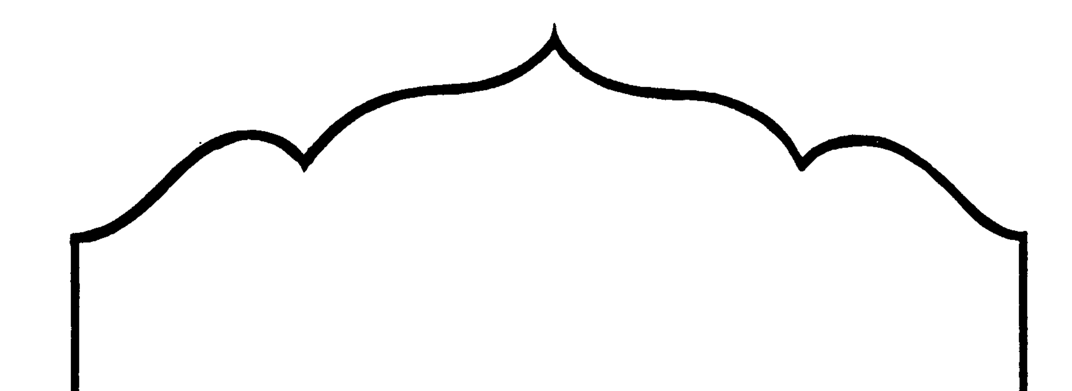


---

(١) كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق».

(٢) كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.



البابُ الرّابع

(١) التثليث وكيف انتهت إليه العقيدة في ملة النصرانية.

(٢) فكرة الصلب والفداء أو الخلاص ومفهومها في عقيدة النصرانية.

(٣) روح القدس أو روح الله في عقيدة النصرانية.

(٤) الروح ومفهومها بين أهل الكتاب والإسلام.

(٥) الهوى كيف انحرف بالصليبية عن طريق الهدى والرشاد.

(١)

التثليث وكيف انتهت إليه العقيدة في مـلَّـة النصرانيـة

يعتقد النصارى المعاصرون أن الإله وإن كان واحـداً لكنه مؤلف من ثـلاثة أقـانيم، أي ثـلاثة أشخـاص هي: الآب والابن والروح القـدس، وهذه الثـلاثة أقـانيم هي ظواهـر لحقيقة واحدة، أي واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد:

١ ـ فالله هو الآب وهو الخالق.

٢ ـ والمسيح هو الابن وهو المخلِّص وهو الفادي وجَمَع بين اللاهوت والناسوت.

٣ ـ والروح القدس هو الرب المحيـي، لاهـوت محض، وهو المـظهر المنبثق من الآب في رأي فريق منهم، أو منبثق من الآب والابن في رأي فريق آخر.

والمتتبع لتاريخ النصرانيـة منذ نشـأتها يجـد أن فكرة الألـوهية عنـد النصارى مـرت بمـراحل ثـلاث، برئت فيهـا العقيدة من الثـالوث في المـرحلة الأولى والثانيـة، لكنها في المرحلة الثالثة انحدرت فيها إلى عقيدة الثالوث طبقاً لما يأتي.

المرحلـة الأولـى:

بدأ المسيح عليه السلام دعوته منذ البداية مختصاً بها بني إسرائيـل دون سواهم من الأمم، كما هو مصرح بذلك في الأناجيل المتداولة حالياً بين النصارى من أنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالـة، لكنه مـع ذلك كـان يبشر بـدعوة التـوحيد لـلإله الـواحد الأحد، وعن نفسه كان يذكر أنه مجرد رسول بشر كما هو واضح ووارد على لسـانه، وإلى هذا يشير إنجيل متى في الإصحاح الخامس عشر من عدد ٢١ ـ ٢٤ في قوله:

(ثم خرج يسوع من هنـاك، وانصرف إلى نـواحي صور وصيـدا، وإذا امرأة كنعـانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً،

فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها، لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). أما عن عقيدة التوحيد الخالص ورسالته فقد أشار إليها في قوله الوارد بإنجيل يوحنا بالإصحاح السابع عشر عدد ٣:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته). كما يشير إلى ذلك إنجيل مرقص في الإصحاح الثاني عشر عدد ٢٩ في قوله على لسان المسيح عليه السلام:

(فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد).

المرحلة الثانية:

لما مضى عصر المسيح عليه السلام جاء بعده عصر بولس والذي لم ير المسيح ولم يتتلمذ عليه بل كان عدواً له ولأتباعه، وبعد ذهاب المسيح عن العالم، انضم إلى تلاميذه وحوارييه بحيلة ابتكرها، ثم زعم أنه رسول مثلهم ثم اختلف معهم، وانفرد بتعاليم خاصة إذ أضاف إلى عقيدة الألوهية التي كانت لدى العبرانيين من ذرية إبراهيم (وهم أولاد إسرائيل أو اليهود كما غلب على تسميتهم) تفسيراً آخر بأن البنوة لإبراهيم عليه السلام لا تتوقف على بنوة الجسد بل إنها بنوة روحية تشمل الغرباء عن اليهود ممن يعتقدون باعتقاد بولس. أما عن المسيح فعقيدة بولس التي بشر بها عنه أنه ابن الله الوحيد، لذلك كانت عقيدة النصرانية وقتئذ في الألوهية فكرة متطورة عن العقيدة اليهودية في الألوهية، فبعد أن كانت العقيدة الإلهية عند اليهود هي الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الجسد، صارت عند النصارى أتباع بولس الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الروح، وهذا ما ذكره صراحة برسالته إلى أهل رومية بالإصحاح الرابع عدد ١٣ في قوله:

(فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان) أي أن الإله طور وعده لهم في إرث العالم فجعله للنصارى أيضاً بعد أن كان قاصراً على شعب بني إسرائيل أبناء إبراهيم، وهذا ما ورد بسفر أعمال الرسل بإصحاحه التاسع عدد ١٩، ٢٠ في قوله:

(كان شاول مع التلاميذ... وللوقت جعل يُكرِّز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) وشاول اسم بولس القديم قبل أن يدخل وينضم إلى تلاميذ المسيح.

المرحلـة الثالثـة:

لما اتصل النصارى بالأمم الأجنبية بعد ذلك وفي جملتها الأمة المصرية شاعت فيها عقيدة إلٰهية جديدة هي عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس، ويتضـح من الاطلاع على تاريـخ (موسييم) أن التثليث لم يكن معـروفاً عنـد النصارى حتى آواخـر القـرن الثاني الميـلادي، وكان الأب أثينـاغوس أول من نـطق بكلمة ثـالـوث، لأنـه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الأمبراطورية الرومـانية وقتئـذ، حيث كانـوا معتنقين لديانتهم الوثنية، وأنه ما كان هؤلاء الرومان ليعتنقوا النصرانية ويتصوروا معنى الألوهية بغير مـا هو ممتـزج بأفهـامهم، وما هـو مغروس في قلوبهم من طقـوس الوثنيـة الشائعـة، وفي ارتكازها على عقيدة الثالوث.

ففي مصر في عصر المصريين القدماء نجد أنه:

كان في مدينة طيبة ثلاثة آلهة هي: آمون ومـوت وحنسو، وفي مـدينة أبيـدوس كان بها ثلاثة آلهة: إيزيس وأوسيريس وحوريس، وكذلك الإله (رع) مظهر الشمس فـإنه سمي في الصباح (هرماخيس) وعند الظهيرة (را) وعند الغروب (أتوم) أو (تمو).

ومن مصـر القديمـة غزت عقيـدة الثالـوث حوض البحـر الأبيض المتوسط، وكـانت صورة إيزيس الأم وهي تحمل الإله الابن هي الصورة السائدة في أنحاء العالم الروماني.

هل هناك أُمم أخرى كانت تدين بالثالوث في عقيدتها قبل النصرانية؟

هـذا الثالـوث المصري لم يكن قـاصراً على حـوض البحر الأبيض المتـوسط، بـل شارك المصريين فيه: البوذيون والبراهمة في بلاد الصين وفي بلاد الهند، كما اعتبره أيضاً الآشوريون والبابليون والميثرانزميون أصحاب ديانة ميثرا، والتي كانت في بلاد الفرس قبل ميلاد المسيح بستة قرون ثم نزحت إلى روما حوالي سنة ٧٠ قبل الميلاد المسيحي.

ويعلق (ول ديورانت) مؤلف كتاب «قصة الحضارة» على أسرار النصرانية في أبحاثـه التي ضمنهـا كتابـه (قيصر والمسيـح): أنه جـاءت من مصر إلى النصـرانيـة آراء الثـالـوث المقـدس ويوم الحسـاب وأبديـة الثـواب والعقـاب وخلود الإنسـان، ومنهـا جـاءت عبـادة أم الطفل والاتصال الصوفي بالله ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة والـلاإدارية وطمس معالم العقيدة النصرانية.

ويقول العلامة جار سلاف كريتي، أستاذ اللغويات بجامعـة أكسفورد، بـانجلترا في

كتابه (ديانة قدماء المصريين) بوجود التماثل والتطابق بين الثالوث النصراني والثالوث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث النصراني مأخوذ من الثالوث الفرعوني.

أما غوستاف لوبون، فإنه يقرر أن هناك تشابهاً واضحاً بين الديانة البوذية وبين النصرانية المعاصرة مع أن البوذية ظهرت قبل النصرانية بأكثر من خمسة قرون، وهذا التشابه من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع، فيقول في كتابه حضارة الهند:

(إنك تلاحظ تماثلاً عجيباً من كل وجه وليس مما نبالي به كثيراً أن تكون إحداهما مدينة للأخرى).

كيف اضطربت العقيدة أصلاً في جماعات النصرانية حتى انتهت بهم إلى عقيدة الثالوث؟

بعد ذهاب المسيح عليه السلام لقي النصارى الأول صنوفاً من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود، وحكام الدولة من الرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون، حتى لقد التهمت الاضطهادات كثيراً من كتبهم ومراجعهم، وقضت على أتباع المسيح الحقيقيين أو كادت، ففقدت النصرانية طابعها البسيط السهل، وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية وقتئذ كالمصريين واليونانيين والرومانيين خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه عبداً رسولاً ككل الرسل والأنبياء الذين سبقوه.

ورآه آخرون من النصارى إلٰهاً، ورأى فريق ثالث أنه ابن الله، له صفة القدم فهو أكبر من رسول له صلة خاصة بالله.

وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم وكل واحدة تدعي أنها هي النصرانية الحقة، ولم يبدأ القرن الرابع الميلادي إلا وقد اختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً، وحدثت صدامات بين تلك الطوائف أريقت فيها كثير من الدماء، وأزهقت فيها العديد من الأنفس والأرواح.

وتصادف في نفس ذلك الزمان أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها البطريرك بطرس، وبين الأسقف آريوس المصري إذ كان هذا الأخير داعية قوي الحجة جريئاً واسع الحيلة، فقاوم كنيسة الاسكندرية فيما كانت تبثه بين نصارى

المصريين من أفكار تقوم على التثليث، وألوهية المسيح، فحارب تلك الأفكار، ودعا إلى عقيدة الوحدانية لله وحده منكراً ما جاء في بعض الأناجيل فيما يوهم بألوهية المسيح.

وشايع آريوس في إنكاره ألوهية المسيح، واعتباره رسولاً مخلوقاً أنصارٌ كثيرون ومشايعون عديدون:

١ ـ فلقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه وعلى رأسها ميلتوس أسقفها.

٢ ـ وفي مدينة الاسكندرية كان أنصاره يغلبون في نسبتهم العددية، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون.

٣ ـ بل تعدى الأمر ذلك النطاق المحدود في مصر إذ كان لرأي آريوس مشايعون كثيرون في فلسطين والقسطنطينية ومقدونيا، ولما تفاقم الخلاف بين آريوس وبطريرك الاسكندرية حاول الامبراطور قسطنطين التدخل في الأمر للوفاق بينهما، وقد جمع فعلاً بينهما لكنهما لم يتفقا على شيء، مما دعا الامبراطور قسطنطين إلى الدعوة إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية في إقليم آسيا الصغرى، وتم ذلك في سنة ٣٢٥ ميلادية بحضور ٢٠٤٨ أسقفاً من جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية.

ماذا دار في مجمع نيقية؟

اختلف المجتمعون في هذا المجمع اختلافاً كبيراً في عقيدة الألوهية ولم يتفقوا على رأي مما أثار عجب الامبراطور قسطنطين، ولما كان الامبراطور نفسه ممن يميل مع القائلين بألوهية المسيح وعقيدة التثليث فقد اختار من بين المجتمعين ٣١٨ أسقفاً من أشد المتعصبين لرأيه، وألف منهم مجلساً خاصاً خَوَّلَه إصدار ما يراه من قرارات.

ويقول في ذلك ابن البطريق المؤرخ النصراني القديم:

(وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه، فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له أظهر دين النصرانية وذب عنه).

ما هي القرارات التي أصدرها مجمع نيقية؟

أصدر ذلك المجمع عدة قرارات يهمنا منها الآتي:

١ ــ قرار خاص بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.

٢ ــ تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان.

٣ ــ تكفير آريوس وحرمانه وطرده إذ كان ينادي بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلٰهاً.

٤ ــ إحراق جميع الكتب والرسائل التي لا تقول بألوهية المسيح أو تحريم قراءتها ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي لا تؤمن بالتثليث أو تقرر بشرية المسيح أو أنه مجرد رسول فقط.

والخلاصة:

أنه تم وضع قانون الإيمان النصراني أو الإيمان الثالوثي في مجمع نيقية ٣٢٥ من تاريخ الميلاد المسيحي بمعرفة الأساقفة المجتمعين هناك، فهم الذين صاغوه، وهم الذين قدموه عقيدة للشعوب النصرانية منذ الربع الأول من القرن الرابع الميلادي مفروضاً عليهم بسلطان القيصر قسطنطين أمبراطور الدولة الرومانية وقتئذ، والذي قيل إنه كان وثنياً أصلاً وأزمع الدخول في ديانة النصرانية، وفرضها على الشعوب المغلوبة على أمرها في تلك الدولة، فرأى ألا تتعارض عقيدة النصرانية المزمع تطبيقها مع أصول معتقداته الوثنية.

كيف تقررت ألوهية روح القدس العنصر الأخير في ثالوث النصرانية؟

كان مجمع نيقية قد أقر عقيدة التثليث إلا أنه لم يتعرض في قراراته إلى روح القدس أهو إلٰه أم مخلوق، لذلك نشب خلاف كبير بشأنه بين الفرق النصرانية، حتى إنه ظهرت منها فرق قررت فعلاً بأن روح القدس ليس إلهاً، وإنما هو مُحْدَث مخلوق ومن هذه الفرق فرقة مقدرنيوس بطريرك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي، ومن أجل ذلك دُعي إلى مجمع آخر في مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية أُطلق عليه المجمع القسطنطيني الأول من ١٥٠ أسقفاً، وانتهى إلى تقرير ألوهية روح القدس وأنه الرب المحيي، والعجيب أن ممثل كنيسة الاسكندرية كان من أشد المتعصبين لهذا الرأي.

وبهذا القرار الذي أصدره ذلك المجمع المشار إليه قرب نهاية القرن الرابع الميلادي اكتمل بنيان الثالوث النصراني في نظر النصارى، وصار الآب ويعنون به الله الخالق، والابن ويعنون به المسيح المخلص أو الفادي، وأنه علم الله، والروح القدس هو الرب المحيي، وكل من هذه الثلاثة أقنوم إلهي أي شخص إلهي.

وفي ذلك يقول ابن البطريق المؤرخ النصراني: (زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية، الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب. . . وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس: ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص، وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة). انتهى ما ذكره ابن البطريق.

التثليث باطل ولا أساس له من واقع أقوال المسيح نفسه، وكذا من أسفار الأنبياء السابقين:

إن المتتبع لأقوال المسيح عليه السلام في أناجيل النصارى يجد أنها تقرر التوحيد وبعيدة كل البعد عما ابتدعته مجامع النصارى من عقيدة في التثليث أو الأقانيم فمثلاً:

أولاً: ذكر إنجيل يوحنا في الإصحاح السابع عشر عدد ٣ عن المسيح عليه السلام قوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته). فبين المسيح أن الحياة الأبدية هي أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن المسيح رسوله فقط.

ولم يقل المسيح إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة، بل إن لفظة أقنوم لم ترد على لسانه إطلاقاً، ولم تذكرها كتب العهد القديم، ولا أناجيل النصارى المتداولة والمعتمدة عندهم، وما قال المسيح أبداً أنه إنسان وإله أو أن المسيح إله مجسم فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه.

وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله، واعتقاد الرسالة للمسيح فضدها يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيناً، ولا شك أن التوحيد الحقيقي هو ضد التثليث الحقيقي، كما أن كون المسيح رسولاً هو ضد لكونه إلهاً لأن التغاير بين المرسِل والمرسَل ضروري.

ثانياً: ورد بإنجيل مرقص في الإصحاح الثاني عدد ٢٨ ـ ٣١ عن المسيح عليه السلام قوله لواحد من الكتبة:

(فجاء واحد من الكتبة فسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً، سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع: **أن أول كل الوصايا** هي إسمع يا إسرئيل الرب إلهنا

رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى، **وثانية مثلها** هي: تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه).

وبهذا المعنى أورد إنجيل متّى هاتين الوصيتين في إصحاحه الثاني والعشرين عدد ٣٥ ــ ٤٠ وقد زاد عليها المسيح قوله:

(بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء) فيعلم من ذلك أن أول الوصايا الذي هو مصرح به في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء السابقين، وهو الحق، هو الاعتقاد بأن الله واحد لا إله غيره.

ولو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيناً في التوراة وجميع كتب الأنبياء، ولكان أول الوصايا، ولقال عنه المسيح إن الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة، لكن شيئاً من هذا لا يوجد في التوراة، ولا في كتب الأنبياء ولا قال به المسيح عليه السلام إطلاقاً.

لذلك لم يكن التثليث مدار النجاة بل كان التوحيد الحقيقي الخالص لله هو مدار النجاة.

ثالثاً: أورد إنجيل مرقص في الإصحاح الثالث عشر عدد ٣٢ عن المسيح عليه السلام في كلامه عن يوم القيامة قوله:

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب).

وقول المسيح هذا فيه إعلان منه ببطلان التثليث، لأن المسيح نفسه خصص علم القيامة بالله ونفى عن نفسه، كما نفى عن الملائكة وعن عباد الله الآخرين العلم بها، وسوّى بينه وبينهم في عدم العلم بها، مما يقطع بأنه نفى عن نفسه أي خالجة تشير إلى القول بأنه أقنوم إلٰهي، خصوصاً إذا لاحظنا أن مفهوم الكلمة وأقنوم الابن عند النصارى تعنيان علم الله، فظهر من ذلك أنه ليس إلهاً، وبالتالي ليس عنصراً من عناصر الألوهية التي قرروها في الثالوث، لافتقاره إلى العلم بيوم القيامة، وكيف يقررون بعد ذلك أنه علم الله؟ وفي نفس الوقت يقرر هو نفسه أنه لا علم له بيوم القيامة، فتبين أنه ليس القديم الأزلي وإنما هو المحدَث الزماني.

رابعـاً: ذكر إنجيـل متى في الإصحاح التـاسـع عشـر من الإنجيـل المـذكـور عـدد ١٦ ـ ١٧ قول المسيح عليه السلام لواحد تقدم إليه:

(وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالـح أي صلاح أعمـل لتكون لي الحيـاة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحدٌ وهو الله).

هذا القول من المسيح عليه السلام يقتلع أصل التثليث من أساسه، فهو لم يرض أن يطلق عليه لفظ الصالح تواضعاً منه، فلو كان إلهـاً أو افتراضـاً من الثالـوث لما كـان لقولـه معنى، ولكان عليه أن يقول:

(لا صالح إلا الآب وأنا وروح القدس) وهذا ما لم يقله إطلاقاً.

خامساً: ورد بإنجيل متى في الإصحاح السابع والعشرين عدد ٤٦ عن المسيح عليـه السلام ساعة صلبه وقتله قوله:

(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسـوع بصوت عـظيم قائـلاً: إيلي إيلي، لما شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني) وفي عدد ٥٠ قوله:

(فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح).

فهذا القول من المسيح ينفي الألوهية بصفة قاطعة عنه، لأنه لـو كان إلهـاً أو صاحب صفة إلهية لما استغاث بإله آخر بأن قال إلهي إلهي لماذا تـركتني، ولما قـال: يا أبتـاه في يديك أستودع روحي، ولامتنع العجز والموت عليه.

لأن الإلـه طبقاً لمـا وصفه بـه النبـي الإسـرائيلي أشعيـا في الإصحـاح الأربعين من سفره عدد ٢٨ يستحيل عليه العجز وذلك في قوله:

(أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر والرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا).

كما أنه يستحيل على الإله الموت لأنه حي دائم ويشير إلى ذلك الإصحـاح العاشـر من سفر النبـي الإسرائيلي إرميا عدد ١٠ في قوله:

(أما الرب الإله فحق هو إله حي وملك أبدي).

ويشير الإصحاح الأول من سفر حبقوق النبـي الإسرائيلي إلى ذلك في عدد ١٢ في قوله:

(ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوس لا تموت).

وفي الإصحاح الرابع والأربعين من سفر أشعيا عدد ٦ ينفي المشاركة أو الأقنومية عن الذات الإلهية في قوله:

(هكذا يقول الرب ملك إسرائيل... أنا الأول والآخر ولا إله غيري).

وفضلاً عما تقدم ذكره من الأدلة النقلية عن بطلان التثليث، فإن واقع التاريخ كما قدمنا آنفاً يؤكد أن فكرة التثليث ابتدعت رسمياً بعد الميلاد المسيحي بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، فهو من الأفكار والعقائد التي دخلت على النصرانية الموحِّدة، وعُقدت لتقريرها رسمياً المجامع المسكونية مثل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م. وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة، وهذا ما عبر عنه علماء المقارنة بين الأديان بشأن تقرير عقيدة التثليث.

بل إن كثيراً من آباء الكنيسة الأقدميين كان ينكر عقيدة التثليث، ومنهم بطريرك مدينة القسطنطينية مقدونيوس يناصره بعض الأساقفة، ومنهم الأسقف أوسابيوس الذي أصبح فيما بعد بطريركاً على مدينة القسطنطينية، كان ينكر وجود الأقانيم الثلاثة، كما أعلن أن الروح القدس ليس بإله، ولكنه مخلوق مصنوع، وقد أفلح أوسابيوس في عقد مجمع بمدينة صور بعد مجمع نيقية مباشرة، وانتهى ذلك المجمع بإصدار قراره الفذ وهو وحدانية الله وأن المسيح رسوله فقط، إلا أن امبراطور القسطنطينية باوديوس الكبير دعا إلى عقد مجمع آخر بمدينة القسطنطينية، وتم ذلك سنة ٣٨١ م من ١٥٠ أسقفاً ألغى فيه قرار مجمع صور بوحدانية الله الذي قرره ذلك المجمع، كما قرر أيضاً:

١ ــ حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كل منهما من رتبته.

٢ ــ تقرير ألوهية الروح القدس (وهذا ما أشرنا إليه آنفاً) وبذلك اكتمل بنيان الثالوث النصراني في نظر النصارى أنصار التثليث وبالآراء التي تقررت بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم في المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١ ميلادية تقررت رسمياً عقيدة التثليث في ملة النصرانية بسلطان وجبروت الدولة الرومانية، وانقرضت ما عداها من عقائد، خصوصاً عقيدة التوحيد الخالص لله، حتى إنه لا يوجد حالياً في جميع أنحاء العالم كنيسة واحدة لا تقول بالتثليث.

الإسلام يأتي بالقول الفصل ويقضي على فكرة الثالوث من أساسها:

لمَّا أشرقت شمس الإسلام على دنيا الناس جابه عقيدة الثالوث، كما جابه غيرها من العقائد الوثنية بمنتهى الحزم، وناقش معتنقيها بالحجة الدامغة وأقام عليهم البرهان القاطع بحقيقة الوحدانية، وبطلان ما هم عليه من أوهام، وأرشدهم القرآن الكريم في محكم آياته بألا يَغْلُوا في معتقداتهم الواهية، فيجاوزون بها الحد، لذلك أمرهم بالابتعاد عن عقيدة الثالوث، ودمغ كل من يؤمن بها بالكفر الصريح، بل هدد القائلين بالتثليث وأنذرهم بأن عليهم أن يستجيبوا للوحي السماوي الصادق الذي يؤيده العقل السليم والنظر الدقيق ألا وهو توحيد الله، فإن لم يرجعوا إليه فإن الله سبحانه سيأخذهم بعذاب مؤلم جزاء قولهم الذميم وكفرهم القبيح، ثم دعاهم الله إلى التوبة من هذه الجريمة القبيحة رحمة بهم لإنقاذهم من العذاب الأليم لأنه سبحانه وتعالى عظيم الغفران واسع الرحمات. قال جلت كلماته:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن اللَّهَ ثالثُ ثلاثة، وما من إله إلا إلـه واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ [سورة المائدة: الآيتان ٧٣، ٧٤] ويقول سبحانه في سورة النساء: ﴿فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم إنما الله إلـه واحد﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

فها هنا يناديهم المولى في قرآنه الكريم بالإيمان بالله وحده لا شريك له في العبادة، ولا في الملك والسلطان، وليس معه ثان، ولا ثالث، وأن يؤمنوا بالرسل جميعاً وفي جملتهم المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وألا يكفروا بأحد منهم، وفي قوله تعالى:

﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ لبيان أن مجرد النطق بذلك القول منكر وقبيح فضلاً عن أن يكون اعتقاداً وإيماناً، وفيه إشارة إلى أن ما ذهبوا إليه لا ظل له من الحقيقة وإنما هو مجرد قول بالأفواه وأن في انتهائهم وابتعادهم عن الشرك والتثليث خير لهم، لأنهم بذلك يبرأون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام إلى عقيدة الوحدانية المبنية على الحجة والبرهان، فهي العقيدة الصحيحة التي جمعت الخير كله، لأن الله واحد بالذات منزه عن التعدد بأي وجه من الوجوه منفرد في ألوهيته وليس كما زعمه هؤلاء النصارى من تركبه من

أقانيم ثلاثة الآب والابن والروح القدس، وأن كلاً منها له صفات الألوهية، وأنها اتحدت وصارت إلهاً واحداً، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة يحيل كذلك تركبها واتحادها.

قال تعالى: ﴿إنما الله إله واحد﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وقال سبحانه عن نظام السموات والأرض:

﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلاَّ الله لَفَسَدَتا﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٢].



(٢)

فكرة الصلب والفداء ـــ أو الخلاص ومفهومهـا في عقيـدة النصرانيـة[١]

يعتقد النصارى أنه بسبب خطيئة آدم عليه السلام أبي البشر في أكله من الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة قامت نظرية الصلب والفداء، وتعني صلب المسيح عليه السلام نيابةً عن الجنس البشري، وفداء له، إذ كان على الله بمقتضى صفة العدل أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة المشار إليها، والتي ارتكبها أبوهم، لكن بمقتضىٰ صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئاتهم، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلَّا بتوسط المسيح ابن الله (في اعتقادهم) وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الناس، ثم يقتل ويصلب ظلماً، وذلك ليكفر خطيئة آدم أبي البشر في ذريته، وهذا ما يعبر عنه النصارى بالخلاص، وهنا فقط تمت المصالحة بين الله والناس، والرد على هذا الكلام جد يسير طبقاً للآتي:

أولاً: أين كان عدل الله ورحمته إذاً منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح (في زعمهم)؟ فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ ألفي عام فقط أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم عليه السلام.

ثانياً: ثم كيف ضاقت الأمور على رب العالمين في نظر النصارى حتى استحال عليه أن يجد طريقاً آخر ووسيلة أخرى من الممكن بواسطتها أن يغفر خطيئة آدم بدلاً من هذه الصورة القاسية لمن يزعمون أنه ابنه، تلك الصورة التي زادت بها خطايا البشر، فهل

---

(١) نشر بمجلة منار الإسلام العدد الخامس من السنة الرابعة جمادى الأولى سنة ١٣٩٩هـ أبريل سنة ١٩٧٩م.

يعقل أن يعالج المرض بمرض أخطر منه؟ أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة، غفرت لكم، بدل هذه التمثيلية البشعة.

ثالثاً: وإذا كانت عملية الصلب بهذا الوصف عملاً تمثيلياً في نظر النصارى للتكفير عن خطيئة البشر، فلماذا يبغض النصارى اليهود، ويرونهم آثمين في عدوانهم هذا على المسيح عليه السلام.

وعما يعلل به النصارى لتلك الفكرة من أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم يرد عليه: بأن إلزام الأحفاد والذرية بأخطاء الأجداد أمر تأباه العقول السليمة، ولا تسمح به القوانين التي وضعها البشر، ولا تقره الشرائع السماوية فكيف استساغ النصارى هذه السفسطة الفارغة؟

إن الكتاب المقدس في عهده القديم ينص في أسفاره:

(لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل) [انظر سفر التثنية: في الإصحاح الرابع والعشرين، عدد ١٦].

كما ورد في سفر حزقيال أن:

(النفس التي تخطىء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون) [انظر سفر حزقيال: في الإصحاح الثامن عشر، عدد ٢٠].

وهذا هو ما يقضي به القرآن الكريم دستوراً للعدالة الإلّهية في قوله تعالى:

﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ [سورة الطور: الآية ٥٢].

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥].

والمبدأ العام المعترف به في الديانات جميعاً، وفي القوانين الوضعية، وعُرْف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء والأجداد سوى ثرواتهم، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ بها ذرياتهم.

ويترتب على ذلك النتائج الآتية:

* **النتيجة الأولى**: أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم عليه السلام، طبقاً لما أوردته عقيدة الفداء عند النصارى بأن قتل المسح وصلبه (في زعمهم) هو كفارة عن خطيئة آدم

إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهم تطبيقاً لما ورد في سفر التثنية وسفر حزقيال السابق الإشارة إليهما، وتطبيقاً لبداءة العقول وأعراف الناس وقوانينهم، كما لا يعقل أن يعرض ابن الله نفسه ليقتله من بريد الغفران لهم، فيزيد بذلك خطاياهم، ولا يقبل أن يكون ذلك هدفاً للمسيح، وهو الذي وصفوه بأنه شكا لأبيه أنه تركه ليقتل حيث قال:

(إيلي إيلي لِما شبقتني؟ أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني).

أي حتى يقوم أعدائي بقتلي.

* **النتيجة الثانية**: فساد العقول بعقيدة المعمودية والتي يقول النصارى عنها إنها تطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم، أو لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهم من خطيئة، وطريقته رش الماء على جبهة الشخص طالب العماد أو غمس الجسم أو جزء منه في الماء بمعرفة أحد الكهنة، ويتم في وقت الطفولة أو على فراش الموت، وقد يتم في أي وقت خلال حياة طالب العماد، وذلك بخلع ملابسه وتغطيسه فيما يشبه الحوض في الكنيسة حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد أي خطيئة آدم المشار إليها.

رابعاً: إذا كان ابن الله في زعم النصارى قد تجسد، ثم قُتل لمحو خطيئة آدم فما العمل في الخطايا التي تَجِدُّ بعد ذلك؟ ومنها ما هو أقسى من عصيان آدم في أكله من الشجرة، حتى لقد أنكر بعض الملاحدة وجود الله سبحانه، وهاجمه آخرون، فلماذا كانت حكاية التجسيد والفداء بالقتل لخطيئة واحدة، ثم تركت باقي خطايا البشر التي لا تعد ولا تحصى.

خامساً: ادعى النصارى أن صلب المسيح وقتله كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب شخص غير مذنب وصلبه؟ فإن قالوا إنه قَبِل ذلك نجد أن ما ورد بأسفارهم عكس هذا القول، فقد جاء في إنجيل متى بالإصحاح ٢٧، عدد ٤٦، ما نصه:

(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني؟ أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني).

كما ورد في إنجيل مرقص: بالإصحاح ١٥، عدد ٣٤، ما نصه:

(وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقتني؟ الذي تفسيره إلّهي إلّهي لماذا تركتني).

وكلمة يسوع تعني هنا كلمة عيسى وهو المسيح عليه السلام.

سادساً: إذا كان المسيح ابن الله ــ كما يزعمون ــ فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان هذا الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية، ثم الصلب مع دق المسامير في يديه.

سابعاً: إن من المسلَّم به في جميع الشرائع العادلة أن تتناسب العقوبة مع الذنب، فهل تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح على هذا النحو من الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر عليه السلام؟ إن كل خطيئة آدم التي أحال عليها النصارى عملية قتل المسيح، وصلبه، لا تعدو أن تكون أكلاً من شجرة نُهي عنها، وثبت بنصوص الكتب المقدسة أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة ولا شك أنه عقاب كافٍ، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب في الدنيا عقاب ليس بالهيِّن، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه، وفي وقته وحينه فكيف يستساغ أن يظل سبحانه مضمراً السوء للجنس البشري غاضباً عليه آلاف السنين حتى جاءت رسالة المسيح، وهنا فقط ينتهي الغضب بحادثة الصلب والقتل المنسوبة إليه.

ثامناً: إن الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين والذي اهتدى إلى الإسلام في القرن الماضي ينتقد فكرة الصلب والفداء ويقول:

(إن من العجب أن يعتقد النصارى أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظلَّ مكتوماً عن كل الأنبياء والرسل السابقين ولم تكتشفه إلَّا الكنيسة، ومتى كان ذلك؟ لقد كان ذلك بعد حادثة الصلب والقتل).

تاسعاً: إن قيل أنه بواسطة نظرية الخلاص خَلُص النصارى من محن الدنيا ومشاغلها، فما بالنا نراهم مثل جميع البشر يجري عليهم كل ما يجري على غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى من سعي على الرزق وإصابتهم بالهموم والأمراض ثم الموت بعد ذلك.

عاشراً: فإن قيل إنهم خلصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك لأنهم يتلون في عباداتهم وصلواتهم في الصباح والمساء:

(واغفر لنا ذنوبنا) [انظر إنجيل متى: في الإصحاح السادس، عدد ١٢].

حادي عشر: قد يقول النصارى: إن هذا الخلاص كان خلاصاً لهم من حساب

الآخرة. إلاَّ أنه لا صحة لذلك لأنه مكتوب في موعظة متى: إنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب:

(وهناك يفرز الله الناس ويفصل الأبرار من الأشرار، فيأمر بالأبرار إلى الجنة والأشرار إلى النار) [انظر إنجيل متى: في الإصحاح الخامس والعشرين، عدد ٣١ إلى عدد ٤٢].

والعجيب أن الكنيسة خرجت من هذا المأزق الحرج بتفسير عجيب إذ قررت أن تلك المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر لا تعني أنه لا تثريب على البشر في الخطأ والعصيان، بل إن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة، فجسد المسيح ودمه اللذان يكفران عن الذنوب والخطايا في عرف الكنيسة محفوظ لديها، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجين، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه من جسد المسيح أو دمه فيصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان، فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك... واستشرى نفوذ الكنيسة قبل عصر النهضة وجاوز كل معقول خصوصاً الكنيسة الكاثوليكية إذ احتجز الكهنة لأنفسهم ملكوت السماء واحتكروه، فأدخلوا فيه من رضوا عنه وحرموا الآخرين، وراحوا يفرضون على الناس الإتاوات الفادحة والأفكار العلمية الزائفة، وكذَّبوا، بل كفّروا كل من يقول بخلافها، وساموهم سوء العذاب حتى الموت إذ اتهموهم بالهرطقة وساقوهم إلىٰ المحاكمات الكنسية ومحاكم التفتيش لإصدار الأحكام عليهم لأن كهنة الكنيسة كانوا يعتبرون العلوم نوعاً من السحر أو الخيانة، وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية هي التي بينت عن نفسها بتعبير المثل القائل (الجهل أبو الإخلاص لله). والبابا غريقوري الكبير يؤيد هذه القاعدة بما لا يمكن دحضه فينفي من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية ويحرق مكتبة (بلاتين) التي أسسها القيصر أوكتافيوس، ويحرم دراسة آثار الكتاب والفلاسفة الكلاسيكيين، ويستعيض عن ذلك بتشجيع الميثولوجيا الكنيسة أي العلوم الكنسية، والتي ظلت هي المذهب السائد في أوروبا لقرون عديدة، وذلك أن التفكير الديني استمدته الكنيسة في القرون الوسطى من فكرة ثبوت الخالق سبحانه وتعالى وثبوت قصده في خلقه إلى إثبات كل شيء بالضرورة، ولذا كانت فكرة التطور التي أثبتها العلم، صدمة مذهلة لجماهير النصرانية شكَّكَتْهم في الدين وفي الإلّه أيضاً.

بينما كان علماء المسلمين قبل ذلك بعشرة قرون قد فرقوا تفريقاً واضحاً بين ثبات الخالق سبحانه وتعالى وبين تطور خلقه.

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي درابير في كتابه النزاع بين الدين والعلم: (إننا لندهش حين نرى في مؤلفات المسلمين من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر) أي في العصر الحديث.

كما يقول بريفولت في كتابه بناء الإنسانية: (لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلَّا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، وكانت أظهر ما تكون في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي).

الإسلام هو الخلاص الحقيقي للبشرية:

لا جدال في أنه لا فداء ولا خلاص بتلك المفاهيم التي تعتنقها طوائف النصرانية طبقاً لما أوضحناه آنفاً والصواب بل الحق أن الخلاص كل الخلاص هو الخلاص من دعاوى الشرك بالله وتصحيح الاعتقاد السائد لديهم، ولا يكون ذلك إلَّا باتجاههم إلى عقيدة التوحيد في الإسلام الواضحة التي لا لبس فيها ولا التواء، وهو أن الله واحد لا شريك له، وأن المسيح ابن مريم هو عبد الله ورسوله، دعا إلى التوحيد الخالص الذي أمر الله به في كتبه المنزلة مصداقاً لما حكاه عنه إنجيل يوحنا: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧، عدد ٣، كما أنه لا يتحقق الخلاص إلَّا بالإيمان برسالة النبي محمد ﷺ الذي بشَّر به المسيح عليه السلام، ودعا قومه إلى أن يسارعوا إلى الإيمان به عند ظهوره، فهو الذي طهَّر العقائد من الشرك في جميع صوره وبرَّأ الأنبياء من دعوى الناس إلى عبادتهم. قال تعالى:

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تُعَلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيّين أرباباً. أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠].

وقال سبحانه مشيراً إلى دعوة المسيح عليه السلام لتوحيد الله وعبادته وتخليصها من الشرك:

﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٢].

وقال جل جلاله فيما يقصه عن تبشير المسيح برسول الإسلام محمد ﷺ، وقد دعاه أحمد وهو من ضمن أسمائه الشريفة:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

ويقول الكاتب الغربي سانتهلر: (إن الإسلام قد أحدث رقياً عظيماً، فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد، وبين أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة، وإن محمداً بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله قد خلص الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى، واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه وأن يبحث عن الله خالقه).

القرآن الكريم يقرر بمحكم آياته بطلان فكرة الصلب والقتل للمسيح عليه السلام، وبالتالي يقضي على نظرية الفداء النصرانية إذ نفى مزاعم من ادعى قَتْلَه وصلبه مع تنفيذه لتلك الدعوى، قال تعالى:

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلَّا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾ [سورة النساء: الآية ١٥٧].

فلقد نقض الله سبحانه دعوى الزاعمين قَتْلَ المسيح وصلبه، وقرر أن القتل والصلب إنما وقع لا على المسيح بل على شخص آخر شبيه له، وهذا هو القدر الذي يتحتم الجزم به، وبالجملة فإن أمارات القطع بأنه هو أو غيره لم تكن متوفرة لديهم، فلذلك شكّوا واختلفت أقوالهم في شأنه، وأنهم لا ينزعون فيما قالوه في شأنه عن يقين، بل عن حيرة وتردد في أمره، كما يتبعون فيما زعموه الظن والتخمين، ثم أورد القرآن الكريم تأكيده الثاني في نفي القتل والصلب بقوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً﴾. ولقد ورد في تاريخ موسهيم الشهير والذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية أن كثيراً من فرق النصرانية قديماً كانت ترفض قبول فكرة الصلب على المسيح رفضاً كلياً، لأن البعض كان

يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية، وهؤلاء المنكرون للصلب طوائف كثيرة لا يسلمون بأن المسيح سُمِّر ومات على صليب ومن هذه الطوائف الآتي ذكرهم:

١ ــ الساطريتوسيون. ٢ ــ الكاربوكراتيون. ٣ ــ المركيرتيون. ٤ ــ الбارديسانيون.
٥ ــ الثانياسيون. ٦ ــ المانيسيون. ٧ ــ البارسكاليونيون. ٨ ــ البيوليبسيون.
٩ ــ الروسيتية. ١٠ ــ المرقيونية. ١١ ــ الفلتطانيائية.

كما أورد المستشرق الإنجليزي جورج سيل في ترجمته للقرآن الكريم في سورة آل عمران أن بعض قدماء فرق النصرانية كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه كان يشبهه تماماً.

وأما بالنسبة لما وقع فيه آدم عليه السلام من مخالفة بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، فقد نص القرآن الكريم أن الله ألقى في روح آدم أن يتوسل إليه بكلمات ألهمه إياها ليتوب الله عليه، فاستقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حينما تعلمها، فتاب عليه وأصبحت خطيئته كأن لم تكن لأن التوبة الصادقة تمحو الذنوب، وبالتالي فلا حاجة لتسلسل الخطيئة في ذريته أو لإرثها في الأجيال التي من بعده.

قال تعالى:

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٧].

وبذلك فتح الله للعصاة طريق التوبة إذا عصوا ليتوب عليهم كما تاب على أبيهم آدم دون واسطة من الكهان أو الرهبان، لأنه سبحانه وتعالى التواب الرحيم، أي كثير قبول التوبة من عباده، العظيم الرحمة لهم.



(٣)

روح القدس أو روح الله في عقيدة النصرانية[١]

يؤمن النصارى في زماننا المعاصر بألوهية روح القدس، لأنه في نظرهم حلّ على السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح عليه السلام عندما جاء إليها في مكان عبادتها وبشرها بحمله ثم ولادته بعد ذلك دون اتصال منها بأي واحد من البشر.

كما يعتقدون ثانياً أنه هو الذي حلّ على المسيح عليه السلام عند تعميده في نهر الأردن.

وأنه هو الذي حلّ على الحواريين تلامذة المسيح وأصحابه بعد أن ذهب عنهم وتركهم في هذا العالم.

ويستدلون على ذلك بالنصوص الآتية من كتابهم المقدس:

النص الأول: ورد في إنجيل لوقا بالإصحاح الأول عدد ٢٦ ـ ٣٥ وهو:

(وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعَم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء. . . وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. . . فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلًا؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك).

النص الثاني: ورد في إنجيل مرقس في الإصحاح الأول عدد ٩، ١٠ وهو قوله:

---

(١) نشر بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد ٢٣٣: جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ فبراير سنة ١٩٨٤م.

(وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه).

النص الثالث: وقد ورد في سفر أعمال الرسل في الإصحاح الأول عدد ٨ وهو القول المنسوب للمسيح إلى تلاميذه: (كلكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض) وكلمة أورشليم تعني مدينة القدس.

مجمع نيقية يضفي القداسة على روح القدس في القرن الرابع الميلادي:

تكشفت قداسة روح القدس فجأة لدى النصارى عند انعقاد مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ ميلادية، فقد ألغى عقيدة التوحيد التي كانت سائدة لدى طوائف النصرانية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وبدلاً منها فرض ذلك المؤتمر عليهم عقيدة الثالوث المكون من الأقانيم الثلاثة وهي:

١ ــ الآب ويعنون به الله.

٢ ــ الابن ويعنون به المسيح.

٣ ــ والروح ويعنون به الروح القدس.

ولما كان أعضاء ذلك المؤتمر يهمهم في البداية استقرار مبدأ ألوهية المسيح ضمن عقيدة الثالوث، لذلك فقد تركوا موضوع ألوهية روح القدس دون مناقشة فلم يثبتوها أو ينفوها، بل أجلوا القطع في أمرها لفرصة أخرى.

تقرير ألوهية روح القدس بعد ذلك:

بعد فرض عقيدة الثالوث أو التثليث انقسمت طوائف النصارى حول طبيعة الأقنوم الثالث ــ وهو روح القدس ــ إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: ويتزعمها بطريرك الإسكندرية المبتدع والمدافع عن عقيدة الثالوث ويفسرها بمفهومه الكنسي فيقول: إن المسيطر على العالم قوى ثلاث هي كما قدمنا آنفاً:

١ ــ المكون الأول؛ وهو الله ويسمونه الآب.

٢ ـ العقل؛ ويقصدون به المسيح ويسمونه الابن.

٣ ـ النفس العامة؛ ويقصدون به الروح القدس.

الطائفة الثانية: ويتزعمها مقدونيوس أسقف القسطنطينية، وكان يعلن أن الروح القدس ليس بالإله ولكنه مخلوق مصنوع وكان يشايعه في ذلك أسقف آخر كبير هو الأسقف أوسابيوس.

انعقاد مجمع القسطنطينية الأول:

وحسماً لهذا الخلاف بين الطائفتين عقد الامبراطور الروماني تاوديوس الكبير مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره من جميع أنحاء الامبراطورية إلَّا ١٥٠ أسقفاً فقط، والعجيب في الأمر أن هذا المؤتمر لم يجتمع ليناقش، بل ليتخذ قراراً مبيتاً قبل اجتماعه سرعان ما وافقوا عليه وهو:

أولاً: تقرير ألوهية روح القدس، وبذلك اكتمل في نظرهم بنيان الثالوث المقدس.

ثانياً: لعن من يقول بغير ذلك.

وبناء على قرار المؤتمر المذكور أعلن حرمان الأسقفين: مقدونيوس وأوسابيوس وأسقط كلًّا منهما من رتبته.

ابن البطريق المؤرخ النصراني يشرح قرار ذلك المؤتمر بتأليه روح القدس:

يقول ابن البطريق:

(زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية: الإيمان بروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب، والابن مسجود له وممجد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص).

انتهى كلام ابن البطريق.

كيف تقررت ألوهية روح القدس
في مؤتمر القسطنطينية المذكور:

قدم بطريرك الإسكندرية تفسيراً عجيباً إلى المجتمعين في ذلك المؤتمر سرعان ما وافقوا عليه عقيدة لهم، ولطوائف النصرانية، وهذا التفسير هو بنصه الآتي:

(ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حيّ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن).

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية
في تقريره ألوهية روح القدس:

من النظر إلى السلسلة السابقة التي قدمها بطريرك الإسكندرية يتضح لنا بأن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله التي تقوم بها حياته مقدمة خاطئة، لا تسندها نصوص الكتاب عندهم ولا يوافق عليها أهل العلم بذلك الكتاب، وما دامت المقدمة خاطئة، فلا بد وأن تكون النتيجة التي انبثقت عنها خاطئة، وهي تلك التي وافق عليها مؤتمر القسطنطينية الأول عن روح القدس.

التفسير الواضح لروح القدس أو روح الله
من واقع الكتاب المقدس لليهود والنصارى:

الرأي الواضح الذي لا غموض فيه هو أن روح القدس أو روح الله ملَك من الملائكة خلقه الله واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خلقه كالأنبياء والمرسلين.

وقد يكون بمعنى الوحي نفسه أو بمعنى التأييد والثبات من الله، ولندلل على ذلك بنصوص الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد طبقاً للآتي:

أولاً: في كتاب العهد القديم والذي يضم أسفار موسى الخمسة وأسفار أنبياء بني إسرائيل:

١ ــ ورد في سفر العدد في الإصحاح ١١ عدد ٢٥ قوله حكاية عن موسى عليه السلام:

(وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً، فلما حلّت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا).

أي فلما نزل عليهم الملك بالوحي تنبأوا.

٢ ــ تضمن السفر السابق الإشارة إليه في الإصحاح ١١ عدد ٢٩ قوله أيضاً:

(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذاً جعل الرب روحه عليهم، أي تأييده وثباته لهم).

٣ ــ ورد في المزمور ٥١ عدد ١١ قوله عن داود عليه السلام:

(وروحك القدوس لا تنزعه مني)، بمعنى الوحي أو التأييد والثبات من الله.

٤ ــ وشبيه بذلك ما ورد بسفر أشعيا في الإصحاح ٦١ عدد ١ قوله:

(روح السيد الرب عليّ).

٥ ــ وما ورد في سفر الأيام الثاني في الإصحاح ٢٤ عدد ٢٠ قوله:

(وليس روح الله زكريا).

٦ ــ وما ورد في سفر نحميا في الإصحاح التاسع عدد ٢٠ قوله:

(وأعطيتهم روحك الصالح لتعلمهم).

ثانياً: في كتاب العهد الجديد والذي يضم الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا والرسائل الملحقة بها نذكر الآتي:

١ ــ ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح الأول عدد ١٥ قوله عن النبي يوحنا:

(لأنه يكون عظيماً أمام الرب. . . ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس).

النبي يوحنا يعني النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام.

٢ ــ جاء في الإنجيل السابق الإشارة إليه في الإصحاح الثاني عدد ٢٥ قوله عن سمعان التقي وكان من أهالي مدينة القدس:

(وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان. . . والروح القدس كان عليه).

٣ ـ ورد في سفر رؤيا يوحنا في الإصحاح الثامن عدد ٩ قوله عن المؤمنين بالمسيح عليه السلام:

(إن كان روح الله ساكناً فيكم).

هل اكتفى رجال الكنيسة بذلك القرار الثالوثي على هذا الوضع؟

لم يكتف بعض رجال الكنيسة بذلك الثالوث على هذا الوضع السابق شرحه، فهم لم يقتنعوا بأن يقولوا بألوهية روح القدس وأنه منبثق من الآب (أي الله)، بل تراهم كأنهم تصوروا منافسة على زعمهم بين الله جل جلاله، وبين المسيح عليه السلام، لذلك عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ ميلادية انتهوا فيه إلى أن روح القدس منبثق من الابن أيضاً (بمعنى أنه منبثق أيضاً من المسيح)، مع أن هذا مناقض لما قالوه سابقاً وللنصوص الأولى المشار إليها في صدر هذا المقال من أنه هو الذي حلّ على العذراء مريم لدى البشارة لها، وعلى المسيح عند العماد، فمتى يفيق هؤلاء الغافلون!.

ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر لم تقبلها ولا تزال عبارة (ومنبثق من الابن أيضاً) موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى وسبباً لعدم الالتقاء بينهما.

الدكتور أحمد شلبي أستاذ علم مقارنة الأديان بجامعة القاهرة يعلق على قرارات المجامع الكنسية:

ويقول الدكتور أحمد شلبي عن تلك المجامع الكنسية، وعما تصدره من قرارت عجيبة في تقرير الألوهية:

(وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة).

فيا للعجب العجاب.

ما يقوله الفيلسوف والمفكر اللاهوتي الهولندي سبينوزا عن الروح القدس أو روح الله:

يقول ذلك الفيلسوف: إن كلمة روح في اللغة العبرانية تعني الذهن أو حكم الذهن، ولهذا استحقت الشريعة نفسها بمقدار تعبيرها عن الفكر الإلّهي أن تسمى روح الله وفكره.

فإذا قلنا روح الله في النبي، أنزل الله روحه في البشر، البشر مليءُ بروح الله أو بالروح القدس، فهذه عبارات لا تعني سوى أنه كانت للأنبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دواماً، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه، بمعنى أن روح القدس يعني الفكر الصائب المستقيم المستوحى من الله.

النبي الإسرائيلي أشعيا يؤيد في سفره ما ذهب إليه الفيلسوف والمفكر سبينوزا من تفسير:

وذلك في قوله:

(ويخرج قضيب من جذع يسىً ويحلّ على روح الرب: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين) [انظر سفر أشعيا: في الإصحاح ١١ عدد ١].

الروح القدس في عقيدة الإسلام:

هو الملك المقرب جبريل عليه السلام اصطفاه الله لينزل بالوحي على رسله وأنبيائه، وإطلاق روح القدس عليه لأنه ينزل بالقدس أي الطهر من الله والمراد به الوحي الذي يطهر نفوس البشر من الجهل والإثم أو لطهره من الأدناس البشرية فهو من إضافة الموصوف إلى صفته.

وهو الذي نزل بالقرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ، قال تعالى يصف نزوله بالقرآن عليه ﷺ:

﴿قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهدىً وبشرى للمسلمين﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٢].

ومن أوصافه أيضاً أنه الروح الأمين، فهو أمين على وحي الله المنزل من السماء، قال تعالى في وصفه:

﴿نَزَل به الروح الأمينُ على قلبك لتكونَ من المنذِرين﴾ [سورة الشعراء: الآية ١٩٣ ــ ١٩٤].

ولهذا الملك من القوة العظيمة ما لا يعلمه إلاَّ الله فلقد قام بتعليم القرآن الكريم وتلقينه للنبي ﷺ بما له من قوة وبأس وشدة قال تعالى:

﴿إن هو إلاَّ وحي يوحى، علمه شديدُ القُوى، ذو مرة فاستوى﴾ [سورة النجم: الآيات ٤ ــ ٦].

وكثيراً ما كان يحدث للنبي ﷺ مشقة شديدة في التلقي من ملك الوحي جبريل عليه السلام.

حدثت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وَعَيْت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

ماذا يعني إضافة لفظ الروح إلى الله بوجه عام؟

إن إضافة لفظ الروح إلى الله هي إضافة تشريف أو تعظيم، وليس هذا من مبتكرات اللغة العربية وحدها، بل هو قديم جداً ومتعارف عليه عند العبرانيين، ويدلل على ذلك الأستاذ إبراهيم الحوراني وهو من علماء أهل الكتاب ومفسريهم فيقول في أبحاثه التي ضمنها كتابه السنن القويم في تفسير أسفار الكليم: اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه طبقاً لما يلي:

١ ــ ورد بسفر التكوين في إصحاح ١ عدد ٢ قوله عن الريح العظيمة:
(روح الله يرف على وجه الماء).

٢ ــ ورد بالسفر السابق الإشارة إليه في إصحاح ٢٣ عدد ٦ عن بني حث وقولهم لإبراهيم عليه السلام لما نزل عليهم بفلسطين:

(أنت رئيس من الله).

أي رئيس عظيم.

٣ ــ ذكر مزمور ٣٦ عدد ٦ قوله:

(عدلك مثل جبال الله).

أي مثل جبال عظيمة.

٤ ــ ورد في سفر صموئيل الأول إصحاح ٢٦ عدد ١٢ قوله:

(لأن سبات الرب وقع عليهم).

أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق.

انتهى كلام الأستاذ إبراهيم الحوراني.

ماذا تعني إضافة الروح إلى الله في القرآن الكريم؟

هي إضافة تشريف وتفضيل وتعظيم ومثاله:

١ ــ قال تعالى عن خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له بعد أن نفخ فيه من روحه:

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين﴾ [سورة الحجر: الآية ٢٩].

٢ ــ قال تعالى عن الناقة التي طلبها قوم صالح عليه السلام آية لهم:

﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴾.

٣ ــ وقال سبحانه عن البيت الحرام في مكة المكرمة:

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٥].

ولما كان من معاني الروح الرحمة والنعمة من الله على عباده لذلك كان المسيح عليه السلام رحمة من الله لقومه ونعمة عظيمة منه عليهم؛ إذ كان يرشدهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة فسمّي روحاً من الله، قال تعالى:

﴿إنما المسيح عيسى ابنُ مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وقـد تكون الـروح بمعنى الوحي الـذي يجيء به ملك الـوحي، لأنه يحيـي القلوب الميتة في جهالاتها. قال تعالى:

﴿وكذلك أوحينا إليك رُوْحاً من أمرنا﴾ [سورة الشورى: الآية ٥٢].

فالقرآن الكـريم وهو الـوحي المنزل من الله بـإحيائـه تلك القلوب كان سببـاً للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى:

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٦٤].

وقد تكون بمعنى جبريل عليه السلام قال تعالى:

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ [سورة مريم: الآية ١٧].

روي أنه كان موضعها في بيت العبـادة لبني إسرائيـل، فبينما هي في خلوتهـا أتاهـا جبريل عليه السلام في صورة إنسان كـامل لتستـأنس بكلامـه وتتلقى منه مـا يلقى إليها من كلمات ربها.

فالإضافة إلى الله كلها إضافة تشريف وتفضيل وتعظيم.

الإسلام يشهد ببراءة المسيح عليه السلام من زَعْم النصارى أنه أَمَرهم بعبادته أو عبادة روح القدس:

فمـا صح ومـا استقام أن المسيـح وهو بشـر اصطفـاه الله لتبليغ الـرسالـة إلى قومـه الإسـرائيليين، وأعطاه الكتـاب الذي يـرشـدهم إلى عبـادة ربهم وأعـطاه الحكمـة وحسن التصرف في الأمور، وأعطاه النبوة العاصمة من الخطأ، ثم يتنكر لربه الذي اختاره لهـداية خلقه فيقول للناس: كونوا عباداً لي إشراكاً مع الله أو إفراداً، ولكن يقول لهم كونـوا علماء عاملين كاملين في العلم والعمل، لأنكم تعلِّمون الناس الكتاب وتـدرسونـه فأولى بكم أن تتبعوه ولا تحيدوا عنه.

كما أنه مـا صح ومـا استقام أن يـأمرهم أن يتخـذوا الملائكـة (ومنها روح القـدس) والنبيين أرباباً، فلا يليق به وهو رسول من عند الله أن يأمرهم بالكفر بعد إذ هم مسلمـون،

أي مخلصون ومنقادون لـربهم، ولكن نتج كـل ذلك بخلطهم الحق بـالباطـل، وتحريفهم آيات التوراة والإنجيل وسوء تأويلها. قال تعالى مؤنباً لهم:

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقـول للناس كـونوا عبـاداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخـذوا الملائكـة والنبيين أربـابـاً. أيـأمـركم بـالكفـر بعـد إذ أنتم مسلمـون﴾ [سـورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠].



(٤)

(الـروح) ومـفـهـومـهـا ما بين أهل الكتاب والإسلام

نشرت إحدى صحف الأحد الأسبوعية بتاريخ ٩ ديسمبر سنـة ١٩٧٩ ــ والتي تصدر في مدينة القاهرة تحت عنوان: المسيح روح الله ــ أن الملك الحسن الثاني ملك المغرب ذكـر في إحـدى تصـريحـاتـه الصحفيـة: (أن المسيـح هـو وحـده روح الله وليس محمـداً أو موسى).

ولا يخفى على الباحث المدقق ما تهدف إليـه صحيفة الأحـد الأسبوعيـة في نشرهـا للخبر السابق بهذه الصورة، حتى تكون تصريحات عاهل المغرب، وهـو الملك المسلم، وقـد تضمنت أن المسيح هـو وحده روح الله وليس محمـداً أو موسى ــ شهادة للنصـارى، والتي تنطق تلك الصحيفة باسمهم فيضيفونها حجة لهم في دعـواهم بأن المسيـح هو الله، لأن عقيدتهم تقرر ضمن ما تقرر بأن روح الله هو الله.

الأساس الذي انعقد عليه النصارى بأن روح الله هو الله:

لما عقد الامبراطور الروماني تـاوديوس الكبيـر مجمع القسـطنطينيـة الأول سنة ٣٨١ ميلادية لتقرير عقيـدة للنصارى بـالنسبة لـروح القدس حضـره ١٥٠ أسقفاً فقط من أنحـاء الامبـراطوريـة، وفي هذا المجمـع قدّم بـطريرك الاسكنـدرية وقتئـذ تفسيـره الغـريب إلى المجتمعين، فوافقوا عليه عقيدة لهم وهو الآتي:

(ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فـإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن روح الله مخلوقة، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقـة قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا قلنا إنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن).

ما هو مفهوم الروح من واقع نصوص النصارى المقدسة؟

من واقع نصوص التوراة والأناجيل المتداولة بين النصارى فإن للروح مفهوماً آخر خلاف ما عرضه بطريرك الاسكندرية سالف الذكر، وانعقد عليه إجماع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م فقد ذكروا:

أن الروح إما مصدر للخير وإما مصدر للشر:

فإذا كان الروح مصدراً للخير فيقال له: روح الحق أو روح الخير ومثال ذلك قوله في الإنجيل:

(روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله) [انظر إنجيل يوحنا: في الإصحاح ١٤، عدد ١٧].

٢ ــ وإذا كان الروح مصدراً للشر فيقال له: روح الضلال أو الشر، ومثال ذلك قوله:

(من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال) [انظر رسالة يوحنا الأولى في الإصحاح الرابع، عدد ٦].

وقوله: (تابعين أرواحاً مضلة) [انظر رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس، في الإصحاح الرابع، عدد ١].

الروح قد يكون طاهراً أو نجساً:

ويسمى الأول روحاً طاهراً وقدوساً والثاني روحاً نجساً. وأمثلة ذلك الآتي:

١ ــ ورد في مزمور (٥١ عدد ١١) قوله:
(وروحك القدوس لا تنزعه مني).

٢ ــ ورد في رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي في الإصحاح الرابع، عدد ٨، قوله:

(بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدس).

٣ ــ ورد بإنجيل لوقا في الإصحاح الأول، عدد ١٥، قوله:
(لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس).

٤ ــ ورد برؤيا يوحنا في الإصحاح ١٨، عدد ٣، قوله:
(ومحرماً لكل روح نجس).

٥ ــ ورد بإنجيل متى في الإصحاح ١٢، عدد ٤٣، قوله:
(إذا خرج الروح النجس من الإنسان).

٦ ــ ورد بإنجيل مرقص في الإصحاح الأول، عدد ٢٣، قوله:
(وكان في مجمعهم رجل به روح نجس).

٧ ــ ورد بإنجيل مرقص في الإصحاح الأول، عدد ٢٦، قوله:
(فصرعه الروح النجس).

٨ ــ ورد بإنجيل لوقا في الإصحاح التاسع، عدد ٤٢، قوله:
(فانتهز يسوع الروح النجس).

الروح قد يكون ربانياً وقد يكون شيطانياً:

١ ــ ورد بسفر العدد في الإصحاح ١١، عدد ٢٩، قوله:
(يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذاً جعل الرب روحه عليهم).

٢ ــ ورد بسفر أعمال الرسل في الإصحاح الخامس، عدد ٩، قوله:
(ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب).

٣ ــ ورد بسفر أشعيا في الإصحاح ٦١، عدد ١، قوله:
(روح السيد الرب علي).

٤ ــ ورد بسفر أشعيا في الإصحاح ١١، عدد ١، قوله:
(ويحل عليه روح الرب).

٥ ــ ورد برؤيا يوحنا في الإصحاح الرابع، عدد ٥، قوله:
(أمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله).

٦ ــ ورد بسفر الأيام الثاني في الإصحاح ٢٤، عدد ٢٠، قوله:
(وليس روح الله زكريا).

٧ ـ كما ورد بسفر رؤيا يوحنا في الإصحاح الثامن، عدد ٩، قوله:
(إن كان روح الله ساكناً فيكم).

وعن الروح الشيطاني فقوله:

١ ـ ما ورد بإنجيل لوقا في الإصحاح الرابع، عدد ٣٣، قوله:
(وكان في المجمع رجل به روح شيطان).

٢ ـ ما ورد برؤيا يوحنا في الإصحاح ١٦، عدد ١٤، قوله:
(فإنهم أرواح الشياطين).

٣ ـ ما ورد بسفر زكريا في الإصحاح ١٣، عدد ٢، قوله:
(والروح النجس من الأرض).

الروح قد يكون صالحاً وقد يكون رديئاً، ويعبر عن الروح الصالح بالروح المستقيمة أو الفاضلة، ويعبر عن الروح الرديء بروح الكذب أو بروح الفشل ونحوها، ومثال ذلك الآتي:

١ ـ ورد بمزمور ٥١، عدد ١٠، قوله:
(وروحاً مستقيماً جدد في داخلي).

٢ ـ ورد بمزمور ١٤٣، عدد ١٠، قوله:
(وروحك الصالح يهديني).

٣ ـ ورد بسفر نحميا في الإصحاح التاسع، عدد ٢٠، قوله:
(وأعطيتهم روحك الصالح لتعلمهم).

٤ ـ ورد بسفر دانيال في الإصحاح الخامس، عدد ١٢، قوله:
(من حيث أن روحاً فاضلة... وجدت في دانيال).

أما الروح الرديء، فقوله:

١ ـ ما ورد بسفر القضاة في الإصحاح التاسع، عدد ٢٣، قوله:
(وأرسل الرب روحاً رديئاً بين أبيمالك وأهل شكيم).

٢ ـ ورد بسفر أخبار الأيام الثاني في الإصحاح ١٨، عدد ٢٢، قوله:
(والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه هؤلاء).

٣ ــ ورد برسالة بولس الأولى لتيموثاوس في الإصحاح الأول، عدد ٧، قوله: (لأن الله لم يعطنا روح الفشل).

فإذا قرر القرآن الكريم بشأن المسيح عليه السلام بأنه (روح منه) فالمراد بذلك أن المسيح روح عالية قدسية خيرية علوية، وليس هو من الأرواح الشيطانية النجسة الأرضية الشريرة.

ففي المجتمع الإسرائيلي كان لفظ الروح دائراً كثيراً على الألسنة قبل عصر المسيح وأكثر منه في عصره، وأكثر كثيراً جداً منه بعد عصره، وكان في أكثر حديث الإسرائيليين أي اليهود، وفيما يروق لذوقهم التعبير بهذا اللفظ عند كل شيء، فنجد في العهد القديم من الكتاب المقدس قوله:

١ ــ (وأرسل الرب روحاً رديئاً) [انظر سفر القضاة: في الإصحاح ٩، عدد ٢٣].

٢ ــ (فمرت روح على وجهي) [سفر أيوب: في الإصحاح ٤، عدد ١٥].

٣ ــ (وروح من فهمي يجيبني) [سفر أيوب: في الإصحاح ٢٠، عدد ٢].

٤ ــ (هي روح منكرة) [انظر مزمور ٥١، عدد ١٧].

٥ ــ (فدخل فيَّ روح) [انظر سفر حزقيال: في الإصحاح الثاني، عدد ٢].

٦ ــ (لأن فيه روحاً فاضلة) [سفر دانيال: في الإصحاح ٦، عدد ٣].

٧ ــ (اثنين من روحك عليَّ) [انظر سفر الملوك الثاني: في الإصحاح الثاني، عدد ٩].

٨ ــ (لكي تترنم لك روحي) [انظر المزمور ٣٠، عدد ١٢].

٩ ــ (ولا في روحه غش) [انظر المزمور ٣٢، عدد ٢].

١٠ ــ (لم تكن روحه أمينة لله) [انظر المزمور ٧٨، عدد ٧].

١١ ــ (أين أذهب من روحك) [انظر المزمور ١٢٩، عدد ٧].

١٢ ــ (روحك الصالح يهديني) [انظر المزمور ١٤٣، عدد ١٠].

١٣ ــ (الذين ملأتهم روح حكمة) [سفر الخروج: في الإصحاح ٢٨، عدد ٣].

كما نجد في العهد الجديد من الكتاب المقدس قوله:

١ ــ (المولود من الروح هو روح) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح الثاني، عدد ٦].

٢ ــ (الله الذي أعبده بروحي) [انظر رسالة بولس إلى رومية: في الإصحاح الأول، عدد ٩].

٣ ــ (لم تكن لي راحة في روحي) [رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس: في الإصحاح ٢، عدد ١٣].

٤ ــ (روح أبيكم الذي يتكلم فيكم) [إنجيل متى: في الإصحاح العاشر، عدد ٢٠].

٥ ــ (ويتقدم أمامه بروح إيلياء) [إنجيل لوقا: في الإصحاح الأول، عدد ١٧].

٦ ــ (جارية بها روح عرافة) [انظر سفر أعمال الرسل: في الإصحاح ١٦، عدد ١٦].

٧ ــ (أعطاهم الله روح سبات) [انظر رسالة بولس إلى رومية: في الإصحاح ١١، عدد ٨].

٨ ــ (روح الوداعة) [انظر رسالة بولس إلى غلاطية: في الإصحاح ٦، عدد ١].

٩ ــ (روح الإيمان) [انظر رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس: في الإصحاح الرابع، عدد ١٣].

١٠ ــ (وختمتم بروح الموعد) [انظر رسالة بولس الأولى إلى أفسس: في الإصحاح الأول، عدد ١٣].

١١ ــ (أكلوا طعاماً واحداً روحياً) [انظر رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: في الإصحاح ١٠، عدد ٣].

١٢ ــ (شربوا شراباً واحداً روحياً) [رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: في الإصحاح ١٠، عدد ٤].

١٣ ــ (بيتاً روحياً) [رسالة بطرس الأولى: في الإصحاح الثاني، عدد ٥].

١٤ ــ (وقد زرعنا لكم الروحيات) [انـظر رسالـة بولس الأولى إلى كـورنثوس: في الإصحاح التاسع، عدد ١١].

مما تقدم يتضـح أن تعبيرات المجتمـع اليهودي في ذلـك الزمـان كلها كـانت تدور حول لفظ (الروح) حتى الطعام والشـراب والزرع فتـراهـم يقولـون: طعام روحي، شـراب روحي، زرع روحي.

ولذلك ورد وصف الله سبحانه وتعالى للسيد المسيح عليه السلام في القرآن الكريم بأنه روح منه، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخـرى، لرد طعن اليهـود في المسيح بقـولهم إن فيه روحـاً شيطانيـة لأن أعداء المسيح المعاصرين له من اليهود، وكانوا غير مصدقين أن ما به روح خيري قدسي، بل كانوا يعتقدون أن ما به روح شيطاني نجس، فمثلاً:

١ ــ في إنجيل مرقص بـالإصحاح الثـالث، عدد ٢٢، ورد بـه قولـه عن الكتبة في وصفهم للمسيح:

(وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبـول، وأنه بـرئيس الشياطين يخرج الشياطين).

وبعلزبول كانت تعني الشيطان عند اليهود.

٢ ــ كما ورد بإنجيل مرقص المذكور في الإصحاح الثالث، عـدد٣٠، عن المسيح عليه السلام قولهم:

(لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً).

٣ ــ كما ورد بإنجيل يوحنا في الإصحاح السابع، عدد ٢٠ قولهم عن المسيح عليه السلام:

(أجاب الجميع وقالوا بك الشيطان).

ومن ناحية ثالثة لرد طعن بعض أقرباء السيد المسيح فيه بأنه مختل العقل، فلم يكن اليهود وحدهم هم الذين رموا المسيـح عليه السـلام بما رمـوه به، بـل اشترك معهم بعض أقربائه، فقد ورد في إنجيل مرقص: في الإصحاح الثالث، عدد ٢١، عن أقربـاء المسيح قوله:

(خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل العقل).

واختلال العقل كان معروفاً في ذلك العصر وشائعاً لدى اليهود، وسكان إقليم فلسطين بأنه أثر من آثار الأرواح النجسة، وشاع هذا الطعن وراجت سوقه بين أعداء المسيح، وتلقاه خَلَفهم عن سلفهم جيلاً بعد جيل حتى عصر النبي محمد ﷺ فنطق القرآن الكريم في شأن المسيح عليه السلام بما ينفي عنه وصمة ما ألصقه أعداؤه به قائلاً: ﴿وروح منه﴾ مقرراً بذلك أنه ليس المسيح كما يقول أعداؤه بأنه روح شيطانية أو شريرة أو مختل العقل بل هو روح خيرية علوية قدسية.

فالإتيان بكلمة (منه) بعد كلمة (روح) إنما هو للإلماع بهذا المعنى اللطيف، وردّاً على اليهود الذين كانوا يلقبونه بعلزبول، أي الشيطان كما أوضحنا فيما سبق.

وقد أفاض في ذلك الشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي أستاذ دروس تفسير القرآن بالجامع الأموي بدمشق في كتابه سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية.

معنى الإضافة إلى الله في الأسفار الكتابية:

إن إضافة الشيء إلى الله في الأسفار الكتابية هي إضافة تشريف، وليس هذا الأسلوب مستحدثاً ولا من مبتكرات اللغة العربية وحدها، بل هو قديم جداً، وهذا ما يقرره العالم اليهودي إبراهيم الحوراني في شرحه للفصل الأول من سفر التكوين في كتابه (السنن القويم في تفسير أسفار الكليم)، فهو يقول الآتي: (اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه طبقاً لما يلي:

١ ــ ورد في سفر التكوين: في الإصحاح الأول، عدد ٢، قوله:
(وروح الله يرف على وجه الماء).

٢ ــ ورد في المزمور ٣٦، عدد ٦، قوله عن العدل:
(عدلك مثل جبال الله).
أي مثل جبال عظيمة.

٣ ــ ورد في المزمور ٨٠، عدد ١٠ قوله عن الأرز:
(أغصانها أرز الله).
أي أنه أرز كبير الحجم.

٤ ــ ورد في سفر صموئيل الأول، في الإصحاح ٢٦، عدد ١٢، قوله:
(لأن سبات الرب وقع عليهم).
أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق.

٥ ــ ورد في سفر حزقيال: في الإصحاح ٣٦، عدد ٢٧، قوله خطاباً لبني إسرائيل:
(وأجعل روحي في داخلكم).
أي أجعلكم في حياة اجتماعية سليمة عظيمة.

٦ ــ ورد في سفر أشعيا: في الإصحاح ٥٩، عدد ٢١، خطاباً من الله لمدينة صهيون قوله:

(روحي الذي عليك).
أي روح عظيم على تلك المدينة.

٧ ــ ورد في المزمور ١٠٤، عدد ٣٠، قوله:
(ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض).
أي ترسل روح حياة منعشة عظيمة.

٨ ــ ورد بسفر التكوين: في الإصحاح ٣٠، عدد ٨، قول راحيل:
(فقال راحيل مصارعات الله صارعت أختي).
أي مصارعات شديدة عظيمة. [انتهى كلام الأستاذ إبراهيم الحوراني].

الروح في مفهوم الإسلام:

النص القرآني الذي عبر عن المسيح عليه السلام بأنه روح منه:

قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم. إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

والقرآن الكريم ليس هو فقط الذي اقتصر على هذا التعبير (روح منه) بل إن العهد

القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس اشتملت نصوصهما على ما يشبه ذلك، وهي تشير إلى المسيح أو غيره طبقاً للأمثلة الآتية:

١ ــ ورد بسفر التكوين: إصحاح ٢٣، عدد ٦، قول بني حث لإبراهيم عليه السلام:

(أنت رئيس من الله).

وبنو حث كانوا جماعة من شعوب آسيا الصغرى القديمة توطنت أرض فلسطين في مدينة (حبرون) والتي أصبحت تدعى حالياً مدينة الخليل.

٢ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى: في الإصحاح الرابع، عدد ١ قوله:

(أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

فهذا القول: (لا تصدقوا كل روح) يفيد أن الروح شخص آدمي يقتضي التثبت من أقواله والتحقق منها إن كان نبياً أو مرسلاً من قبل نبي من الأنبياء فهو صادق، وعلى الحق إذا دلّت البراهين على صدقه، وكاذب إن قامت الأدلة على كذبه.

وقد ذكر القسم الأول من الصادقين في قوله: (هل هي من الله) وذكر القسم الثاني من الكاذبين في قوله: (لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

٣ ــ ورد بإنجيل يوحنا: في الإصحاح التاسع، عدد ١٦، قول الفريسيين عن المسيح عليه السلام:

(فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الأعمال؟ وكان بينهم انشقاق).

فيفهم من هذا القول أن اليهود كانوا يطلقون على الرجل البار أنه من الله بخلاف الخاطىء فيقال فيه إنه ليس من الله.

٤ ــ ورد برسالة يوحنا الأولى: في الإصحاح الرابع، عدد ٤ ــ ٦، عن رسل الخير قوله:

(أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم

هم من العالم، من أجل ذلك يتكلمون من العالم والعالم يسمع لهم، نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا).

فقوله: (وأنتم من الله)، و: (نحن من الله)، تعني أننا وإياكم أرواح هادية مرشدة خيرية.

أما قوله: (هم من العالم)، و: (من ليس من الله)، تعني أنهم أرواح ضالّة مضلّة أرضية شيطانية شريرة.

مما تقدم يتضح أن ما ذكره القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام بتعبير: ﴿وروح منه﴾ تعني أنه روح خيرية مطيعة لله، لا أن تكون جزءاً منه تعالى، وإلا للزم أن يكون مقتضى ذلك أن جميع الأنبياء الصادقين والمرسلين (الذين هم أرواح من الله) أن يكونوا أجزاء من الله بحكم قول يوحنا في رسالته الأولى بالإصحاح الرابع عدد ١، وإلا للزم أيضاً أن يكون جميع المؤمنين الذين عناهم يوحنا أجزاء من الله بحكم قول يوحنا السابق في رسالته الأولى بالإصحاح الرابع عدد ٦.

وكذلك لَلَزِمَ أن يكون إبراهيم جزءاً من الله بحكم قول بني حث السابق ذكره في سفر التكوين: في الإصحاح ٢٣، عدد ٦.

هل اقتصر القرآن الكريم على إضافة المسيح عليه السلام فقط إلى الله أم أضاف أشياء أخرى إلى الله؟

إن القرآن الكريم لم يقتصر على إضافة المسيح فقط إلى الله بل إنه أُضاف إلى الله الأمور الآتية ـ وكلها إضافات إليه تعالى إضافة تشريف ـ:

١ ـ روح آدم عليه السلام: وذلك في قوله للملائكة عنه:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٢٨، ٢٩].

٢ ـ الناقة معجزة صالح عليه السلام إلى قومه ثمود، وذلك في قوله تعالى:

﴿كذّبت ثمود بطَغْواها إذ انبَعَثَ أشقاها، فقال لهم رسول الله ناقَةَ الله وسُقياها﴾ [سورة الشمس: الآيات ١١، ١٢، ١٣].

٣ ـ بيت الله المحرم: وذلك في قوله تعالى:

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طَهِّرا بَيْتِيَ للطائفين والعاكفين والرّكع السجود﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٥].

٤ ـ عبد اللّه، وهذا في قوله تعالى:

﴿وأنه لمَّا قامَ عبدُ الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَداً﴾ [سورة الجن: الآية ١٩].

٥ ـ ما سخره الله لبني آدم مما في السماء وما في الأرض، وذلك في قوله تعالى:

﴿وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [سورة الجاثية: الآية ١٣].

من مفاهيم القرآن الكريم:

إن للروح في القرآن الكريم معانياً كثيرة نعرضها فيما يلي:

١ ـ فقد يكون في معنى الوحي، كقوله تعالى:

﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [سورة الشورى: الآية ٥٢].

وقوله تعالى:

﴿ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [سورة النحل: الآية ٢].

وكقوله تعالى:

﴿رفيع الدرجات ذو العرش يُلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لِينذِرَ يوم التَّلاق﴾ [سورة غافر: الآية ١٥].

ويسمّى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

٢ ـ وتعني الروح أيضاً القوة والثبات والنصر يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، قال تعالى:

﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [سورة المجادلة: الآية ٢٢].

٣ ــ ومن معنى الروح جبريل عليه السلام وهو أمين الوحي وأحد رؤساء الملائكة الأربعة، قال تعالى:

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نَزَل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [سورة الشعراء: الآيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤].

وقوله تعالى:

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ [سورة مريم: الآية ١٧].

وقوله تعالى عنه أنه (روح القدس). قال تعالى:

﴿قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبِّت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٢].

وقوله تعالى:

﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ [سورة البقرة: الآيتان ٨٧، ٢٥٣].

٤ ــ ومن معنى الروح المسيح عيسى ابن مريم، قال تعالى:

﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وإضافة الروح إلى الله هي إضافة أعيان منفصلة عن الله، فهي إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه، لكنها تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره، كما قدمنا آنفاً ــ كبيت الله وعبد الله ورسول الله وروح الله، وناقة الله ــ فهذا إضافة إلى إلهيته تقتضيه محبته وتكريمه وتشريفه، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء» صحيح البخاري ومسلم.

٥ ــ ومن معاني الروح أنه ملك عظيم يقوم يوم القيامة مع الملائكة، قال تعالى:

﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [سورة النبأ: الآية ٣٨].

وقد قيل أيضاً إنه جبريل عليه السلام.

قال تعالى:

﴿تَنَزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ [سورة القدر: الآية ٤].

وقال جلّت كلماته:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [سورة المعارج: الآية ٤].

٦ ــ وقد تعني الروح الرحمة وقدرة الله وحكمه وأمره وفرجه وذلك كقوله تعالى:

﴿ولا تيأسوا من رَوْح الله إنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القومُ الكافرون﴾ [سورة يوسف: الآية ٨٧].

٧ ــ كما قد تعني الرزق الحسن الطيب الهنيء أو الغفران، وذلك في قوله جلّت كلماته:

﴿فأما إنْ كان من المقرّبين. فروْح ورَيحان وجنةُ نعيم﴾ [سورة الواقعة: الآيتان ٨٨، ٨٩].

٨ ــ وقد تعني الروح أيضاً ما تقوم به الحياة أي سر الحياة وإضافتها إلى الله تعالى للتشريف، وذلك في قوله تعالى عن آدم:

﴿ثم سوّاه ونفخَ فيه من روحه﴾ [سورة السجدة: الآية ٩].

وقوله جلّت كلماته:

﴿فإذا سوّيته ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين﴾ [سورة الحجر: الآية ٢٩، وسورة ص: الآية ٧٢].

٩ ــ وقيل عن الروح إنها أمر من أمر الله عز وجل، وخَلْق من خَلْق الله، وصور مثل صور بني آدم، وما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح، وقد سأل عنها اليهود رسول الله ﷺ، فسألَ جبريل أمين الوحي عنها، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى:

﴿ويسألونك عن الروح قُل الروحُ من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٥].

أرواح بني آدم وتسميتها في القرآن الكريم:

إن أرواح بني آدم لم تقع تسميتها في القرآن الكريم غالباً إلا بلفظ (النفس)، قال تعالى:

﴿يا أيتها النفسُ المطمئنةُ، ارجِعي إلى ربك راضية مرضية، فادْخُلي في عبادي، وادخُلي جنّتي﴾ [سورة الفجر: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠].

وقال تعالى:

﴿لا أقسمُ بيوم القيامة. ولا أقسمُ بالنفس اللوّامة﴾ [سورة القيامة: الآيتان ١، ٢].

وقال تعالى:

﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾ [سورة الشمس: الآيتان ٧، ٨].

وقال تعالى:

﴿كل نفس ذائقةُ الموت ونبلُوكم بالشر والخير فتنة وإلينا تُرجعون﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٣].

وقالت جلت كلماته:

﴿اللَّهُ يتوفى الأنفسَ حين موتِها والتي لم تمتْ في منامها. فيمسِكُ التي قضى عليها الموتَ ويرسلُ الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [سورة الزمر: الآية ٤٢].

فالأنفس في جميع الآيات السابقة هي الأرواح في مفهومنا.

وأخيراً:

هل يوصف الله في الإسلام بأنه روح؟

في عقيدة الإسلام لا يوصف الله سبحانه وتعالى بأنه روح (وهي التي تقوم بها الحياة) كما تصفه بذلك كتب اليهود والنصارى وإلا كان مركباً مخلوقاً.

بل إن الله في عقيدة الإسلام حيٌّ بذاته لا يموت، فحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه، وحياة الله واجبة له تعالى، فهي صفة وجودية قديمة بذاته، وهي صفة كمال، لأن الموت صفة نقص وسبحانه وتعالى منزه عن جميع النقائص وواجب له الكمال

فلزم اتصافه سبحانه وتعالى بالحياة، ولو لم يتصف بالحياة لما صح اتصافه بالقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

قال تعالى:

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

وقال تعالى:

﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ [سورة غافر: الآية ٦٥].

وقال جلّت كلماته:

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده﴾ [سورة الفرقان: الآية ٥٨].

وقال سبحانه:

﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً﴾ [سورة طه: الآية ١١١].



(٥)

الــهــوى

كيف انحرف بالصليبية الغربية عن طريق الهدى والرشاد

منذ أخذ المستشرقون والمبشرون الصليبيون في بلاد الغرب على عاتقهم محاربة الإسلام فكرياً، وهم في هذه المعركة يدفعهم الاعتقاد بأن العقلية الأوروبية هي ميزان التفكير الصحيح، مع أنها لا تصدر عن منهج سوي في دراساتها في مادة مقارنة الأديان، وبالتالي في دراساتها عن الإسلام؛ ذلك أنها إنما تصدر عن الكبرياء والذاتية، وفاتها أن التفكير السليم ميزانه المنهج لا نوع العقلية.

وإذا كان الأمر على هذه الصورة القاصرة، كان من اللازم أن تنصرف جهود علماء تلك المادة إلى مصدرية الكتب المقدسة ونسبتها إلى الوحي الصحيح، فمقارنة الأديان تحتاج في بحوثها عند التثبت من صحة الدين ــ أي دين كان ــ إلى:

أولاً: التأكد من نسبة كتابه المقدس إلى الوحي الصحيح.

ثانياً: التأكد من نسبة هذا الكتاب إلى نبي ذلك الدين[1].

وبفقد هذين الشرطين لا تكون هناك عقيدة، بل تكون هوى، ولم تقع البشرية في الكفر والضلال إلاَّ لأنها رفضت الوحي الإلّهي واتبعت ذلك الهوى، قال الله تعالى:

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾[2].

---

(١) كتاب آلهة في الأسواق تأليف الدكتور رؤوف شلبي نشر مكتبة الأزهر بالقاهرة ص ١٠.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

وقال جلَّ شأنه:

﴿إن يتبعون إلَّا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[1].

ويقول سبحانه:

﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾[2].

ما هو السبب في اضطراب الفكر الأوروبي وبُعده عن الدين؟

إن سبب ذلك هو أن الأوروبيين ومع الأسف تبعهم الأمريكيون بعد ذلك ورثوا ثقافتهم الدينية عن مصدرين شاذين:

المصدر الأول:

ثقافة الأمم السالفة مثل دولة الإغريق (اليونان القديمة) والتي ورثتها الدولة الرومانية القديمة، وقد كانت فكرة الإله عند فيلسوفها أرسطو فكرة عقيمة، إذ كان في اعتقاده أن الله لا يعقل شيئاً عن ذاته وهو خالٍ من الإرادة.

وفي التقاليد الاجتماعية القديمة لأمة الإغريق أن الألوهية عائلات وأُسر تتزاوج وتتناسل فيما بينها، ولها صفات رديئة وغير كريمة، مثل البشر تماماً وهي المكر والخداع والكره والقتل والحقد... إلخ.

المصدر الثاني:

أناجيل النصرانية المعتبرة لدى الكنيسة أنها مقدسة ومصدر للعقيدة فهي متعددة مضطربة، وإن جانباً من علماء النصرانية أو المسيحية كما غلب على تسميتهم طعنوا في صحتها وعدم كفايتها الروحية والعلمية[3].

---

(١) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٩.

(٣) كتاب آلهة في الأسواق تأليف الدكتور رؤوف شلبي ص ٢٠، ٢١.

فمن ناحية السند:

وجه النقد إليها العلامة الفرنسي المعاصر الدكتور (**شارل جينيبير**) رئيس قسم مقارنة الأديان في جامعة باريس فقال: إن أغلب الفقرات التي يظهر فيها أنها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محرري الأناجيل لا عن المسيح، أما تلك التي يرجح أنها مبنية على حديث صحيح فلا تعدو الأربع أو الخمس فقرات، ولا يمكن أن نصفها بأقل من أنها خاطئة أساساً في ترجمتها للنص الأصلي، ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب (أي أحداث صلب المسيح على حدّ زعم النصارى) كانت قد فقدت الكثير من وضوحها قبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت في مخيلة كاتبيها بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق، ولا يربط أيّاً منها بالواقع التاريخي علاقة تذكر[١].

أما عن صحة الأناجيل:

فقد وجه النقد إليها الناقد الجريء (ڤاستس) وهو من أكبر علماء فرقة (ماني كيز) في القرن الرابع الميلادي فيقول: (إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعتبر الناس، وقد آذى بذلك المريدين للمسيح إيذاءً بليغاً فقد ألف الكتب التي تمتلىء بالأغلاط والمتناقضات)[٢].

هل تعتبر هذه الأناجيل سجلات تاريخية؟

ذكر المستر آرثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور) أنها لا تعتبر سجلات تاريخية.

فإنجيل متى كتب حوالي سنة ١٠٠ ميلادية.

وإنجيل مرقس كتب حوالي سنة ٧٠ ميلادية.

وإنجيل لوقا كتب بين سنة ٨٠، وسنة ٩٥ ميلادية.

وإنجيل يوحنا كتب حوالي سنة ١١٠ ميلادية.

---

(١) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ١٦٧، ١٧٠ تأليف الدكتور رؤوف شلبي نشر دار الاعتصام بالقاهرة.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

وليس لهذا الأخير قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة، ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً[1]، انتهى كلام المستر آرثر فندلاي.

ماذا عن الرسائل الملحقة بالعهد الجديد؟

أما بالنسبة للرسائل الملحقة بالأناجيل السابقة وعددها ٢٣ رسالة وهي في الاصطلاح الكنسي أسفار تعليمية تحكي مواعظ وأحوال المسيح في مقابلة ما تحكيه الأناجيل الأربعة المعتبرة لدى النصارى من الأخبار الماضية، فيقول عنها الدكتور (شارل جينيبير): إن هذه الرسائل سجل فيها محرروها ما رأوه جديراً بالعناية من مجموعات حكم منسوبة إلى المسيح، أو حكايات عن مراحل حياته وجدوا فيها عبرة وتميزاً لشخصيته، ولم يُعْنَ أحد بما نسميه اليوم بـ (التحقيق التاريخي) ذلك المنهج الذي يفترض الشك، والذي يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء الكتاب الذين افتقروا إلى روح النقد.

وعموماً: فإن الدراسات المفصلة لتلك الرسائل وخصوصاً رسائلَ بولس، تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار الغريبة من دعوى الاثني عشر الأساسية، ومن الأفكار اليهودية التي يرجع بعضهما مباشرةً إلى النصوص المقدسة القديمة، بينما يرجع البعض الآخر إلى اعتبارات دينية حديثة نسبياً، ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، ومن الذكريات الإنجيلية والأساطير الدينية الشرقية[2].

وفي كلمة موجزة فإن المسيحية الحالية من واقع صحفها المقدسة ليست هي نصرانية المسيح بل لا تمت إليها بأي صلة اللّهم إلَّا الصلة الاسمية[3].

ومما يؤكد ذلك:

أن دوائر المعارف في أوروبا تنفي القول بإلهامية تلك الكتب المقدسة.

ماذا تقول دائرة المعارف البريطانية؟

ورد في المجلد الحادي عشر من دائرة المعارف المذكورة أن كل قول مندرج في

---

(١) كتاب «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء».

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٨، ١٩٠.

(٣) عن كتاب أوروبا والإسلام تأليف المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٧.

الكتب المقدسة ليس إلهامياً، وهذا ما ذكره كل من جيروم، وكرتيس، وأرازس، وبركوبيس وكثيرون من علماء النصرانية، كما ذكروا أن الذين يقولون: إن كل مندرج في الأناجيل إلهاميّ لا يقدرون على إثبات صحة دعواهم.

أما دائرة المعارف الفرنسية:

فقد ورد فيها بالمجلد السابع عشر أن هناك تناقضات بين نصوص الأناجيل المعتبرة، وأن هؤلاء الحواريين أصحاب المسيح ما كان يرى بعضُهم بعضاً صاحبَ وحي كما يظهر في مباحثاتهم في محفل أورشليم[1].

محاكم التفتيش في أوروبا كانت من أسباب اضطراب الفكر الديني هناك:

فلقد ساعدت محاكم التفتيش والوضع الاجتماعي والسياسي في أوروبا في العصور الوسطى على تشويه معنى الدين وإعطائه مفهوماً مظلماً موحشاً:

١ ـ فقد كانت الكنيسة تحكم بالإعدام حرقاً على كل من يُظن فيه أنه يتوجه أو يحاول التوجه لتفسير شيء في الكون بعيداً عن الكنيسة، فعلى مذبح الدين كانت مظاهر طغيان الكنيسة التي تكررت في قتل الرجال والنساء وإحراق الجثث البشرية والمدن وتخريبها وإباحة السلب والنهب.

٢ ـ ويقدر الكاتبون في مقارنة الأديان أن عدد العلماء الذين عاقبتهم الكنيسة بالإعدام عن طريق محاكم التفتيش بلغ ثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً وهم أحياء وكان من بينهم العالم الطبيعي المشهور جاليليو، والعالم برونو.

٣ ـ وعلى ذلك وتحت زحمة التعذيب والإعدام الوحشي انفعل الأوروبيون فكرياً فقالوا: إن العقل والدين ضدان، ومن هنا كان اضطرابهم في الحديث عن الدين مفهوماً أو تطوراً[2].

---

(١) كتاب آلهة في الأسواق ص ٢٢، ٢٣ تأليف الدكتور رؤوف شلبي.

(٢) المرجع السابق.

مثال يوضح مدى اضطراب العقيدة عند الفرد في بلاد الغرب:

يقول الفيلسوف الفرنسي (هنري دي لا كروا) عن الاضطراب في أصول النصرانية التي يعتنقها:

(لننظر في الاعتقاد المسيحي ـ أي النصراني ـ إله ينزل إلى الأرض ليفتدي الإنسان، إله واحد في ثلاثة أشخاص، هذا الاعتقاد لا يماشِي العقل، ورجال اللاهوت أنفسهم يعلمون ذلك حق العلم، والمؤلهة[١] أنفسهم يترددون بإزاء إله كهذا مكون من ثلاثة أشخاص؛ إله له طبيعتان: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، يترددون بإزاء كائن خالد صمد يصبح إنساناً فيألم كالإنسان ليفتدي خطايا البشر.

إن في المسيحية أنواعاً من المعتقدات العجيبة، يلقَى أرسخ المدافعين عنها أكبر الصعوبات في تسويغها، ومعنى ذلك أن الاعتقاد بشيء غير عقلي قد نؤمن به أحياناً لأسباب عقلية وأحياناً أخرى لأسباب غريبة عن العقل، ومن ثم فالإيمان الديني لا يمكن أن يكون إيماناً عقلياً محضاً، ومع ذلك يسعى هذا الإيمان إلى أن يكون عقلياً. . . لماذا؟

إلَّا أنه بدون مسوغ عقلي يمكن لأي اعتقاد أن يبدو شيئاً مشروعاً، وإذا كنا نستطيع أن نؤمن معفين أنفسنا من فحص أدلة ذلك الإيمان فلماذا لا نؤمن عندئذٍ بكل الخرافات التي ترويها الأساطير القديمة؟ ومن هنا وجب أن تكون لدينا أسباب معقولة لما نؤمن به وأن نبسطها للآخرين)[٢].

انتهى كلام ذلك الفيلسوف الفرنسي.

السبب في إصرار الصليبية على التمسك بعقيدتها؟

رغم وضوح المنهج السليم في البحث ورغم النتائج المذهلة التي توصل إليها علماء مقارنة الأديان، بل علماء التاريخ أيضاً في أوروبا وفي غيرها، حول فقد الأصل الديني الذي جاء به المسيح عليه السلام وما ثبت لديهم من أن رسالته قد حورت في

---

(١) المؤلهة هم الذين يقولون بوجود الله وينكرون الوحي والرسالة ويمثلهم بفرنسا في القرن الثامن عشر وروسو فولتير ومونتسكيو.

(٢) عن كتاب كفاح دين للشيخ محمد الغزالي صفحة ٩٥ نشر دار الكتب الإسلامية بالقاهرة.

أطوار متعددة، مما أبعدها كلية عن أصل الدعوة التي جاء بها، حتى صارت بعد التغيير نحلة مستقلة لا صلة لها بوحي السماء، نجد الصليبية لا تزال على عهدها وإصرارها على ما هي عليه وذلك يرجع إلى عاملين:

العامل الأول:

حواجز التقليد التي تقف حجر عثرة أمام العقول السليمة والفطر النقية خصوصاً تقليد الآباء والأجداد والرؤساء، فهي أشبه بالقيود على النفوس والعقول، تدفعها إلى التمسك بما توارثته من عقائد تشهد البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على زيغها وبطلانها.

ولقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء المقلدين وأمثالهم من مغبة ذلك التقليد المظلم فقال الله تعالى:

﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزلَ الله قالوا بل نتَّبع ما ألفَيْنا عليه آباءَنا أو لو كان آباؤُهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[1].

العامل الثاني:

الجهل بحقيقة الإسلام وبما يشتمل عليه من هداية ربانية شاملة ويكون ذلك غالباً عند العامة من شعوب النصرانية، فإن عقيدة الإسلام النقية وتعاليمه الصافية، تكاد تكون مجهولة عنْدهم على العموم وذلك بسبب الطريقة التي يلقن بها العديد من الأجيال قضايا الإنسانية الدينية، وبسبب الجهالة التي تركهم فيها أولو الأمر منهم عن عمد ـ سواء كانوا رجال حكم أو رجال دين ـ تجاه كل ما يخص الإسلام بل حتى ما يشير إليه أو إلى محاسنه من قريب أو بعيد، كما وأن منهم من يعمل على تشويه مبادئه والنيل من نبيه ﷺ.

دعوة الإسلام تحمل المنهج السليم إلى تصحيح العقيدة فمتى يفيقون؟

إن الوحي الإلّهي في الإسلام يدعو الناس عامة وأهل الكتاب خاصة دعوة حانية مخلصة إلى تصحيح أفكارهم في الألوهية، والرجوع إلى عقيدة التوحيد الصافية النقية،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

التي جاء بها الإسلام والانضواء تحت لوائها، فالله الغني الذي أبدع هذا الوجود من العدم ليس في حاجة إلى صاحبة أو ولد لأن الولد ما هـو إلاَّ امتداد للفـانين أو هو عـون للضعفاء العاجزين، والله بخلاف ذلك، قال تعالى:

﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض﴾[1].

وقال جل شأنه:

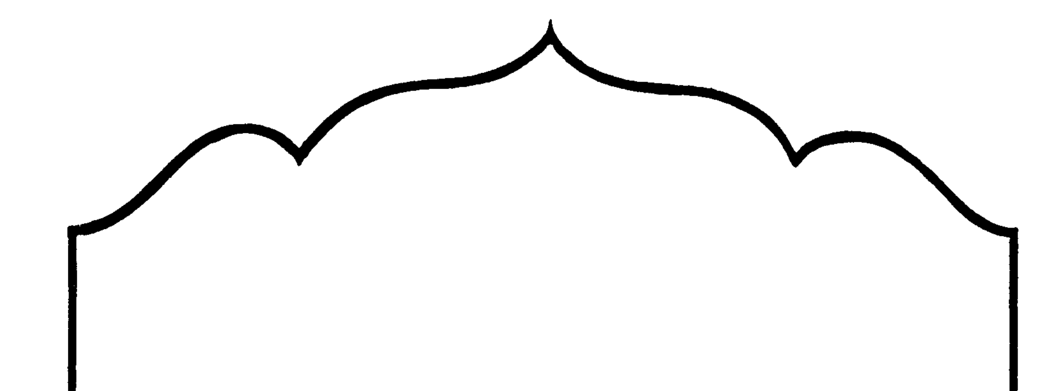
﴿بديع السمـاوات والأرض أنَّى يكون لـه ولد ولم تكن لـه صاحبـة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾[2].

***

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠١.



الباب الخامس

(١) كنيسة النصرانية هل أنشأها أو عبد الله فيها ورتب أمورها وأنظمتها المسيح عليه السلام.

(٢) الله سبحانه كيف يعتقد النصارى أنه يتجسد.

(٣) المسيح عليه السلام هل حقيقة قتل وصلب بمعرفة اليهود والرومان.

(٤) عقيدة الألوهية كيف عبثت بها الدولة الرومانية بين الثالوث والوحدانية.

(٥) الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

(١)

كـنـيـسـة النصـرانيـة

هل أنشأها أو عبد الله فيها ورتب أمورها وأنظمتها المسيح عيسى، عليه السلام[١]

إن المتتبع لأناجيل النصرانية، وما ألحق بها من رسائل، يتبين له أنهـا لـم تَنسُب إلى المسيـح تعبيراً يثبت قيـامه ببنـاء كنيسة ممـا تعارف عليـه النصارى، بـأنه مكـان العبـادة، وبالتالي فلم يتعبد المسيح طيلة حياته أو مدة دعوته في أي كنيسة من هذه الكنائس.

أمـا الثابت عنـه: فهو أنـه كان يعلن دعـوته ويبلغ رسـالته في مجـامع، أي معـابـد الإسـرائيليين وهم الذين غلب على تسميتهم اسم اليهـود بـوصفـه رسـولاً خـاصـاً إليهم، ولنستدل على ذلك بالنصوص الآتية على سبيل المثال:

يقول متى في إنجيله: (وكان يسوع يطوف كـل الجليل يعلم في مجـامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بـأمراض وأوجـاع مختلفة والمجـانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم فتبعته جمـوع كثيرة من الجليـل، والعشر المـدن وأورشليم واليهوديـة ومن عبر الأردن) [انظر الإصحاح الرابع من إنجيل متى، عدد ٢٣ ــ ٢٥].

وقد تضطره الظروف إلى إلقاء تعاليمه في الجبل لكنه ينبـه المستمعين لدعـوته أنهـا مكملة لدعوة موسى عليه السلام، وليست ناقضة لها، يشير إلى ذلك قوله:

---

(١) نشر بمجلة «الوعي الإسلامي» العدد ٢٠٤ من السنة السابعة عشرة: ذو الحجـة ١٤٠١ هـ ــ اكتوبـر ١٩٨١ م.

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس) [انظر إنجيل متى: في الإصحاح الخامس، عدد ١٧، ١٨].

وكلمة الناموس تعني شريعة موسى عليه السلام وكتابه التوراة.

ويؤكد على تلاميذه حين يرسلهم لإبلاغ دعوته بأنها خاصة باليهود فقط لذلك يقول عنه متى في إنجيله:

(ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف... هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) [إنجيل متى: الإصحاح العاشر، عدد ١، ٥، ٦].

ولما أراد الانتقال من الجليل إلى أورشليم القدس لإعلام كهنتها بدعوته ورسالته، دخل إلى هيكل عبادة اليهود يشير إلى ذلك قوله:

(ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي، الذي من ناصرة الجليل، ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) [إنجيل متى: في الإصحاح الحادي والعشرين، عدد ١٠، ١١، ١٢، ١٣].

وهيكل الله كان معبد اليهود الأكبر في مدينة القدس بناه نبي الله سليمان عليه السلام، وقد دمره أعداء اليهود من البابليين والرومان في فترات عدة انتقاماً من اليهود.

وما تقدم من نصوص وما شابهها، يتبين أن المسيح عليه السلام لم ينشىء أيّة كنيسة، ويقرر الكاتبون النصارى أن أكثر الأمور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث يدرس الأناجيل في غير ما تحيز هو:

(أن المسيح لم ينشىء كنيسة ولم يردها، بل إن افتراض العكس لن يجد له سنداً تاريخياً مقبولاً، فلم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أوتوا من براعة أن يقيموا على ذلك أدنى دليل).

ويعلل هؤلاء الكاتبون ما وصلوا إليه من نتيجة بأن نصوص الأناجيل تشير إلى أن المسيح كان يبشر ويترقب حلول مملكة الله الوشيك، ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقه كل فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي لأتباعه.

ثم إن المسيح كان يهودياً خاضعاً تمام الخضوع لشريعة اليهود الدينية، لهذا كان لا بد من الإيقان بأنه لم يكن ليُعمل فكره لحظة واحدة في رسم خطوط ما يسمى بالكنيسة.

أما الزعم بأن المسيح أعطى لحوارييه سلطة ما، فهذا محل جدل إلى اليوم، وعلى افتراض احتماله ــ لا ثبوته ــ فإنه لا يتعدى أن يكون المسيح قد منحهم بعض ما أوتي من سلطان التبشير بالتوبة، وبحلول مملكة الله لكنه ألبتة لم يصنع لهم أساقفة أو قساوسة، حيث لم يكن هو في حاجة إلى هذا إطلاقاً، انظر إليه في قوله:

(ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الاثني عشر عن المثل، فقال لهم قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله) [انظر إنجيل مرقص: في الإصحاح الرابع، عدد ١٠، ١١].

كما ورد في إنجيل لوقا قوله:

(وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت اللهومعه الاثنا عشر) [إنجيل لوقا: في الإصحاح الثامن، عدد ١].

هل أنشأ الكنيسة حواريو المسيح؟

إن الدارس لما قام به الحواريون من أعمال فإنه لا يجد أنهم فكروا في إنشاء أية كنيسة فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة على شعائر عبادته، لأنهم كانوا مؤمنين بأن المستقبل سيكون لمملكة الله التي بشّر بها المسيح وليس لكنيسة ما.

وجود نص عن الكنيسة في إنجيل متى وهل يتعارض مع رسالة السيد المسيح؟

أورد متى في إنجيله النص الغريب الآتي عن مناقشة بين المسيح وبين بطرس الحواري:

(وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) [انظر إنجيل متى: الإصحاح ١٦، عدد ١٨].

والمتأمل لهذا النص يجد أن المسيح كأنه تنكر لرسالته التي جاء بها لبني إسرائيل، لأن رسالته كانت التبشير بقرب حلول مملكة الله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النص يفيد أن المسيح سيبني كنيسة، وقد انتهى المسيح عليه السلام من هذه الأرض ولم يبن تلك الكنيسة على الإطلاق، مما يؤكد شذوذ النص المشار إليه وتعارضه مع رسالة المسيح يضاف إلى ذلك أن لفظ الكنيسة كما سيأتي في هذا المقال لفظ يوناني لأنها نشأت أساساً في ربوع العالم اليوناني، والمسيح لم يظهر في بلاد اليونان، ولم يتكلم اللغة اليونانية.

كيف نشأت فكرة إنشاء الكنيسة بمعنى نظام تعبُّدي؟

يقرر علماء الأديان أن فكرة إنشاء كنيسة لأداء مناسك العبادة، وتسلسل وظائفها في الكهنوت وفي الإكليروس إنما نشأت في ربوع العالم اليوناني بعيداً عن أرض فلسطين التي نشأ فيها المسيح وبشّر فيها برسالته بلغته التي كانت الآرامية.

ويقولون إن اليهود المغتربين في مهاجرهم قد طردوا أتباع المسيح من معابدهم اليهودية، سواء كان هذا التابع يهودياً في أصله أو غير يهودي، أي من الأمم غير اليهودية، فتكون من هؤلاء الأتباع المطرودين من معابد اليهودية لاتباعهم المسيح مع أولئك الوثنيين اليونانيين الذين طردوهم كذلك من معابد الوثنيين لاتباعهم المسيح، كوّنوا جميعاً تجمعاً حول عبادة واحدة تمجد المسيح، عبادة لا تعدو أن تكون عبادة بدائية.

ويقول الأستاذ الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي الأستاذ بجامعة القاهرة في كتابه (نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين في الشريعة المسيحية)، الآتي:

١ ـ إن لهيب الاضطهاد استمر على النصارى ثلاثة قرون من قبل حكام الأمبراطورية الرومانية يثور أو يخمد مثل حمم البركان وفقاً لظروف الأمبراطورية ونشاط حكامها.

٢ ـ ولقد اعتصم النصارى بالمغاور الصخرية في جوف الأرض لأداء شعائرهم الدينية بعيداً عن اضطهاد الرومان.

٣ ــ وكان بولس دائب السعي والطواف يؤسس الجمعيات المسيحية في صورة خلايا سرية يطلق عليها أي على الجمعية من تلك الجمعيات أو تلك الخلية السرية لفظاً يونانياً هو (Elecklesia) أي الكنيسة (Eglise)، ويضع على رأس كل جمعية أو خلية سرية (Eglise) مراقباً، ويعني باللغة اليونانية (Episkopos)، أي أسقف (Eveque).

ونخلص مما سبق أن فكرة بناء الكنائس ليس لها أي أساس عقدي في ملة النصرانية الحقة التي جاء بها المسيح عليه السلام، بل هي من ابتداع واختراعات بولس الذي لم ير المسيح عليه السلام، ولم يؤمن به، بل كان عدواً له ولحوارييه وتلاميذه، وبعد ذهاب المسيح من هذا العالم، زعم لهؤلاء التلاميذ أنه رأى المسيح، وأنه آمن به، ثم لمّا اطمأنوا إليه أخذ يبث من التعاليم ما يناقض دعوته، ويتعارض مع ما تلقاه هؤلاء التلاميذ من المسيح عليه السلام.

ويقول د. شارل جان بيير أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس: إن فكرة الكنيسة انطوت على فكرة الاجتماع الأخوي وفي هذه الحالة سَمّى أتباع المسيح أنفسهم بالقديسين وظلت الكنيسة في نشأتها بهذا المفهوم الذي لم يتعد طور الأخوة بين المؤمنين المحليين بالمسيح دون أن يظهر ما يسمى بكنيسة الله في كيان مادي ملموس.

ولا تزال فكرة نشأة الكنائس الخاصة غامضة كل الغموض لعدم وجود أدلة كافية عن ظروف نشأتها، لأنها نشأت في أحضان الإرهاب السياسي والاضطهاد الحكومي والشعبي، ويمكن القول افتراضاً إن جماعات قامت باسم التعاون بين صغار الناس، وكان لكل جماعة مدير منتخب، وصندوق تموله الاشتراكات ويشرف عليها مندوب خاص، فلعَلّ هذا النظام قد أخذت به الجماعات الدينية النصرانية المتناثرة فأنشأوا نظاماً إدارياً للكنيسة تطور فيما بعد إلى ما يعرف بالقسيس والأسقف والشماس وهو لفظ سرياني يعني المعاون.

وقد ظهر ذلك في القرن الأول الميلادي، ثم تطور فيما بعد إلى نظام متكامل معقد، فرضته ظروف كثرة من اختلاف القساوسة في العقيدة، وتحمسهم لأوطانهم، وشراهتم في جمع المال وتنافسهم على السلطات.

الكنيسة تستعير من الرومان نظام وأوضاع رجال الدين:

يقول جيرالدال بيري ــ من كبار مفكري الغرب ــ في كتابه: ديانات العالم عن

النصرانية: إن الكنيسة قد استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات طبقاً للآتي:

أولاً: في خلال القرون الأولى للنصرانية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة لأن النصارى كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن، واسمه مستعار من اليونانية وهو الرجل الشيخ (The old man).

ثانياً: فلما لم يعد المسيح وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ النصارى يرتبون لها نظماً أكثر دقة ودواماً تنحصر فيما يلي:

١ ــ أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها، وكل منهم يسمى قسيساً أو رجل دين.

٢ ــ أطلق على هؤلاء المنقطعين رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين غير المنقطعين لخدمة الدين.

٣ ــ كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه أسقف أو مطران.

٤ ــ الأساقفة في المدن الرئيسية أطلق على كل منهم رئيس الأساقفة في دائرته.

٥ ــ من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكان أسمى، وأصبح لهم نفوذ كبير وأخذ كل منهم لقب بطريق، وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية (أنطاكية، وبيت المقدس، والاسكندرية، والقسطنطينية، وروما) فأربعة من هؤلاء في الشرق وواحد فقط في الغرب.

٦ ــ قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب (Papa) بابا، ولكن منذ القرن الحادي عشر في عهد البابا جريجوري السابع حاول أن يختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما لكن ينازعه حالياً بطريرك الاسكندرية إذ أمر أتباعه بمناداته بلقب بابا الاسكندرية.

٧ ــ وبفعل نفوذ بابا روما، أصدر الامبراطور الروماني في سنة ٤٤٥ ميلادية قراراً بجعله رئيساً عاماً للكنائس النصرانية، وقد تمكن باباوات روما وقتئذ من الاستيلاء على السلطة السياسة هناك، وظل السلطان السياسي في يد هؤلاء الباباوات مدة اثني عشر قرناً كونت فيها الكنيسة هناك من نفسها دولة وساعدها في ذلك قوتها وغناها.

(أ) فأذاعت كنيسة روما أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة.

(ب) وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والإدارة.

(ج) وأنه المشرع والمفسر النهائي للكتاب المقدس.

(د) وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء.

فجبت الكنيسة الضرائب، وسيطرت على القضاء، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفيها، واستصدرت قانوناً جديداً عكف على إعداده عدد كبير من القسس، وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطأوا كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين في حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس.

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف، وكان غناها من إيراد الممتلكات الواسعة التي كانت تمتلكها ومن الوصايا التي طالما كان يدونها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيماً في الحياة الآخرة.

وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعي فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر.

واجتمع في الكنيسة جميع شؤون الأسرة كالزواج والطلاق وقيد المواليد والوراثة والوصايا، وأصبح للكنيسة سُعاةٌ يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات، وعدّ رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله في الأرض، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله، وأنها منفذ الرحمة، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء.

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الكنيسة كثيراً من الناس ليدخلوا الكنائس ولينصتوا إلى رجالها لينعموا بهذا النفوذ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة، وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الأطماع وعبدة الدنيا محسوبين في عداد رجال الدين.

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها ازدادت طقوسها المقدسة عدداً، وتنوعت هذه الطقوس، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة، وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شيء في حياة الإنسان النصراني وبعد موته، ثم أنقصت الكنيسة تلك الطقوس إلى سبعة هي على الترتيب الآتي:

١ ـ تعميد الأطفال عقب ولادتهم لتمحى عنهم آثار الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم في زعمهم).

٢ ـ العشاء الرباني وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف.

٣ ـ الاعتراف، ويتبع الاعتراف الغفران (للمذنب المعترف بخطيئته أمام القسيس).

٤ ـ حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت.

٥ ـ حضور القسيس عند الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة.

٦ ـ الميرون وهو مزيج من العقاقير عليه بقايا تحورت كما يدعى رجال الكهنوت من الدهن الذي صنعه الرسل ولا يمسح به إلا الكهنة.

٧ ـ الكهنوت، معناه السر الذي يحصل الإنسان به على النعمة التي تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر فيعين بين الكهنة. والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح، وكذلك الأسرار الستة الأولى (على حد قولهم).

٨ ـ السر الثامن وتنفرد به الكنيسة الكاثوليكية وهو عصمة بابا روما، واستحالة ارتكابه الإثم والخطيئة، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول، (ويبدو أن هذا السر لم يعد قاصراً على بابا روما وحده بل تعدّاه إلى باقي البطارقة فزعموا العصمة لأنفسهم بفعل هذا الروح القدسي).

الإسلام ينعى على النصارى هذا الابتداع في الدين:

لما أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة بعقيدة الإسلام أمره أن يبلغ أهل الكتاب من النصارى في مشارق الأرض ومغاربها ألا ينقادوا لشهوات الأحبار والرهبان فيما ابتدعوه قديماً من نظم وما رسموه من تقاليد كهنوتية، فهم قد ضلوا من قبل فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فأضلوا كثيراً ممن اتبعوهم دون روية أو تفكير، وما عليهم إلا تلبية دعوة الحق ألا وهو الإسلام فهو يدعو إلى جادة الطريق الذي لا عوج فيه ولا التواء ولا مغالاة، قال تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب لا تَغْلُوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلُّوا من قبل وأضلُّوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٧].

كما حذرهم القرآن الكريم بأن في قيامهم بطاعة رهبانهم وأساقفتهم فيما لم يحله الله ويشرعه وفي كراهيتهم لدعوة الإسلام إثم كبير بل شرك بالله. يقول جلت كلماته:

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ [سورة التوبة: الآية ٣١].

ولقد كشف القرآن الكريم سوء أخلاق أولئك الأحبار والرهبان حتى يعلم أتباعهم أنهم غير جديرين بتقديسهم لهم والأخذ عنهم، فهم يأخذون من هؤلاء الأتباع الضرائب والمكوس باسم الكنائس، ويستولون عليها لشهواتهم وأغراضهم، ويكنزونها ولا يكتفون بذلك بل يصدون أتباعهم ويمنعونهم عن الدخول في دين الإسلام، واتباع ما أرسل به النبي محمد ﷺ من عقيدة وأحكام. يقول تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان لَيَأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٤].



(٢)

اللّه سبحانه

كيف يعتقد النصارى أنه يتجسَّد[١]

عقيدة النصرانية أو المسيحية كما دعيت بعد ذلك في أساسها كانت قائمة على توحيد الله بالعبادة، وأن المسيح عليه السلام بشر رسول بعثه الله إلى بني[٢] إسرائيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة التي هي كتاب اليهود المقدس الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام فنصحهم بتقوى الله وطاعته.

وفي نصوص الكتب المقدسة المتداولة بين النصارى ما يشير إلى ذلك، وهذا في قوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح السابع عشر، عدد ٣، ٤].

إلا أن النصارى أو المسيحيين وهو ما غلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي ورثوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام (هو صورة الله أي أن فيه طبيعة لاهوتية، وما دام كذلك فهو الله متجسداً، ويستندون في ذلك إلى النصوص الآتية والمنسوبة إلى بولس مشيراً بها إلى المسيح عليه السلام).

١ ـ (هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله)[٣].

---

(١) هذا المقال نشر بمجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية العدد ٢٢٤: شعبان سنة ١٤٠٣ هـ ـ يونية سنة ١٩٨٣ م.

(٢) انظر في باب الوثائق: الوثيقة الثانية: صورة الحكم الجنائي الروماني ضد المسيح.

(٣) رسالة بولس إلى أهل فيليبي في الإصحاح ٢، عدد ٥، ٦ من العهد الجديد بالكتاب المقدس.

٢ ـ (الذي هو صورة الله غير المنظور والبِكْر على كل ما خُلق)[١].

٣ ـ (إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله)[٢].

والرد على ذلك سهل يسير:

١ ـ فالقول بكون المسيح هو صورة الله يعني أن المسيح هو غير الله سبحانه وتعالى، لأن كون شيء على صورة شيء لا يقتضي أنه هو بل بالعكس يفيد أنه غيره، فمثلاً صورة الآلهة المعبودة من دون الله هي بالقطع ليست عين الإله المعبود، وبناء على هذا المثال فإن القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه.

٢ ـ أن كون المسيح (هو صورة) الله حدده بولس نفسه صاحب النصوص السابق الإشارة إليها في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس في قوله:

(فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل)[٣]. مما يعني أن الله جعل المسيح نائباً عنه في إبلاغ شريعته إلى من أرسل إليهم كما أن الله جعل الرجل نائباً عنه في سلطانه على امرأته، ومقتضى هذا السلطان ألا يغطي الرجل رأسه بخلاف المرأة[٤].

٣ ـ إن الله خلق آدم كما خلق المسيح فلا مزية للمسيح في هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين عن آدم قوله: (لأن الله على صورته عمل الإنسان)[٥]، ولم يقل أحد من الناس قديماً أو حديثاً إن في آدم طبيعة لاهوتية أو أنه الله متجسداً.

كيف كانت العلاقة بين الإنسان وخالقه في بشارات المسيح؟

إن العلاقة بين الإنسان وخالقه كما بينتها أقوال المسيح عليه السلام هي العلاقة بين

---

(١) رسالة بولس إلى كولوسي في الإصحاح ١، عدد ١٥ من العهد الجديد بالكتاب المقدس.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس في الإصحاح ٤، عدد ٤ من العهد الجديد بالكتاب المقدس.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس في الإصحاح ١١، عدد ٧ من المرجع السابق.

(٤) كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، للأستاذ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي، أستاذ دروس تفسير القرآن في الجامع الأموي بدمشق سابقاً.

(٥) سفر التكوين في الإصحاح ٩، عدد ٦ من العهد القديم من الكتاب المقدس.

الروح ومصدرها، وبين الحياة وينبوعها، بين المكفول وكافله، وبين الرعية وراعيها[1].

ويتضح ذلك من صلاته التي علّمها لتلاميذه وذلك في قوله:

(متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا، أعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير)[2].

إذاً كيف انحرف مفهوم الصورة عند النصرانية إلى مفهوم الحقيقة؟

يبدو أن ذلك الانحراف في معنى الصورة جاء نتيجة تأثر النصرانية فيما بعد عصر المسيح وعصر الحواريين بالفلسفات التي كانت سائدة في منطقة البحر الأبيض المتوسط والتي منها فلسفة أرسطو.

فالصورة في مذهب أرسطو هي حقيقة الشيء، وماهيته التي يقوم بها وجوده فليست هي شكله البادي للعين أو تمثاله الملموس باليدين.

فصورة العصفور هي حقيقته التي يكون بها عصفوراً، وصورة الدرهم هي جوهره الذي يميزه من سائر قطع الفضة، وسائر قطع النقد، ويجعله درهماً، وتزول عنه الدرهمية إذا زال، ولا يخلو موجود في العالم من الصورة، فكل موجود هو صورة، ومادة، أو صورة وهيولى لأن المادة كانت تسمى بالهيولى.

وطبيعي أن ما سارت عليه النصرانية كان خطأ في مفهومها لمعنى (كون المسيح هو صورة الله متجسداً)، وذلك أن أرسطو نفسه في فلسفته يقرر أن أعلى الموجودات هو الله لا تشوبه المادة، ومعنى مجرد لا يقوم في جسد[3].

---

(١) كتاب (الله) نشأة العقيدة الإلهية للمرحوم عباس العقاد.

(٢) إنجيل لوقا في الإصحاح الحادي عشر، عدد ٣ ــ ٤ من العهد الجديد، بالكتاب المقدس.

(٣) كتاب (الله) نشأة العقيدة الإلهية، للمرحوم عباس العقاد.

أسفار أهل الكتاب نفسها تقرر أن الله لا يكون إنساناً:

إن الله لا يكون إنساناً مطلقاً لأن صفة الألوهية يستحيل عليها أن تجتمع في إنسان مطلقاً وهذا بصريح أسفار أهل الكتاب المقدسة عندهم طبقاً لما يلي:

أولاً: ورد بسفر هوشع قوله عن الله: (لأني الله لا إنسان)[1].

ثانياً: ورد بسفر أيوب قوله عن الله: (لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة)[2].

ثالثاً: جاء في سفر صموئيل الأول قوله عن الله:

(لأنه ليس إنساناً ليندم)[3].

رابعاً: جاء في سفر العدد:

(ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم)[4].

خامساً: جاء في سفر الخروج قول الله لموسى عليه السلام لما طلب رؤيته:

(وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش)[5].

سادساً: يقول يوحنا في رسالته الأولى عن الله:

(أيها الأحياء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً والله لم ينظره أحد قط)[6].

---

(١) سفر هوشع في الإصحاح ١١، عدد ٩ من العهد القديم بالكتاب المقدس.

(٢) سفر أيوب في الإصحاح ٩، عدد ٣٢ من العهد القديم بالكتاب المقدس.

(٣) سفر صموئيل الأول في الإصحاح ١٥، عدد ٢٩ من المرجع السابق.

(٤) سفر العدد في الإصحاح ٢٣، عدد ١٩ من المرجع السابق.

(٥) سفر الخروج في الإصحاح ٣٣، عدد ٢٠ من المرجع السابق.

(٦) رسالة يوحنا الرسول الأولى في الإصحاح الرابع، عدد ١١ ـ ١٢ من العهد الجديد من الكتاب المقدس.

رجال اللاهوتية النصارى يرفضون عقيدة التجسد في المسيح في زمـاننا المعاصر:

لفتت عقيدة تجسد الله في المسيح لغرابتها وشذوذها تفكير رجال الدين في أوروبا، مما حدا بهم إلى البحث عن جذورها ومصـادرها التي تسـربت منها إلى عقيـدة النصرانيـة النقيـة، عقيـدة المسيح عليـه السـلام التي هي بـراء من أفكـار تجسـد الله في المسيـح أو تأليهه، وقد انبرى بعض رجال اللاهوت البريطانيين لمناقشتها حيث انتهوا فيها مجتمعين إلى القـول بأن الـوقت قد حـان لترك هـذه الأسـطورة الـدخيلة على دعـوة المسيـح عليـه السلام، وأن المؤمنين بالنصرانية مقتنعون بأن الاعتقاد المتأخر:

١ ــ بأن المسيح هو الله في صورة إنسان.

٢ ــ والشخص الثاني في الثالوث المقدس الذي يحيا حياة بشرية.

هـذا الاعتقاد مـا هو إلا أسلوب أسـطوري أو شاعـري للتعبير عن أهميـة المسيـح، وعلينـا أن نقـول هنـا: إن أملنـا هــو أن نحـرر الحـديث عن الله وعن يسـوع من الخلط والتشـويش، محررين بـذلك النـاس لخدمـة الله في الطريق المسيحي بكمـال أكبـر، لأن المسيحية لا تستطيع البقاء كـإيمان يمكن الاقتنـاع به إلا إذا كـانت متفتحة بـاستمرار على الحقيقة[1].

هل من الممكن وجود النصرانية بدون عقيدة التجسد؟

أولاً: يقول القس (موريس وايلز) رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة انجلترا وأستـاذ الإلهيـات في جامعـة أكسفورد: إن المسيحيـة تـوصف غـالبـاً بـأنهـا عقيـدة التجسـد أي تجسـد الله في الفرد المعين يسـوع الناصـري، فهـل من الممكن وجـود المسيحيـة بـدون تجسد بهذا المعنى؟ (أي بدون هذه الأسطورة).

ولقـد انتهى في إجـابتـه إلى القـول بـأن الكثيـرين يعتـرضـون الآن على استعمـال

(١) كتاب أسطورة تجسد الله في المسيح تأليف البروفيسور جون هوك أستاذ اللاهوت بجـامعة بـرمنجهام في بريطانيا.

الأسطورة في اللاهوت سواء كانت الأسطورة تاريخية أو فلسفية أو شعرية فالرأي السائد في فهمها هو أنها خرافية وليست حقيقية[1].

ثانياً: ماذا تقول المحاضِرة اللاهوتية (فرنسيس يونغ)؟

هذه المحاضرة تقرِّر:

١ ــ إن الأفكار والألقاب التي أضيفت على المسيح كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل، ويمكن الاطلاع عليها في وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية فلها أصول آرامية، وخلفيات فلسطينية ويهودية وهللينية ويونانية.

٢ ــ ولقد نسبت هذه الأفكار والألقاب إلى المسيح ولم يدعيها المسيح لنفسه.

٣ ــ ومن المسح لدراسة المسيح في كتب العهد الجديد يمكن قول الآتي:

(أ) إن الأناجيل لا توفر معلومات مباشرة من الوحي عن ألوهية المسيح.

(ب) وفكرة التجسد بمعناها المقبول تقليدياً لم توجد في رسائل بولس، بل في أذهان قراء هذه الرسائل الذين فسروها على هذا النحو، ويمكن تطبيق نفس هذا الجدل على بقية الأناجيل.

(ج) إن عملية التأليه للمسيح مستلهمة كلياً من الوثنية[2].

(د) وأن امتداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو سبب ظهور فكرة دخول عميل فوق مستوى البشر على شخص المسيح[3].

ثالثاً: ويقرر (دون كوبيت) عميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج:

بأن يوحنا الدمشقي الذي عاش الفترة من (٦٧٥ م ــ ٧٤٩) وهو عالم شرقي من علماء اللاهوت أقر بأن كتب النصرانية المقدسة خالية من التثليث وثنائية الطبيعة للمسيح والتجسد، وهذه الأفكار انتقلت إلى النصارى من آباء الكنيسة، وينتهي (دون كوبيت) إلى

---

(١) كتاب «أسطورة تجسد الله في المسيح».

(٢) انظر في باب الوثائق: الوثيقة الأولى مخطوطات «كهف قمران» تكشف أن المسيح نبي مرسل من عند الله.

(٣) المرجع السابق.

القول بأنه إذا كان الأمر في التجسد هو أن الله نفسه اتخذ بصورة دائمة طبيعية بشرية أمكن وصفه أنه إلٰه في شكل إنسان ويمكن إذن إدراك الألوهية بهيئة تركيب بشري، وتعود هكذا فكرة الوثنيين عن الإلٰه على أنه شخص ذو جنس معين فوق مستوى البشر، وهذا ما حدث فعلاً مع الوقت بمساعدة الصور التقليدية للآب والابن، مما يقتضي ألا تصبح دراسة شخصية المسيح نوعاً من مذهب عبادة الإنسان للإنسان بل يجب التركيز على الله وليس على المسيح[1].

ويعلق على ذلك الدكتور محمد البهي بأن المسيحية الرومانية يوم غلب عليها الاتجاه المادي جسمت الألوهية فنقلت إلى (ألوهية المسيحية) مادية الوثنية الرومانية والإغريقية قبلها، وأنزلت السماء إلى الأرض وحولت الإنسان عليها إلى إلٰه أو شبه إلٰه في قداسته واحترامه والطاعة له[2].

الإسلام في عقيدته يرفض فكرة المشبهة والمجسمة للذات الإلهية:

ففي الوقت الذي أضفى القرآن الكريم على حقيقة الذات الإلهية من الصفات وأضاف إليها من النعوت ما يميزها عن سائر الموجودات، يجعلها في متناول الإدراكات الإنسانية، وفي دائرة ما يعرف بالعقل والوجدان، بل يجعلها أجلى ما يعرف وأسمى وأجل ما يعلم لذوي الفطر السليمة والعقول المستقيمة، يرفض القرآن الكريم أيضاً فكرة المشبهة والمجسمة كلية.

فالإلٰه لا حاجة له أن يلبس جسد البشر، كما أنه منزه عن صفات البشر وأخصها التجسد.

ويشير القرآن الكريم في سورة الإخلاص إلى جانب التنزيه بقوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ فهذه الأحدية تقتضي التفرد والتنزيه عن المشابهة والمماثلة للحوادث، كما يشير إلى جانب الكمال والتأثير بقوله: ﴿الله الصمد﴾ وهو المقصود للناس جميعاً، فهذه

---

(١) كتاب الدين والدولة، للدكتور محمد البهي.

(٢) كتاب العقيدة والأخلاق، للدكتور محمد بيطار، شيخ الأزهر السابق.

الصمدية تقتضي اتصافه عز وجل بكـل صفات التـأثير التي هي صفـات الكمال، ولم يكن أحد مكافئاً ومماثلاً له في شيء من صفاته كما يشير إليـه قولـه تعالى: ﴿ولم يكن لـه كفواً أحد﴾.

فـالله في عقيدة الإسـلام ليس إلا الموجـود الأسمى المنفرد بكـل صفات الكمـال، الحـائز لكـل معاني العـزة والجلال، المهيمن على كـل ما سـواه ومن عـداه، إليـه تستنـد وجـودات الأشياء ومنـه تنبثق ما فيهـا من قوة وحيـاة وعنه وبـإرادته تصـدر كل مـا فيها من حـركات وكـل ما يلحقهـا من تغيرات، وهـو القاهـر للخلق جميعاً بمـا له من مـطلق الأمر والنهي.

قال تعالى:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى: الآية ١١].

ويقول جل شأنه:

﴿قـل هو الله أحـد، الله الصمد، لم يلد ولم يـولد ولم يكن لـه كفواً أحـد﴾ [سورة الإخلاص].



(٣)

المسيح عليه السلام

هل حقيقة قتل وصلب بمعرفة اليهود والرومان؟

درجت بعض الصحف اليومية في بلادنا الإسلامية عندما تحل مناسبة عيد الفصح اليهودي من ربيع كل عام على نشر مقالات كثيرة لكهنة أهل الكتاب من النصارى وكتّابهم، تدور جميعها حول مفهوم واحد هو تمكن اليهود من القبض على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومحاكمته ثم قتله وصلبه، وظاهرهم في ذلك حكامهم من قبل الدولة الرومانية، التي كانت تحتل البلاد الفلسطينية موطن ومحل دعوة السيد المسيح، ويستندون في ذلك إلى ما جاء في الأناجيل المعتبرة لديهم، وذلك في قوله:

(والذين أمسكوا يسوع فساقوه إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ. . . حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه) [انظر إنجيل متى: إصحاح ٢٦، عدد ٥٧، ٦٧].

وقوله بعد أن أخذوه إلى دار الولاية:

(فعروه وألبسوه رداء قرمزياً، وضفروا إكليلاً من شوك وضعوه على رأسه وقصبة في يمينه. . . وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه، ومضوا به للصلب، وأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب، حينئذٍ صلب معه لصّان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار. . . ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم: إيلي إيلي لما شبقتني! أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني) [إنجيل متى: إصحاح ٢٧، عدد ٢٨ ـ ٤٦].

ولما كان في ترك تلك المقالات على هذه الصورة دون الرد عليها ما يثير الشكوك والحيرة أمام القرّاء المسلمين الذين يطالعون تلك الصحف، فهم يقرأون ويحفظون قوله تعالى عن اليهود:

﴿وبِكُفْرِهِم وقولهم على مريم بُهتاناً عظيماً، وقولهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شُبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفَعَه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾[1].

أساس فكرة الصلب في عقيدة النصرانية:

أساس ذلك ما يذكره النصارى أن من صفات الله العدل والرحمة، فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلَّا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان، وهذا ما يعبر عنه في لغة النصارى بظهور الله في الجسد، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح، ثم يصلب ليكفر خطيئة البشر وهنا تمت المصالحة بين الله والناس.

مناقشة فكرة الصلب:

إن فكرة الصلب التي يؤمن بها النصارى في عقيدتهم يعترض على أساسها بالآتي:

أولاً: أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى وقت صلب المسيح؟ فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ ألفي عام فقط أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم؟

ثانياً: إن قولهم بأن نزول ابن الله وصلبه كان ضرورياً للتكفير عن خطيئة البشر فليت شعري كيف ضاقت الأمور على رب البشر في نظرهم حتى استحال عليه أن يجد طريقاً آخر أو وسيلة أخرى من الممكن بواسطتها أن يغفر خطيئة البشر، بدلاً من هذه الصورة القاسية لمن يزعمون أنه ابنه، تلك الصورة التي زادت بها خطايا البشر، فهل يعقل أن يعالج المرض بمرض أخطر منه أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة غفرت لكم بدل هذه التمثيلية البشعة؟

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨.

وإذا كانت عملية الصلب بهذا الوصف عملاً تمثيلياً في نظر النصارى للتكفير عن خطيئة البشر، فلماذا كان النصارى يكرهون اليهود ويبغضونهم ويرونهم آثمين معتدين على المسيح؟

ثالثاً: في تعليل هذه الفكرة يقرر النصارى أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم، لكن يُردّ على ذلك بإن إلزام الأحفاد بأخطاء الآباء والأجداد أمر لا تقره العقول، ولا تسمح به القوانين التي وضعها البشر، ولا تقره ـ من باب أولى ـ الشرائع السماوية فكيف استساغوا هذه السفسطة الفارغة؟

إن الكتاب المقدس في سفر التثنية ينص على أنه:

(لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل) [انصر سفر التثنية: إصحاح ٢٤، عدد ١٦].

كما ورد في سفر حزقيال قوله:

(النفس التي تخطىء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بل بِرُّ البار عليه وشر الشرير عليه يكون) [انظر سفر حزقيال: إصحاح ١٨، عدد ٢٠].

وهذا هو ما جاء في القرآن الكريم دستوراً للعدالة الإلّهية في قوله تعالى:

﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ [سورة الطور: الآية ٢١].

وقوله سبحانه:

﴿ولا تزرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ [سورة الإسراء].

وكما قدّمنا فإنه لما كان المبدأ المعترف به في الديانات جميعاً وفي القوانين الوضعية وأعراف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء سوى ثرواتهم، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ به ذرياتهم فإنه يترتب على ذلك:

١ ـ أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم إذ لا شأن للذرية بما ارتكبه والدها تطبيقاً لما ورد في سفر التثنية، وسفر حزقيال السابق الإشارة إليهما، وتطبيقاً لبداءة العقول وأعراف الناس وقوانينهم.

٢ ـ فساد القول بالمعمودية التي يقول عنها النصارى: إنها تطهر المصطبغ بها من

خطيئة آدم إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوهم من خطيئة.

رابعاً: إذا كان ابن الله قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية على زعمهم فما العمل في الخطايا التي تجد بعد ذلك، ومنها ما هو أقسى من عصيان آدم، حتى لقد أنكر البعض وجود الله سبحانه، وهاجمه آخرون، فلماذا كانت حكاية التجسد لخطيئة واحدة ثم تركت باقي خطايا البشر التي لا تعد ولا تحصى.

خامساً: زعم النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب شخص غير مذنب وصلبه؟

فإن قالوا: إنه قَبِل ذلك نجد أن ما ورد بالأناجيل المتداولة بينهم عكس هذا القول، مثال ذلك: ما جاء في إنجيل متى: إصحاح ٢٧، عدد ٤٦ قوله:

(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لم شبقتني).

أي إلّهي إلّهي لماذا تركتني.

كما ورد في إنجيل مرقس: إصحاح ١٥، عدد ٣٤، قوله:

(وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقتني). وتفسيره إلّهي إلّهي لماذا تركتني.

سادساً: إذا كان المسيح ابن الله (في اعتقادهم) فأين كانت عاطفة الأبوة؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية، ثم الصلب مع دق المسامير في يديه.

سابعاً: من المسلَّم به في جميع الشرائع أن تتناسب العقوبة مع الذنب، فهل تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح على هذا النحو مع الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر؟ إن كل خطيئة آدم التي أحال عليها النصارى عملية قتل المسيح وصلبه، لم تعْدُ أن تكون أكلاً من شجرة نُهِي عنها، وثبت بنص كتب أهل الكتاب المقدسة لديهم أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة، ولا شك أنه عقاب كافٍ، فالحرمان من الجنة والخروج إلى حياة الكدح والنصب في الدنيا عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه، وفي وقته، فكيف يستساغ أن يظل سبحانه مضمراً السوء آلاف السنين حتى وقت رسالة المسيح، وهنا فقط ينتهي الغضب منه بحادثة صلب ابنه على حد زعمهم.

ثامناً: إن الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي وكان أسقفاً كاثوليكياً قبل إسلامه في بلدة نصيبين من أرض العراق في القرن الماضي ينتقد فكرة التكفير عن الخطيئة في كتابه (الإنجيل والصليب) فيقول: (من العجيب أن يعتقد النصارى أن هذا السر اللاهوتي، وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظلَّ مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلَّا الكنيسة بعد حادثة الصلب!).

تاسعاً: إن قيل: إنه بواسطة نظرية الصلب خلص النصارى من مِحَن الدنيا ومشاغلها فما بالنا نراهم مثل جميع البشر يجري عليهم ما يجري على غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى من سعي على الرزق وإصابتهم بالهموم والأمراض والموت.

عاشراً: فإن قيل: إنهم خلصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك، لأنهم يتلون في عباداتهم وصلواتهم في الصباح والمساء عبارات (واغفر لنا ذنوبنا).

حادي عشر: وإن قيل: إن هذا الخلاص كان خلاصاً لهم من حساب الآخرة، فلا صحة لذلك أيضاً لأنه مكتوب في أناجيلهم: أنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب، وهناك يميز بعضهم من بعض، كما يميز الراعي الخراف من الجداء، أي يفصل الأبرار من الأشرار فيأمر بالأبرار إلى الملكوت أي إلى الجنة، والأشرار إلى النار الأبدية [انظر إنجيل متى: إصحاح ٢٥، عدد ٣١ وما بعده].

والعجيب أن الكنيسة خرجت من هذا المأزق الحرج بتفسير عجيب إذ قررت أن هذه المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر لا تعني أنه لا تثريب على البشر في الخطأ والعصيان لأن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة، فجسد المسيح ودمه الذي يكفر عن الذنوب والخطايا محفوظ عند الكنيسة، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجين، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه من جسد المسيح يصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك.

النتيجة التي تستخلص من المناقشة السابقة:

نخلص مما سبق أنه لا فداء ولا خلاص بهذه المفاهيم السقيمة التي لدى النصارى خصوصاً وأن الشواهد التاريخية تؤكد سلامة المسيح من هذه الوصمة.

اختلاف الأناجيل الأربعة المتداولة بين النصارى في واقعة الصلب:

إن المتفحص لتلك الأناجيل الأربعة يتبين له مدى الخلاف الذي وقع بينها في إيراد تلك الواقعة، رغم أنها واقعة هامة يرتكز عليها ركن هام من أركان العقيدة النصرانية، حتى إن المرحوم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار يعلق عليها في كتابه قصص الأنبياء بقوله:

(إن الأناجيل الأربعة اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد هذه القصة، وإن الإنسان ليتملكه العجب في اختلاف تلك الأناجيل الأربعة على أساس هام من أسس ديانتهم، ولو صح أن لها أساساً وأن المسيح أنبأ به لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً في تلك الأناجيل، لكن تلك النصوص عن هذه الواقعة جاءت، وبها من أوجه التضاد ما يسقط قيمة الاستدلال بها، وبالتالي يسقط قيمة هذه الفكرة من أساسها).

مَن المبتدع لفكرة سفك دم المسيح كفّارة عن خطايا البشر؟

إن بولس صاحب الرسائل الملفقة بالعهد الجديد هو الذي تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروّج لها في رسائله، تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلا بعد ذهاب المسيح بأكثر من عشرين عاماً، فلقد كان الصلب وسفك الدم، هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئاً غيره، وهو يقرر ذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث يقول:

(إني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً) [انظر الإصحاح الثاني، عدد ٢ من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس].

ولقد كان سفك دم المسيح هو ما قبله بولس في إنجيله الذي ذهب يبشر به، فيقول عن ذلك في الإصحاح الخامس عشر من الرسالة السابقة، عدد ١ ـــ ٣:

(أعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه. . . فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب).

هل لنظرية بولس في سفك دم المسيح أساس من تعاليم المسيح أو تلاميذه؟

إن نظرية بولس في سفك دم المسيح ليس لها من أساس في تعاليم المسيح أو تلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه، وما كان بولس واحداً منهم، فهو لم يرَ المسيح، ولم يتتلمذ على يديه، بل كان في بداية أمره سوط نقمة على المؤمنين بالمسيح، وعدواً لدعوته قبل أن يعلن بحيلة منه انضمامه لتلاميذ المسيح.

ويبين بولس نظريته على أساس لم يقل به المسيح بل يرفضه رفضاً تاماً، وذلك في قوله:

(إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب) [انظر رسالة بولس إلى غلاطية: الإصحاح الثاني، عدد ٢١].

فبولس يرفض الناموس والإيمان به (والناموس تعني كتاب التوراة).

ورفض الناموس والإيمان به لم يقل به المسيح بل كان من بداية دعوته حتى آخر يوم له بين الناس يدعو إلى التمسك بالناموس، والحرص عليه حتى إنه ليقول في وضوح إلى تلاميذه ومريديه:

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) [انظر إنجيل متى: الإصحاح الخامس، عدد ١٧ ــ ١٨].

هل يوجد في كتب النصارى ما يشير إلى حفظ المسيح وعدم الإضرار به أو إصابته أو صلبه؟

أولاً: أخبر المسيح عليه السلام الفريسيين والكهنة اليهود، لمّا تداولوا على الإمساك به بأنهم لا يقدرون على الإمساك به، وذلك في قوله:

(ستطلبوني ولا تجدونني وحيث أكون لا تقدرون أنتم أن تأتوا) [إنجيل يوحنا: في الإصحاح السابع، عدد ٣٤].

ثانياً: كما ورد في الإنجيل المذكور عندما تنبه إلى محاولة اليهود للقبض عليه قوله لتلاميذه:

(هوذا تأتي ساعة ــ وقد أتت الآن ــ تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام إلى العالم، سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم).

[إنجيل يوحنا: في الإصحاح السادس عشر، عدد ٣٢].

وكلمة الآب بالمد تعني (الله) باللغة السريانية أو الكلدانية كما حققه الآب عبد الواحد داوود في كتابه (الإنجيل والصليب).

فهو يقول لتلاميذه: إن الله معه على قوات الشر التي تريد الإمساك به، وما دام الله معه فهو منجيه من مؤامرات اليهود وقوات الشر.

ثالثاً: حاول اليهود الاعتداء عليه مراراً، لكن الله حفظه منهم وصور ذلك الآتي:

١ ــ ورد بإنجيل لوقا: إصحاح ٤، عدد ٢٩ قوله:

(فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى).

٢ ــ ورد في إنجيل يوحنا: إصحاح ٨، عدد ٥٩، قوله:

(فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل يجتاز في وسطهم).

٣ ــ ورد في إنجيل يوحنا إصحاح ١٠، عدد ٣٩، قوله:

(فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من بين أيديهم).

هل كان اليهود على يقين بأنَّ مَن قبضوا عليه هو المسيح؟

من خلال قضية الصلب وخلال المحاكمة يتبين أن اليهود لم يكونوا موقنين بأن المقبوض عليه هو المسيح، بل كانوا في شك من ذلك كبير، حتى إن رئيس الكهنة في جمع من شيوخ اليهود استحلفه باسم الله الحي سائلاً الشخص المقبوض عليه أنت

المسيح؟ فأجابه المقبوض عليه (أنت قلت)، فلم يقل أنا هو، والحكاية بتفصيلاتها بإنجيل متى: إصحاح ٢٦، عدد ٦٣.

وفي إنجيل لوقا: إصحاح ٢٢، عدد ٦٧، ورد أنهم سألوه قائلين:

(إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقونني).

ولقد أورد إنجيل يوحنا في الإصحاح ١٨، عدد ٣ ــ ٨، قوله:

(فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة وجاءوا هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع إليهم وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوا: يسوع الناصري، قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهودي أيضاً واقفاً معهم فلما قال: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم أيضاً: من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري، أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو).

* * *

يستخلص من هذه القصة الآتي:

١ ــ إن الله تعالى أمسك أعينهم ومن ضمنهم يهوذا الخائن عن معرفة المسيح لذلك كانوا يجيبون السائل دون أن يعرفوه، بأنهم يطلبون يسوع الناصري، فلم يقولوا نطلبك أنت لأن هذا السائل كان المسيح نفسه.

٢ ــ ورد بهذه القصة أن المسيح لما قال لهم: إنه هو، سقطوا على الأرض دون أن يكون هناك سبب لهذا السقوط، مما يفهم منه أن هذا السقوط منهم على الأرض ومعهم مشاعلهم ما جرى وما كان إلَّا لأمر قد قضاه الله في تلك الساعة، وهو نجاة المسيح من كيدهم تصديقاً لما كتب عنه في المزمور ٩١، عدد ١١ قوله:

(يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك).

آراء بعض علماء النصرانية:

أولاً: يقول المسيو إدواردسيوس أحد أعضاء الأنسيتودي فرانس في باريس في كتابه (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية) ص ٤٩: إن القرآن ينفي قتل المسيح

وصلبه وأنه ألقي شبهه على غيره، فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه، وما قاله القرآن كان موجوداً عند طوائف من النصرانية.

ثانياً: ذكر المستشرق الإنجليزي جورج سايل في ترجمته للقرآن الكريم في سورة آل عمران أن طوائف النصارى السيرنتيين وطوائف النصارى الكربوكراتيين كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه كان يشبهه تماماً.

ثالثاً: ورد في تاريخ موسهيم الشهير الذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية أن كثيراً من فرق النصارى كانت ترفض حصول الصلب رفضاً كاملاً لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلة التاريخية وهؤلاء الرافضون للصلب طوائف كثيرة مرّ ذكر أسمائهم.

١ ــ الساطرينوسيون.

٢ ــ الكاربوكراتيون.

٣ ــ والمركبونيون.

٤ ــ والباديسيانيون.

٥ ــ والتاتيانيسيون.

٦ ــ والمانيسون.

٧ ــ والبارسكاليونيون.

٨ ــ والبوليسيون.

٩ ــ الدوسيتية.

١٠ ــ والمرسيونية.

١١ ــ والفلنطانيائية.

وقد انقرضت تلك الطوائف جميعها بعد أن تبنت الدولة الرومانية عقيدة التثليث ٣٢٥م إثر اعتناقها للنصرانية ولم يبقَ لها وجود بعد ذلك[١].



(١) كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف الحاج عبد الرحمن بك أفندي باجه جي زاده.

(٤)

عقيدة الألوهية[1]

كيف عبثت بها الدولة الرومانية بين الثالوث والوحدانية

عقيدة الألوهية في رسالة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل قائمة على توحيد الله بالعبادة، وأن المسيح عليه السلام بشر رسول ومن يرجع إلى النصوص التي تنسب إلى المسيح، لا ما ألحق بكلامه وسيرته، يجدها كلها تدعو إلى التوحيد الخالص، وأن ما ورد من كلمة البنوة لله في بعض المواقف، ما كانت إلا من قبيل المجاز ويراد منها المحبة والطاعة، ولهذا كانت تستعمل مع جميع المؤمنين الصالحين، لم يختص بها المسيح وحده.

فعن وحدانية الإله قوله:

١ ــ (جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل؛ الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى) [انظر إنجيل مرقس: في الإصحاح الثاني عشر، عدد ٢٨، ٢٩، ٣٠].

٢ ــ ويؤمن الكاتب السائل على كلام المسيح عليه السلام (فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه) [إنجيل مرقس: في الإصحاح السابق، عدد ٣٢].

(١) نشر بمجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٠٣ من السنة السابعة عشرة ذو القعدة سنة ١٤٠١هـ ــ سبتمبر سنة ١٩٨١م.

٣ ــ (وسأله رئيس قائلاً: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله) [انظر إنجيل لوقا: في الإصحاح الثامن عشر، عدد ١٨، ١٩].

٤ ــ ويقول في الإصحاح السابع عشر، عدد ٣: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

وعن البنوة لله يقول المسيح عليه السلام:

١ ــ (فصَلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) [انظر إنجيل متى: الإصحاح السادس، عدد ٩، ١٠].

٢ ــ (فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم) [إنجيل لوقا: في الإصحاح السادس، عدد ٣٦].

وفي هذا المقام يستطيع كل مؤمن بالله أن يقف ويناجي أباه أي ربه الذي دعاه المسيح أبانا بصيغة الجمع، ويتخلق بصفة الرحمة، لأن رب الجميع رحمن رحيم أي أنه أب لجميع المؤمنين وليس ذلك قاصراً على المسيح، ولذا جاء في بعض نصوص الإنجيل من أطاع الله كان ابناً لله، ومن أطاع الشيطان كان ابناً للشيطان.

وفي رسالة يوحنا الأولى نجد أن يوحنا الأولى نجد أن يوحنا الحواري يعلن فيها بأن الله سبحانه وتعالى لم يره أحد قط، وهذا نص كلامه في الإصحاح الرابع، عدد ١٢: (الله لم ينظره أحد قط).

إلا أنه بعد انقراض أجيال المسيحية الأولى انتشر معتنقو النصرانية ودعاتها بين الأمم الأجنبية خصوصاً في بلاد اليونان وفي بلاد الرومان حيث كانت تدين بالوثنية، وفي مصر حيث الفلسفات الوثنية، فاختل نظام الدعوة التي جاء بها المسيح عليه السلام، واستحدثت فيها الأفكار الغريبة عنها، وشوهت دعوة المسيح إلى الوحدانية، واختلطت بها الآراء الفلسفية، فشاعت مع الوحدانية عقيدة مستحدثة هي عقيدة الثالوث لم تكن تعرفها الأجيال الأولى للمسيحية، وإن كانت هذه العقيدة سائدة في المجتمعات الوثنية.

مَن هو أوَّل مَن اخترع عقيدة الثالوث في مِلَّة النصرانية؟

يـذكر بعض المؤرخين أن أول من نـادى بعقيدة الثالوث واختـرعها واستعملهـا هـو (تـرتليان)[1] في القـرن الثاني الميـلادي وبالتحـديد سنـة ٢٠٠ م فهي عقيـدة دخيلة على النصرانية الحقة الموحدة.

أما ما ورد في تـاريخ مـوسيهم فهو أن التثليث لم يكن معـروفاً عنـد المسيحين حتى أواخـر القرن الثـاني الميلادي وأن الأب أثينـاغورس هـو أول من نطق بكلمـة ثالـوث لأنه راعى عـادات الرومـان أصحاب السلطان حيث كـانوا معتنقين فكـرة الثالـوث في عقيدتهم الوثنية. انظر كتاب النصرانية والإسلام للمؤلف.

عقائـد الوثنيـين التي كانت تـدين بالثالوث قبل المسيح عليه السلام:

لقد غلبت عقيدة الثالوث على كثير من الديـانات التي سبقت رسـالة النصـرانية ومن أمثلة ذلك:

١ ــ في بلاد الهند ابتدع كهنتها الثالوث البرهمي المكون من براهما الإله الخالق، وفيشنو أو كريشتا وهو الإله الحامي للخليقة، وسيفا وهو القوة التي تفني وتعيد.

٢ ــ وفي الديانـة البوذيـة ابتدع كهنتهـا الثالـوث البوذي المكـون من الإله الخـالق أو النـرفاتـا؛ وبوذا الابن من العـذراء مايـا؛ والروح القـدس الذي حـلّ على تلك العذراء فولدت بوذا.

٣ ــ وفي بلاد الصين انتهت عبادتها للإله الواحد إلى ابتداع الثالوث الصيني تي ين الإله غير المنظور؛ وتي سيز وهو الشمس والكواكب السيـارة؛ وتشائيـخ وهو أرواح الآبـاء والحكماء والملوك.

---

(١) هذا ما ورد في قاموس الكتاب المقدس.

٤ ــ وفي بلاد الكلدان انحسرت عبادتها إلى الثالوث المكون من: بعل إله الشمس، وعشتروت إله الجمال، وتموز إله الخصب والنماء.

٥ ــ وفي عهد القدماء المصريين انحرفت عبادة المصريين من الإله الواحد إلى الثالوث بفعل الكهنة إذ اتخذوا من صفات الله: وهي الوجود والحكمة والحياة، الثالوث المصري: آتون، وآمون، ورع.

كيف غلبت النصرانية على حكام الدولة الرومانية؟

عانت النصرانية من اضطهاد حكام الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون، ففقدت في تلك الاضطهادات كثيراً من رجالها في قمتهم المسيح عليه السلام، كما امتد الاضطهاد إلى إنجيل المسيح نفسه فالتهمه وقضى عليه ففقدت بذلك أهم مراجعها الأصلية.

وبحلول سنة ٣١١ م تكشف للامبراطور جالير، وكان أشد المضطهدين للنصرانية حماساً عقم جهوده، فاضطر إلى التخلي عن خططه واستسلم لفكرة التسامح مع النصارى، ولما مات بعد فترة قصيرة أصبح موته مجالاً لتنافس عدد كبير من طالبي الحكم الذين حاول كل منهم استرضاء الأنصار وكسب التأييد من طوائف الشعب المختلفة.

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة أن تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفاً يعتز به كل طالب للحكم.

وقد فاز بتأييد الكنيسة الامبراطور (قسطنطين) حيث رفعته إلى الحكم ضد منافسه (ماكسنتيوس) الذي كان يستند إلى آلهة الوثنيين فقد أقام لها الصلوات وذبح لرضاها القرابين، وفي سنة ٣١٢ م أصدر الامبراطور قسطنطين مرسوم (ميلان) جعل به النصرانية ديانة مرخصة، كما ساوى بينها وبين غيرها من الديانات الأخرى داخل الامبراطورية الرومانية.

إلا أن معتنقي النصرانية كانوا وقتئذ على خلاف شديد فيما بينهم وأهم هذه الخلافات الخلاف الذي كان بين آريوس شيخ كنيسة بوكاليس بالاسكندرية، وبين بطريرك كنيسة الإسكندرية حول شخصية المسيح عليه السلام.

فقد نادى آريوس بأن المسيح ليس أزلياً وإنما هو مخلوق من الآب، وأن الابن ليس مساوياً للآب في الجوهر، ويقف الروح القدس بين القوى المخلوقة، ويعني بالابن المسيح وبالآب ذات الله، أي أن المسيح ليس مساوياً لله، بل هو مخلوق، ويغلب التوحيد على هذه العقيدة فالآريوسية تعني ببساطة وحدانية الله مع عدم الخلط بين المسيح وبين الله.

أما عقيدة كنيسة الاسكندرية أو ما يسمى بعقيدة الأرثوذكس والتي حمل لواء الدعوة إليها (أثناسيوس) بطريركها فتتلخص في أن المسيح إله غير مخلوق وُلِدَ من الله لا من العدم وأنه مساو له في الأزلية والجوهر، وكذلك الروح القدس: فالآب إله؛ والابن إله؛ والروح القدس إله، فمن أراد أن يخلص فعليه أن يعتقد بهذا الثالوث، ويعنون بالآب الله وبالابن المسيح.

مجمع نيقية الأول وظروف انعقاده سنة ٣٢٥ ميلادية:

خشي الامبراطور قسطنطين خطورة المجادلات بين آريوس وبين بطريرك الإسكندرية على أقاليم الامبراطورية بسبب اختلافهم في أمر العقيدة، لذلك أمر بعقد مجمع يضم رجال الدين المسيحي من مختلف أنحاء البلاد، لتقرير ما يراه في شأن تلك الخلافات، وقد انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥ م في مدينة نيقية بحضور ٢٠٤٨ من الأساقفة، وكانت حصيلة هذا المجمع رفض آراء آريوس وتقرير ألوهية المسيح وأنه من جوهر الله قديم غير مخلوق، وأنه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس.

ثم فرضت تلك العقيدة على طوائف النصرانية فرضاً، يؤيدها سلطان الامبراطور قسطنطين، رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثير من الأساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر، لاعتناقهم عقيدة آريوس التي يغلب عليها التوحيد، بل قررت الدولة عزل أنصار آريوس من كنائسهم.

ويقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين: إن الامبراطور قرر تحت تأثير (هوسيوس) وزير البلاط أن يجبر أعضاء المجمع المجتمعين على قبول صيغة ألوهية المسيح بعد أن تواطأ وزير البلاط مع بطريرك الاسكندرية على تقرير تلك الصيغة.

مجمع أنطاكية سنة ٣٢٩ميلادية:

لم يستسلم أنصار آريوس إلى العقيدة التي فرضها الامبراطور باسم مجمع نيقية،

بل صمموا على المقاومة حتى استطاعوا في عام ٣٢٨ ميلادية الضغط على الامبراطور قسطنطين، فأعاد آريوس وأشياعه إلى كنائسهم وعندئذ قام (إيزبيرس) أسقف نيقوميديا و (نيوغنس) أسقف نيقية بعقد مجمع في أنطاكية سنة ٣٢٩ تقرر فيه تثبيت معتقد آريوس وعزل الأساقفة الأرثوذكس من أسقفياتهم.

مجمع قيسارية سنة ٣٣٤ ميلادية:

لما كان أغلب النصارى في مصر من أنصار آريوس غلبوا على كنائس مصر والاسكندرية، وأخذوها ثم وثبوا على أثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه، فهرب منهم واختفى، فلم يرَ الامبراطور أمامه من حلّ سوى عقد مجمع من الأساقفة في مدينة قيسارية عام ٣٣٤، ودعا أثناسيوس للاشتراك فيه فلم يحضر لذلك أمر بعقد مجمع آخر في مدينة صور في العام التالي، وحتم على بطريرك الاسكندرية حضوره.

مجمع صور سنة ٣٣٥ ميلادية:

عقد هذا المجمع بناء على أمر الأمبراطور قسطنطين وحضره أثناسيوس بطريرك الإسكندرية وقتئذ، كما حضره كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية الأول، وقد احتدم الجدل بين المجتمعين حتى بلغ حد العنف، وامتدت الأيدي إلى بطريرك الاسكندرية بالضرب حتى كاد أن يهلك لولا تدخل مندوب الامبراطور لإنقاذه، وأخيراً أصدر المجتمعون قرارات لصالح عقيدة آريوس منها.

١ ــ خلع البطريرك أثناسيوس من منصبه ونفيه إلى مدينة تريفس في جنوب فرنسا.

٢ ــ إعداد العدة لدفن قرارات مجمع نيقية التي قررت التثليث وألوهية المسيح.

مجمع أنطاكية الثاني سنة ٣٤٠ ميلادية:

أوصى الامبراطور قسطنطين قبل وفاته سنة ٣٣٧ م بأن يتولى نجله قسطنس الأقاليم الشرقية كلها، وتولى قسطنطينوس إيطاليا وأفريقيا، أما قسطنطين الصغير فقد ولي أمر فرنسا وإسبانيا وبريطانيا.

وعلى أثر وفاة الامبراطور قسطنطين عاد البطريرك أثناسيوس من منفاه إلى الإسكندرية سنة ٣٣٨ م فثار عليه أنصار آريوس ودعوا إلى عقد مجمع جديد، وقد انعقد هذا المجمع في مدينة أنطاكية سنة ٣٤٠ م وقرر فيه المجتمعون ــ وكانوا من أنصار عقيدة

آريـوس ـ عزل البـطريرك أثنـاسيـوس من كـرسي كنيسـة الإسكنـدريـة والمـطالبـة بتعيين البـطريرك الآريـوسي جاورجيـوس بطريـركاً على كـرسي كنيسة الإسكنـدريـة، وقـد وافق الامبراطور الروماني على طلب ذلك المجمع مما اضطر أثناسيوس إلى الهـرب إلى مدينـة روما.

مجمع أنطاكية الثالث سنة ٣٤١ ميلادية:

انعقد هذا المجمع لتقرير مجموعة من قوانين الإيمـان تتفق مع عقيـدة آريوس التي يغلب عليها توحيد الإله.

عودة أثناسيوس الثالوثي إلى الإسكندرية سنة ٣٤٦ ميـلادية:

اضطر الإمبراطور الروماني تحت تأثير شقيقه قسطنطس حـاكم الأقاليم الشـرقية إلى إعادة أثناسيوس إلى كرسي كنيسة الإسكندرية، إلاَّ أن أنصار آريوس قاومـوه مقاومـة عنيفة مما أدى إلى عقد مجمع في مدينة آرلس بفرنسا.

مجمع آرلس بفرنسا سنة ٣٥٣ ميلادية:

قرر هذا المجمـع خلع أثناسيـوس من أسقفية مـدنية الإسكنـدرية، ووقـع على هذا القـرار جميع الأسـاقفة الحـاضرون فيـه فيما عـدا (بولين) أسقف مـدينة تـريفس، كما أن (ليباريوس) أسقف رومية أرسل وفداً من جانبه إلى الامبراطور الروماني ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر يعيد النظر فيما قرره مجمع آرلس، فوافق الامبراطور على عقـد مجمع جـديد في مدينة ميلانو.

مجمع ميلانو سنة ٣٥٥ ميلادية:

كـان هذا المجمـع مؤلفاً من ٣٠٠ من الأسـاقفة أغلبهم من أنصـار آريـوس وقـرروا الآتي:

١ ـ خلع أثناسيوس من بطريركية الاسكندرية.
٢ ـ نفيه وإبعاده عن مدينة الاسكندرية.
٣ ـ تحـويـل الغـلال التي كـانت تـوزع على فقـراء الأرثـوذكس إلى كنـائس الآريوسيين، وقد كلف الامبراطور الروماني والي مصر من قبله بإخطار البطريرك أثناسيوس بـالقرارات السـابقة، ولمـا رفض البطريـرك المذكـور تنفيذ تلك القـرارات، حاول الـوالي استعمال القوة معه، فلما شعر بذلك فرّ من البلاد سنة ٣٥٦ م.

فتولى الأسقف جاورجيوس الآريوسي كرسي كنيسة الإسكندرية.

مجمع سرميوم يضع صيغة إيمان جديدة سنة ٣٥٧ ميلادية:

انعقد هذا المجمع في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا حضره كثير من الأساقفة الآريوسيين، وتولى رئاسته أسقفان من الغرب هما أورزاس وفالانس وحضره الامبراطور قسطنطينوس بنفسه، حيث وضع ذلك المجمع صيغة إيمان جديدة أنكر فيها مساواة المسيح لله في الجوهر.

مجمع ريمتي ومجمع سلوقية سنة ٣٥٩ ميلادية:

هذان المجمعان أمر بعقدهما الامبراطور الروماني، وكان الأول في مدينة ريمتي وخصه بالغربيين، والثاني في مدينة سلوقية بسوريا، وكان من ضمن أساقفته عشرة من الآريوسيين وفدوا إليه من مصر وقد أيد هذان المؤتمران عقيدة آريوس كل التأييد.

مجمع أنطاكية سنة ٣٦١ ميلادية:

انعقد هذا المجمع بمعرفة الآريوسيين وقد أكدوا فيه على صيغة إيمانهم السابق الإشارة إليها بصيغة جديدة تعلن أن (الابن غريب عن أبيه، مختلف عنه في الجوهر والمشيئة) ويقصدون بالابن المسيح وبالآب ذات الله سبحانه وتعالى.

مجمع القسطنطينية سنة ٣٦١ ميلادية:

انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية في نفس السنة التي انعقد فيها مجمع أنطاكية السابق الإشارة إليه، وكانت مهمته تثبيث عقيدة التوحيد التي أقرها المجمع المذكور.

ثم قام الآريوسيون بنشرها في أنحاء الدولة الرومانية حيث قنّنوها في سبعة عشر قانوناً للإيمان تخالف القوانين التي أقرها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م.

الدولة الرومانية ترتد عن التوحيد وتعود إلى عقيدة الثالوث مرة أخرى:

١ ــ لمّا توفي الامبراطور قسطنطينوس سنة ٣٦١ م خلفه (يوليانوس) على عرش الامبراطورية، فخشي من توثق عرى الوحدانية النصرانية بين رعيته، فعمل على حلّ عرى

هـذه الوحـدة وذلك بـأن سمح بـإرجاع الأسـاقفة المنفيين إلى كـراسيهم الكنسيـة، ومنهم أثناسيوس البطريرك الثالوثي إلى كرسي كنيسة الإسكندرية.

ولم يمضِ بعد ذلك كثير من الزمن حتى ظهـر ذلك الامبـراطور على حقيقتـه وكفره بعقيدة النصرانيـة كلية، إذ أصـدر أوامره بـإغلاق جميـع الكنائس ونهب الأواني المقـدسة منها، وسلمها إلى الوثنيين الذين سمح لهم بفتح معابدهم وإعادة عبادة الأوثان وقدم بنفسه الضحايا لها.

٢ ــ وبوفاة يوليانوس سنة ٣٦٣ م تولى عرش الامبراطورية (يوبيانوس) وكان يعادي عقيـدة الآريوسيين لـذلك فقـد حرمهـا، وأقام على الـولايات التـابعة للدولـة حكامـاً ممن لا يدينون بهذه العقيدة، وأرسل إلى أثناسيوس بإطلاق يده لنشر عقيدة الثالوث ثم لما تولى العـرش الامبراطـور تاوديـوس سنـة ٣٧٩ م عمـل على إلغـاء المـذهب الآريـوسي كليـة، والانتصار لعقيدة أثناسيوس، وهكذا ساد التثليث وقضى على عقيدة توحيد الإله التي كـان يمثلها الآريوسيون في جميع أنحاء الأمبراطورية.

رأي علمـاء الأديـان النصـارى في عقيدة الثالوث في زماننا المعاصر:

١ ــ يقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين:

(إن صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب والابن والـروح القدس غـريب ذكرهـا على لسان المسيح، ولم يكن لها وجود في عصـر الرسـل، وهو الشيء الـذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً).

٢ ــ وفي قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه نخبـة من الأساتـذة ذوي الاختصاص ومن الـلاهوتيين، وهم الـدكتور بـطرس عبد الملك أستـاذ الدراسـات الشرقيـة بالجـامعـة الأمريكية بالقاهـرة، والدكتـور جون ألكسنـدر طومسن، والأستـاذ إبراهيم مـطر، وقدم لـه الدكتور فيليب حتّي الأستاذ الشرقي في جامعة برنستون، ورد في هذا القامـوس عن عقيدة التثليث الآتي:

(اعترف كبار علماء اللاهـوت أنها لم تـرد في الكتاب المقـدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد وقد خالفه كثيـرون، ولكن مجمـع نيقية أقـر التثليث سنة ٣٢٥ ميـلادية، ثم استقـر التثليث بعد ذلـك عنـد الكنـائس

النصرانية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي)[1].

كتاب النبي ﷺ إلى هرقل امبراطور الدولة الرومانية وهل حمّله فيه إثم تحريم عقيدة الآريوسيين أنصار عقيدة التوحيد؟

أوردت كتب السيرة النبوية أن النبي ﷺ أرسل إلى ملوك العالم والأمراء في عصره رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان ممن أبلغه بدعوة الإسلام الامبراطور هرقل قيصر الدولة الرومانية، فلقد وصله كتاب النبي ﷺ على يد دحية الكلبي وقد جاء فيه الآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا، فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون﴾).

ولقد فسّر كتّاب السيرة النبوية أن الأريسيين الواردة في كتاب النبي ﷺ تعني الزراع أي: الفلاحين بوصفهم غالبية الرعية، بمعنى أن إثم هؤلاء الفلاحين عن عدم اهتدائهم إلى الإسلام يقع على قيصرهم باعتباره امبراطور دولتهم والناس عادة على دين ملوكهم.

ولكن الصواب والأقرب إلى العقل أن الآريوسيين تعني أنصار عقيدة التوحيد في أنحاء الامبراطورية، وهم أتباع عقيدة آريوس بوصفهم أنصار عقيدة التوحيد المجرد التي دعا إليها المسيح عليه السلام، وحواريوه المخلصون، والذين غُلبوا على أمرهم، وحرّمت عقيدتهم بفعل أنصار عقيدة التثليث، بمعنى أن النبي ﷺ حمّل أمبراطور الروم في حالة إعراضه عن الإسلام وهو دين التوحيد إثم تحريم عقيدة دعاة التوحيد السابقين أيضاً، وهم الآريوسيين في مفهوم حكام الدولة الرومانية، فعلى هذا الحاكم إثم الصد عن سبيل الله، ومنع الدعوة إليه، وهذا ذنب عظيم وجرم كبير، قال تعالى:

﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً. إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ [سورة النساء: الآيات ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩].

***

(١) انظر في باب وثائق صورة ما حرر في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث.

(٥)
الفـتـنـة نائمـة
لَـعَـنَ الله مَـنْ أَيْـقَـظَـها

مما تميز به الإسلام على مدى تاريخه الطويل أنه لم يعـرف الأحقاد الـطائفية، كمـا وأن الحروب الدينيـة غريبـة على أرضه، فقـد ألِف هذا الـدين منذ بـدأ يعاشـر غيره على السمـاحة والميـاسرة واللطف وأن يـرعىٰ حسن الجوار، فيمـا يشرع من قـوانين ويضع من تقاليد، وهـو في ميدان الحيـاة العامـة حريص على احتـرام شخصية المخـالف له ومن ثم لم يفرض عليه حكمه في الحلال والحرام، أو يقهره على الخضوع لشرائعه، بل ترك أهل الأديان وما يدينون، ذلك أن الإسلام يقـرر أن اختلاف النـاس في أديانهم وعقـائدهم أمـر طبيعي من ضرورات الحياة، وفي هذا يقول الله سبحانه:

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالـون مختلفين، إلاَّ من رحم ربك، ولذلك خلقهم﴾[١].

أفعال مريبة من بعض أهل الكتاب:

دأب أعـداء الإسـلام من أهـل الكتـاب على العمـل جاهـدين على خلخلة عقيـدة المسلمين، وتشكيكهم في أفكارهم ومفاهيمهم الإسلامية، فيـرسلون إليهم بين حين وآخر نشرات تبشيرية وحكايات توراتيـة، وصلت إلينا إحـداها تحت عنـوان (محبة الله) تضمنت قصة يونان بن أمتآي (أي يونس بن متى) كما جاءت في أسفار العهد القديم، وهو الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أو المسيحيين كما غلب على تسميتهم في زماننا المعاصر،

---

(١) سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

والقارىء لهذه النشرة أو القصة لا يجد فيها ما يلفت النظر، لكن ما يثير العجب حقاً بل الدهشة أن يُنعت الله سبحانه وتعالى فيها بالندم وذلك في قوله:

(لعلَّ الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه) [سفر يونان: الإصحاح الثالث، عدد ٩].

٢ ــ وفي قوله: (فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الردیئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه) [الإصحاح السابق، عدد ٩ من السفر المذكور].

غرور أهل الكتاب وتعصبهم الممقوت على الإسلام والمسلمين:

إن الغرور والتعصب ليسا حديثين في هذه المعاملة الشائنة التي يلقاها المسلمون من أهل الكتاب يهوداً كانوا أم نصارى:

١ ــ فقديماً أكد الفريقان أن الدنيا والآخرة لهما وحدهما، فصوَّر القرآن هذا التفكير الضيق وردّ عليه في إيجاز وأدب وذلك في قوله تعالى:

﴿وقالوا لن يدخل الجنَّة إلَّا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم. قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

٢ ــ ثم بين القرآن الكريم أن على المسلمين مصابرة هؤلاء اليهود والنصارى وردّ عداوتهم برقة وحلم، قال الله تعالى:

﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾[2].

٣ ــ وما فات القرآن أن يقرر أن محاسنة هؤلاء الصنف من الناس لن تطفىء

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١١١، ١١٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

نيرانهم أبداً، إذ إن راحتهم الكبرى هي في محو الإسلام، وهدم مساجده، ورد المسلمين قسراً عن عقيدتهم، ومع استبانة هذا القصد السيِّىء في المسالك المعوجة لهؤلاء القوم، فإن الإسلام لا يعاملهم بالمثل ولا يوحي لنبيه ﷺ وأتباعه أن يقفوا على آثار الديانات السابقة ويمحوها من الوجود، بل يكتفي أن يطلب من نبي الإسلام ومن معه الثبات على الحق وعدم التزحزح عنه مهما لاقوا من صعاب[1]، يقول الله تعالى:

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءَهم بعد الذي جاءك من العِلم ما لك من الله من وليّ ولا نصير﴾[2].

أهل الكتاب لا يفقهون ما تعني كلمة الإسلام:

يبدو أن أهل الكتاب عموماً لا يفقهون شيئاً مما تعني كلمة (الإسلام) الذي يمقتونه ويرفضونه، وإلَّا لكان لهم موقف آخر من المسلمين غير هذا الموقف البغيض العدائي، وفي هذا المعنى يقول المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز:

(إذا أخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآني نجدها لا تدع مجالاً لهذا السؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية، فالإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء)[3].

هكذا نرى نوحاً يقول لقومه: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾[4].

ويعقوب يوصي بنيه فيقول: ﴿فلا تموتن إلَّا وأنتم مسلمون﴾[5].

وأبناء يعقوب يجيبون أباهم:

---

(١) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام تأليف الشيخ محمد الغزالي.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(٣) كتاب الدين، تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.

(٤) سورة يونس: الآية ٧٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

﴿قالوا نعبد إلٓهك وإلٓه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٓهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾(١).

وموسى يقول لقومه:

﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾(٢).

والحواريون يقولون للمسيح عيسى بن مريم:

﴿آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾(٣).

بل إن فريقاً من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن:

﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾(٤).

ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم ديناً جديداً، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم قال الله تعالى:

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(٥).

ثم ينظم القرآن الأنبياء في سلك واحد، ويجعل منهم جميعاً أمة واحدة، لها إلٓه واحد، كما لها شريعة واحدة. قال تعالى:

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾(٦).

ما هذا الدين المشترك الذي اسمه الإسلام، والذي هو دين كل الأنبياء والمرسلين؟ إن الذي يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين، إنه هو التوجه إلى الله رب العالمين في خضوع خالص لا يثوبه شرك، وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أي لسان

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٤) سورة القصص: الآية ٥٣.

(٥) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

وفي أي زمان أو مكان دون تمرد على حكمه، ودون تمييز شخصي أو طائفي، أو عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه، أو بين رسول ورسول من رسله، هكذا يقول القرآن:

﴿وما أمروا إلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[1].

ويقول: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[2].

غير أن كلمة الإسلام قد أصبح لها في عرف الناس مدلول معين، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد ﷺ أو التي استنبطت مما جاء به، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى وما اشتق منها، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة المسيح عيسى وما تفرع منها.

علاقة الإسلام بالديانات السماوية السابقة:

إن علاقة الإسلام بالديانات السماوية في صورتها الأولى هي علاقة تصديق وتأييد كلي، أما عن علاقته بها في صورتها المنظورة فهي علاقة تصديق لما تبقى من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها.

ومع ذلك فإن الإسلام حرصاً منه على وحدة الأمة وتماسكها، لا يكفل لغير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم فحسب، بل يمنحهم من الحرية والحماية ومن العدل والرحمة قدر ما يمنحه للمسلمين من حقوق عامة تطبيقاً للقاعدة الإسلامية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)[3].

بل إنه يندب المسلمين إلى أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط، قال الله تعالى:

---

(١) سورة البينة: الآية ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٣) كتاب الدين تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾[1].

محبَّـة الله وكيف تكون:

إن محبة الله يا أهل الكتاب، يا من ترسلون النشرات التبشيرية، والحكايات التوراتية، ليست كلاماً مرسلاً يحمل في طياته خبث النفس وقذارة اليد، وكره العشيرة، وقسوة الخصام، وقطع المودة وعداء المسلمين، ولكنها اتباع لما يرضي المحبوب، فمن أحب الله فليتبع حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ، وليتأدب بما دعا إليه من فضائل وآداب. قال الله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم، قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[2].

ولقد أطلق القرآن وصف الكافرين على المعرضين عن طاعة الله ورسوله لأن من تولى وأعرض ولو بقلبه فهو نافر من شرع الله كاره له فيكون بذلك كافراً.

القول بأن الله ندم على الشر وصف فيه افتراء على الله:

هذه العبارات التي تنعت الله سبحانه بالندم لا يعقل البتة أن تكون وحياً، ونحن المسلمين نعتقد أن كتاب النبي موسى عليه السلام وكذلك الوحي النازل على سائر الأنبياء عليهم السلام بريء من هذا اللغو وما شابهه من عبارات الحزن والأسى والتعب والجهالة، فهي من إضافات البشر، ويؤكد ذلك أن جمهرة الفلاسفة والعلماء المؤمنين بالله، يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بما لا ينبغي أن يوصف به، أو إسقاط صور ذهنية معتلة على ذاته المقدسة سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً[3].

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١، ٣٢.

(٣) كتاب قذائف الحق منشورات المكتبة العصرية تأليف الشيخ محمد الغزالي.

وبعد:

فإن ترويج هذه المنشورات الصليبية والقصص التوراتية بين المسلمين خدعة رديئة، وحيل خسيسة لا تغيب دلالتها عن بصير، ويكفينا عزاً نحن المسلمين أن نجد في وحينا وقرآننا التطابق واضحاً مبيناً بين عظمة الله في قوله وعظمته في عمله.

يقول جلت كلماته:

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تَغِيضُ الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[1].

﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السماوات والأرض﴾[2].

﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[3].

﴿بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم. ذلكم الله ربكم لا إله إلاَّ هو خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[4].

﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسَّنا من لُغُوب﴾[5].

هذه هي حقائق القرآن العظيم، ولن تتلاشى مطلقاً، أما الأساطير التي كذبت على الله وعلى الناس فلن تخلد، وأما الصراط المستقيم صراط الإسلام فلن تطمس شاراته أو تضيع آياته أبداً.

قال الله تعالى:

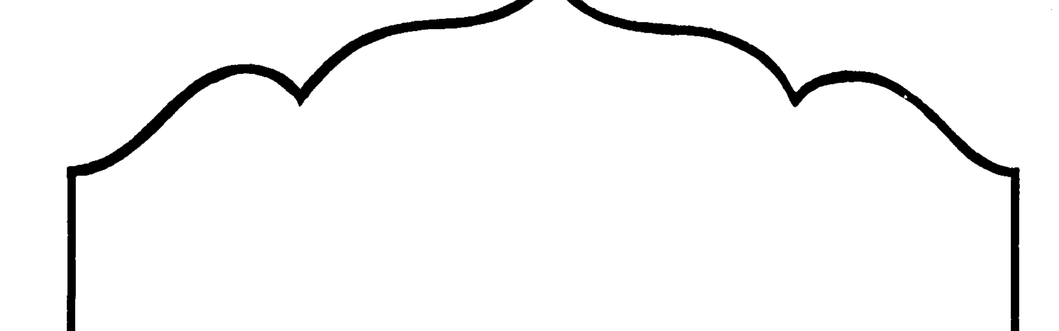
﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾[6].

﴿وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصَّلنا الآيات لقوم يذكرون، لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾[7].

***

---

(١) سورة الرعد: الآيتان ٨، ٩.
(٢) سورة الزمر: الآيتان ٦٢، ٦٣.
(٣) سورة الروم: الآية ٢٧.
(٤) سورة الأنعام: الآيات ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.
(٥) سورة ق: الآية ٣٨.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٧) سورة الأنعام: الآيتان ١٢٦، ١٢٧.



الباب السادس

(١) برنابا صاحب الإنجيل المدعو باسمه.

(٢) القديس مرقس مؤسس كنيسة بوكاليا بمدينة الاسكندرية.

(٣) آريوس رائد عقيدة التوحيد في القرن الرابع الميلادي كما يصفه العالم الألماني أدولف هرنك.

(٤) الدكتور شارل جينيبير رئيس قسم الأديان بجامعة باريس ماذا يقول عن النصرانية وتطورها.

(٥) ما هذا يا أهل الكتاب؟

(١)
بـرنـابـا
صاحب الإنجيل المسمَّى باسمه

من هو برنابا؟

برنابا كان شخصاً حقيقياً عاش في عصر المسيح عليه السلام، وهو وإن لم يكن من حوارييه لكنه كان من تلاميذه ومن المقربين إليه، وهو من الذين يلقّبهم رجال الكنيسة بالرسل، وقد ورد ذكره في سفر أعمال الرسل في العهد الجديد من الكتاب المقدس إذ يقول عنه:

(وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون: برنابا وسمعان، الذي يدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الرابع وشاول، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذٍ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما)[1].

كما أن اسم برنابا يوسف، وقد لقبه تلاميذ المسيح ببرنابا، وترجمته ابن الوعظ، وهذا ما يشير إليه إصحاح أعمال الرسل المشار إليه في قوله:

(ويوسف الذي دعى من الرسل برنابا الذي يترجَم ابن الوعظ وهو لاوي قبرسي الجنس، إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل)[2].

وقد ورد ذكر برنابا في دائرة المعارف البريطانية، وكذا في دائرة المعارف الأمريكية،

---

(١) سفر أعمال الرسل، الإصحاح الثالث عشر عدد ١، ٢، ٣.
(٢) السفر السابق، الإصحاح الرابع، عدد ٣٦.

وكان من عادة برنابا أن يقضي معظم وقته في صحبة المسيح عليه السلام، ليستمع إلى تعاليمه وأقواله، فهو إذاً جدير بأن يكتب عن حياة وسيرة المسيح، ويسجل أقواله والحوادث التي كانت تدور حوله.

وهذا هو ما سجله في السفر الذي دعي باسمه (إنجيل برنابا)، وهذا الكتاب وإن لم يكن هو الإنجيل الذي تلقاه المسيح عليه السلام من عند الله، فمن المحتمل أن يكون مشتملاً على كثير من عناصره، بل على تلك الهامة منها أو على الكثير من تفسيراته.

متى حرَّر برنابا إنجيله؟

لم يكن لدى دارس حياة برنابا العلم اليقيني عما إذا كان قد كتب إنجيله في زمان المسيح أو بعده، إلَّا أنهم استدلوا من حكايته مع بولس ومرقص بأنه كتبه بعد ذهاب المسيح عن هذا العالم وإثر رجوعه إلى وطنه قبرص، ومما يرجح هذا الرأي ما ذكره في إنجيله من وصية السيد المسيح إليه بضرورة تحرير هذا الإنجيل، ليكون شاهد صدق على أنه بشر، وعلى عبوديته لله، وبراءته من دعوى الصلب، وبشارته على قرب بعثة النبي محمد ﷺ ختاماً لرسالات السماء إلى الأرض[1].

مكانة إنجيل برنابا في عهود ما قبل مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م:

١ ـ لقي هذا الإنجيل قبولاً حسناً، وكانت له المكانة المقدسة في كنيسة الاسكندرية، وما يتبعها من كنائس، بل صار قانونياً عند أهلها في عصور ما بعد المسيح عليه السلام، وحتى سنة ٣٢٥م وقت انعقاد مؤتمر نيقية، الذي قلب عقيدة الألوهية في مجتمعات النصرانية ظهراً على عقب.

٢ ـ ولما غلبت عقيدة التثليث على الديانة النصرانية ابتداء من سنة ٣٢٥م بفعل الإمبراطور الروماني قسطنطين صدرت أوامر الدولة بمنع وإحراق الكتب التي تخالف تلك العقيدة، وكان من ضمن تلك الكتب التي تعرضت للمنع والإحراق إنجيل برنابا، لأنه

(١) إنجيل برنابا الفصل الحادي والعشرون بعد المئتين.

يـدعو للتـوحيد ويبـرىء المسيح من وصمـة القتـل على الصليب، ويبشـر بـرسـالـة النبـي محمد ﷺ، وهي أمور تخالف ما استقروا عليه في مؤتمرهم المزعوم، وجعلوا بدل إنجيـل برنابا أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا.

٣ ــ بـل بلغ الاضطهـاد لذلـك الإنجيل (وهـو إنجيل بـرنابـا) أن أصدرت الـدولـة الرومانية أمراً بإعدام كل من وجدت عنده أي نسخة من الإنجيل المذكور.

٤ ــ ولما اعتلى عرش بـابويـة روما البـابا (دمـاسس) سنة ٣٦٦م كـرر منع مـطالعة الإنجيل المذكور مع أنه احتفظ بنسخة منه في مكتبة الفاتيكان بروما.

٥ ــ وعندما اعتلى كرسي البابـوية البـابا (جـلاسيوس الأول) أصـدر أمراً آخـر سنة ٤٩٢م عـدَّد فيه أسمـاء الكتب المنهي عن مطالعتهـا، وفي عدادهـا كتاب يسمى (إنجيـل برنابا) مما يؤكد القول بأن ذلك الإنجيـل كان مـوجوداً قبـل ظهور النبـي محمـد ﷺ بزمن طويل.

واستمر هذا النهي عن مطالعة هـذا الكتاب قـرناً بعـد قرن، ومـرت الأزمنة والحقب يجر بعضها بعضاً ولم يسمع لهذا الإنجيل بخبر.

٦ ــ ولكن الحق لا بد أن يظهر عاجلاً كان أم آجلاً، فلما كان القرن السادس عشر الميلادي عثر راهب إيطالي يسمى (فرامرينو) في مكتبة البابا سكتس الخامس على رسائل للقديس إيرينايوس[1]، وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس، وأن إيرينايوس أسنـد تنديده هذا إلى إنجيل القديس برنابا، فـأصبح ذلـك الراهب المشـار إليه منـذ ذلك الحين شديد الرغبة في الاطلاع على الإنجيل المذكور حتى عثر عليه في مكتبة البابا الخاصة.

٧ ــ لم ينته خبر إنجيل برنابا إلى هذه الغاية، لأنه بعـد قرنين من الـزمان، أي في القرن الثامن عشر انتشر خبره في دوائر الدين في أوروبا كلهـا، وأحدث فيهـا دوياً هـائلاً، اضطرب له رجـال الكنيسة فعقـدوا اجتماعـات للبحث في هذا الإنجيـل، وقد اتفقـوا في نهايتها على رفضه وعدم الاعتراف به.

---

(١) القديس إيرينايوس كان تلميذاً للقديس بوليكارب، وهذا الأخير كان تلميذاً للقديس يوحنا الـذي كان حوارياً وتلميذاً للمسيح عليه السلام.

وهذا الحكم الذي أصدره رجال الكنيسة في أوروبا لا يقوم على أي أساس لما يأتي:

١ ـ إن العثور على ذلك الإنجيل لم يحدث في بلد من بلاد الإسلام بل عثر عليه في بيئة نصرانية خالصة سنة ١٧٠٠م، وكانت تلك النسخة محررة باللغة اللاتينية، وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٩٠٧م بمعرفة أحد علماء الإنجليز ثم إلى اللغة العربية في العام التالي.

٢ ـ ومن الطبيعي أن يكون لبرنابا تعاليم تخالف بولس فإنه منذ البداية طبقاً لما ورد في سفر أعمال الرسل كان بولس عدواً للمسيح ولتلاميذه ثم انقلب فجأة إلى مؤمن بالمسيح، لكن تلاميذ المسيح خافوه ولم يكونوا مطمئنين له بسبب تاريخه السيء معهم، إلَّا أن برنابا صدَّقه في البداية وأخذه وأحضره إليهم حتى اطمأنوا إليه وصار كواحد منهم[1].

٣ ـ لكن بعد فترة من الزمن ظهر بولس على حقيقته، إذ تشاجر مع برنابا وبطرس وباقي التلاميذ، وقد ورد ذلك في نهاية الإصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل وباقي التلاميذ وخرج عليهم، وقد ورد ذلك في نهاية الإصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل، كما ورد أيضاً في رسالة بولس إلى أهل غلاطية بالإصحاح الأول والثاني.

٤ ـ وأنه طبقاً لمقاييس العقل والمنطق ألَّا يكون خلاف بولس مع تلاميذ المسيح بسبب مغانم مادية بل بسبب التعاليم التي أوصى المسيح عليه السلام تلاميذه بالتبشير بها والدعوة إليها، فإن بولس لما بشَّر بتعاليم مضادة لتعاليم المسيح اختلف مع برنابا وباقي تلاميذ المسيح، وهذا هو ما ذكره القديس برنابا صراحة في مقدمة الإنجيل المنسوب إليه من أن بولس انفرد بتعاليم غريبة مخالفة لما تلقّاه الحواريون تلاميذ المسيح عن المسيح، وهذه التعاليم الغريبة هي التي غلبت وانتشرت واشتهرت بعد ذلك وصارت عماد ملَّة النصرانية فيما بعد، وتدور كلها حول رفع المسيح إلى مقام الألوهية ومفهومات التثليث والتجسيد. . . إلخ ما ورد عن هذه الأمور.

---

(١) انظر الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل.

ومما يقطع بأن إنجيل برنابا ليس من وضع المسلمين، ولم يكونوا على علم به:

١ ـ أن مباحثه لم تكن معروفة لـديهم، وتشهد كتب علمـاء المسلمين على ذلك، فهي منذ بداية ظهور الإسلام حتى ظهور أخبار ذلك الإنجيل خالية من ذكره، رغم مـا كان يحدث من حوار ومناقشات وجدال بينهم وبين كهنة النصرانية وعلمائهم.

٢ ـ إن أسلوبـه في التعبير بعيـد جداً عن أسـاليب المسلمين عامـة، والعرب منهم خاصة.

أما ما يمتاز به إنجيل برنابا عن باقي كتب النصرانية فهو الآتي:

١ ـ إن المسيح عليه السلام ينكر فيه القول بألوهيته أو الادعاء بـأنه ابن الله، ويقـر فقط بأنه نبـي من الأنبياء.

٢ ـ إنكار واقعة الصلب كلية على المسيح وأن من صلب كان أحد تلاميذه الخـونة ويدعى يهوذا الأسخريوطي.

٣ ـ إن الابن الذي عزم إبراهيم عليه السلام تقديمه فداء إنمـا هو إسمـاعيل وليس إسحاق عليهما السلام.

٤ ـ إن النبـي الـذي تنتـظره الأمم وتنتـظر دعـوتـه هـو محمـد ﷺ وهـو من نسـل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

٥ ـ التصريح باسم النبـي محمد ﷺ، وقد يكون ترجمة لكلمـة (بارقليط) الـواردة بإنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر والإصحاح الخامس عشر والسادس عشر أو ترجمـة لكلمة (منحمتا) الواردة عن هذا الاسم الشريف باللغة السريانية.

ما يذكره الشيخ محمد رشيد رضا عـن إنجيـل برنابـا في مقـدمته:

حرَّر الشيخ محمد رشيد رضا مقدمة وافية إثر قيامه بنشر ذلك الإنجيل باللغة العربية في بداية هذا القرن نقتطف منها الآتي:

١ ـ إننا نرى مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على أنه كان في القرون الأولى للمسيح

عليه السلام أناجيل كثيرة، لأن كل من كتب سيرته سمّاها إنجيلاً لاشتمالها على شيء مما بشر وهدى به الناس.

٢ ـ إن رجال الكنيسة قد اختاروا من تلك الكتب أربعة، ورفضوا الباقي، فالمقلدون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث، وسيكون ذلك شأن أمثالهم إلى ما شاء الله[١].

٣ ـ وأما من أحب العلم وتجنب التقليد، إن أراد الوقوف على أصل ملَّة النصرانية وتاريخها فعليه أن يطلع على جميع الأناجيل المرفوضة، والوقوف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أمرها، ولو بقيت تلك الأناجيل كلها لكانت أغزر ينابيع التاريخ في بابها ما قُبل منها أصلاً للدين وما لم يقبل.

٤ ـ ومما لا جدال فيه أن إنجيل المسيح واحد هو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليتم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الأنبياء من قبله، فكان كل نبي يبيِّن للناس ما يقتضيه أو يحتاجه استعدادهم.

٥ ـ ومن تلك الأناجيل المكتوبة والتي رفضها مجمع نيقية (إنجيل برنابا) وبناءً على ذلك فإن الكنيسة عدته إنجيلاً غير قانوني وغير صحيح.

٦ ـ لم نقف على ذكر لإنجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي تحرم قراءتها، فقد جاء في ضمنها إنجيل برنابا، وقد تولى جلاسيوس هذا كرسي البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

٧ ـ ومرت القرون وتعاقبت الأجيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الإنجيل حتى عثروا في أوروبا على نسخة منه منذ مئتي سنة فعدوها كنزاً ثميناً، ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات التعصب والجهل لما ظهرت، وأنى يظهر الشيء في الظلمة، والنور شرط الظهور.

٨ ـ مما يستنكره بعض الباحثين في هذا الإنجيل تصريحه باسم (النبي محمد)

---

(١) كان ذلك في القرن الرابع الميلادي وبالتحديد سنة ٣٢٥م عند انعقاد مؤتمر نيقية المسكوني بأمر الإمبراطور قسطنطين.

قائلين: لا يعقل أن يكون ذلك كتب قبل ظهور الإسلام، إذ المعهود في البشارات أن تكون بالكنايات والإشارات.

٩ ـ والعريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي، وقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة إنكليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحِمْيَري قبل بعثة النبي محمد ﷺ، وفيها يقول المسيح: (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)، وذلك موافق لنص القرآن بالحرف الواحد، ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الأناجيل التي فيها البشارات الصريحة، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن إنجيل برنابا وغيره.

١٠ ـ إن المستشرق الإنجليزي الدكتور مرجليوث هو الذي دحض شبهة من قال: إن لهذا الإنجيل أصلاً عربياً أو إنه من وضع المسلمين، وإن مترجمه من الإنجليزية إلى اللغة العربية فنَّد رأي المستدل على كونه من وضع القرون الوسطى[١].

١١ ـ ومما هو جدير بالذكر أنه توجد نسخة من هذا الإنجيل في المتحف البريطاني، ولعل بعض المؤسسات العلمية المعنية تعمل على تصويره وترجمته ترجمة حرفية حتى يقف طلاب العلم والباحثون على ما جاء فيه[٢].



---

(١) انظر مقدمة الناشر السيد محمد رشيد رضا في إنجيل برنابا.

(٢) مجلة الفيصل العدد ١٦، شوال سنة ١٣٩٨هـ سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٧٨م.

(٢)
القديس مرقس مؤسس كنيسة بوكاليا القريبة مـن البحر بمدينة الإسكندرية

تذكر المصادر النصرانية أن القديس مرقس والذي تنتسب إليه كنيسة الإسكندرية كان من الموحدين، ولم يرد أو يثبت عنه أنه كان ممن يعتقدون بألوهية المسيح أو بالتثليث.

ماذا يقول عنه الأستاذ زكي شنوده المحامي في كتابه تاريخ الأقباط:

يقول عنه: إن اسمه يوحنا، أما مرقس فلقبه، وأصله من اليهود القاطنين في المغرب من شمال أفريقيا، هاجر أبواه إلى فلسطين وكان من أوائل الذين آمنوا بالمسيح فاختاره ضمن السبعين، وفي بيته حلَّ روح القدس على التلاميذ.

بشَّر في إنطاكية وآسيا الصغرى والخمس مدن الغربية، ثم قصد إلى الإسكندرية فأسس فيها سنة ٦٢ ميلادية أول كنيسة في (بوكاليا) بالقرب من شاطىء البحر، وكان أول بطريرك لها.

ثم توجه إلى روما وهناك وقع في الأسر مع بولس، ثم عاد إلى الإسكندرية وشيَّد فيها أول مدرسة لاهوتية وراح يدعو إلى الإيمان، فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلون به ويعذبونه حتى مات شهيداً سنة ٦٨ ميلادية.

وقبل استشهاده رسم لكنيسة الإسكندرية أول أسقف بها، وهو أنيانوس ومعه ثلاثة قسوس وسبعة من الشمامسة.

وجاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسي أن القديس مرقس هو ابن أخت القديس

برنابا[1]، وهو وإن لم يعدّ من الحواريين إلاَّ أن المسيـح اختاره ليكـون من ضمن السبعين رسولاً.

سفر أعمال الرسل وما يذكره عن مرقس:

يروي هذا السفر حكاية مفارقـة مرقس لبـولس بناءً على مشـاجرة حـدثت بين برنـابا خال مرقس وبولس من أجل مرقس كمبشر، وبعد تلك المشاجرة أخذ برنابا مرقس وسـافرا معاً إلى قبرص فقد ورد قوله:

(ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا، لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمـة الرب كيف هم؟ فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا، الذي يدعى مرقس، وأما بـولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيليّة ولم يذهب معهما للعمل لا يـأخذانـه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافـر في البحر إلى قبـرص، وأما بـولس فاختـار سيلا وخـرج مستودعـاً من الإخوة إلى نعمـة الله، فاجتـاز في سورية وكيليكية يشدد الكنائس)[2].

فمـرقس في رأي بولس لا يصلح لمصـاحبته ومصـاحبة بـرنابـا للتكـريـز أي للوعظ والتبشير، لكن برنابا رفض رأي بولس واصطحب مرقس معه ليبشرا بالنصرانية في قبرص، أما بولس فقد اتجه وحده إلى سوريا.

مما تقدم يتضح أن المشاجرة التي حدثت بين بولس وبرنابا كـانت بسبب مرقس لأن بولس لم يرَ ضمّ مرقس إلى ركب الدعوة في المدن التي يذهبون إليها.

إنجيـل مـرقس:

هذا الإنجيل منسوب إلى القديس مرقس، كما هو محرر على عنـوانه ممـا يعني أن مرقس هو الذي حرره، لكن ابن البـطريق يقرر في كتـاباتـه التاريخيـة أن القديس بـطرس رئيس الحـواريين وأستاذ مـرقس رواه عن مرقس ثم نسبـه إلى مـرقس، وهـذا أمـر يـدعـو

---

(١) رسالة بولس إلى أهل كولوسي: الإصحاح الرابع عدد ١٠.

(٢) سفر أعمال الرسل: الإصحاح ١٥ عدد ٣٦ ــ ٤٠.

للعجب فكيف يـروي أستاذ عن تلميـذه، لكن هناك كـاتب قديم يـدعى آريتوس يقـرر أن الـذي حرره هـو مرقس نفسـه، وقد جـاء في كتاب (مـروج الأخبار في تـراجم الأبرار) أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح ، هو وأستاذه القـديس بطرس، ومن أجـل ذلك يقـول ويلز Wells إن النقـاد يميلون إلى اعتبـار إنجيـل مـرقس أصح مـا كتب عن شخص المسيـح وأعماله وأقواله وأجدرها بالثقة[١].

كما أن جيروم وهو أحد الآباء الذين كلفوا في القرن الخامس الميلادي لوضع نـظام علمي لعلم الـلاهوت، يصـرح أن بعض المتقدمين من العلمـاء كانـوا يشكون في البـاب الأخير من ذلك الإنجيل والمتضمن التبشير بالإنجيل للخليقة كلها[٢].

فخاتمة ذلك الإصحاح السـادس عشر عـدد ٩ ــ ٢٠ لا توجـد في أقدم مخـطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمي Codex Sinaiticus, Codex Vatieanus اللذين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع وأنه تمَّ تأليف خاتمة محترمة لإنجيل مـرقس وذلك بـالاستعانـة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين[٣].



(١) كتاب محاضرات في النصرانية للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة.

(٢) انظر الإصحاح السادس عشر عدد ٩ ــ ٢٠.

(٣) انظر كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة فصل إنجيـل مرقس للدكتـور موريس بوكاي نشر دار المعارف بالقاهرة.

(٣)

آريـــوس

رائد عقيدة التوحيد في القرن الرابع الميلادي

كما يصفه أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين

يقول دكتور أدولف هرنك: (كان آريوس شمّاساً ثم شيخاً لكنيسة بوكاليس بمدينة الإسكندرية، وكان محترماً في المدينة، فقد نسب إليه الطهر والتقشف، كما أنه كان لطيف المعشر ذا خلق جذاب، وعرف بنشاطه الديني باعتراف البطريرك إسكندر، الذي تولى كرسي بطريركية الإسكندرية سنة ٣١٣ ميلادية.

ومن اللافت للنظر أن اندلاع المجادلات بين البطريرك إسكندر وآريوس شيخ كنيسة بوكاليس أمر يكتنفه الغموض، بسبب ما نجده من روايات متناقضة، وأخيراً قرر البطريرك إسكندر طرد آريوس من شَركة الكنيسة، وكذلك عزل بعض مشايخ الكنائس والشمامسة من الإسكندرية وبعض المطارنة من ليبيا، لكن هذا الإجراء لم يُسكت آريوس، فقد وجد دعماً من كثيرين وخاصة من (إيزبيوس) أسقف نيقوميديا.

وبعد أن رجحت كفة آريوس وعضده كل أساقفة الشرق فإنه عاد ليستأنف عمله بالإسكندرية، لكن الجدل لم يقتصر على الأساقفة ورجال الدين، بل تعداهم إلى عامة الشعب، وهنا أدرك قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية خطورة تلك المجادلات التي بدأت تمزق جميع الأقاليم الساحلية الشرقية لإمبراطوريته، فأرسل خطاباً إلى كل من إسكندر وآريوس عام ٣٢٣ ــ ٣٢٤ وصف فيه الصراع بأنه جدل عقيم حول أشياء غير مفهومة، بيد أن هذا الخطاب لم يكن له أي تأثير، كما فشلت جهود أسقف البلاط (هوسيوس الذي حمل الخطاب) في رأب الصدع وإنهاء الخلافات.

إلَّا أن (هوسيوس) وصل إلى تفاهم مع البطريرك إسكندر في مدينة الإسكندرية، ثم

نصح الإمبراطور بعقد مجمع عام في مدينة (نيقية) كان (لهوسيوس) أكبر الأثر في تحديد الصيغة المطروحة بعد أن كشف للإمبراطور وجهة نظره.

ولكن قبل الدخول في تفصيلات المجمع يجب أن نأخذ فكرة عن عقائد كل الحزبين:

- حزب البطريرك إسكندر بطريرك الإسكندرية.
- وحزب آريوس شيخ كنيسة بوكاليس.

لقد كانت الصيغة التي قال بها البطريرك إسكندر وهاجمها آريوس عن المسيح هي:

(دائماً إلّه، دائماً ابن، وفي نفس الوقت آب، وفي نفس الوقت ابن: فالآب لا يمكن التفكير فيه بدون الابن الذي صدر عن الآب).

أما العقيدة التي عارض بها آريوس عقيدة إسكندر فيغلب عليها الفكر التوحيدي وهي:

(إن الإلّه الواحد الأحد هو الأزلي وحده، وإن الابن ليس أزلياً ولكنه خلق من خلق الله؛ أوجد من العدم).

لقد كان آريوس وأتباعه يقولون: (الله الواحد الأحد، القائم وحده ـ القيوم ـ هو الوحيد الذي لم يولد، ليس له بداية، لا يمكن إدراكه أو التعبير عنه وليس له معادل أو مكافىء على الإطلاق). إن كلمة **يلد** إنما تأتي ببساطة مرادفاً لكلمة **يُخلق** وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن هذا يدمّر مفهوم الطبيعة الإلّهية، إن الله لا يخرج شيئاً من جوهره، ولا يصل جوهره بما خلق، لأن جوهره غير مخلوق.

وبالنسبة لجوهر الابن:

فإنه تبعاً لذلك لا يمت بأدنى صلة لجوهر الأب، وإنما هو كائن مستقل ومنفصل تماماً ويختلف عن الجوهر أو الطبيعة الإلّهية، إذ لو كان له نفس الجوهر لكان هناك إلّهان. إن الأمر على العكس من ذلك، فإن الابن مثله مثل كل المخلوقات العاقلة له مشيئة حرة ومعرض للتغيير، وبالتالي فإنه قد يكون صالحاً أو غير صالح، إلاَّ أنه اختار بمحض إرادته أن يفعل الخير ويكون صالحاً، وقد استمر كذلك دون أدنى تردد.

وبما أن الابن لا يعزى جوهره إلى الآب فهو ليس إلّهاً حقيقياً وبالتالي ليست له السجايا الإلّهية، إنه ليس أزلياً وليست معرفته بالله مطلقة، ولكنها فقط معرفة نسبية، وبالتالي فإنه لا يمكن أن يدعي المساواة في المجد مع الآب، ومع ذلك فإن الابن ليس مخلوقاً ومنتجاً مثل بقية المخلوقات، إذ إنه المخلوق الكامل، به خلق كل شيء، وله علاقة خاصة بالله، ولكنها علاقة تتوقف على العطاء الإلّهي له.

وبين القوى المخلوقة فإن الروح القدس يقف بجانب الابن كجوهر ثان مستقل). انتهى كلام الأستاذ (أدولف هرنك)، أستاذ تاريخ الكنيسة[1].

ويبني الآريوسيون عقيدتهم في التوحيد على نصوص الكتاب المقدس التي يذكر منها الأستاذ أدولف هرنك ما يلي:

١ ـ (اسمع يا إسرائيل الرب إلّهنا رب واحد) [سفر التثنية: إصحاح ٦، عدد ٤].

٢ ـ (أنا أنا هو وليس إلّه معي، أنا أميت وأحيي) [سفر التثنية: إصحاح ٣٢، عدد ٣٩].

٣ ـ (إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله) [إنجيل متى: إصحاح ١٢، عدد ٢٨].

٤ ـ (وأما ذلك اليوم (يعني يوم القيامة) وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلَّا الآب) [إنجيل مرقس: إصحاح ١٣، عدد ٣٢].

٥ ـ (وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس) [إنجيل لوقا: إصحاح ٢، عدد ٥٢].

٦ ـ (وسأله رئيس قائلاً أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلَّا واحد وهو الله) [إنجيل لوقا: إصحاح ١٨، عدد ١٨ ـ ١٩].

٧ ـ (لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت: أمضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني) [إنجيل يوحنا: إصحاح ١٤، عدد ٢٨].

---

(١) كتاب طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب.

٨ ـ (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلّه الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) [إنجيل يوحنا: إصحاح ١٧، عدد ٣].

٩ ـ (رئيس كهنته المسيح يسوع، حال كونه أميناً للذي أقامه، كما كان موسى أيضاً في كل بيته). [الرسالة إلى العبرانيين: إصحاح ٣، عدد ٢].

١٠ ـ (ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت) [إنجيل متى: إصحاح ٢٦، عدد ٣٩].

١١ ـ (صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني؟ أي: إلّهي إلّهي لماذا تركتني) [إنجيل متى: إصحاح ٢٧، عدد ٤٦].

مجمع نيقية وما كان عليه من ضغوط:

يقول الأستاذ أدولف هرنك: (مما لا شك فيه أن (هوسيوس) أسقف البلاط لدى الامبراطور قسطنطين مارس ضغطاً شديداً في مجمع نيقية؛ فعلى الرغم من أن الامبراطور أطلق يد المجتمعين في أول الأمر إلاَّ أنه ما لبث أن وضع نهاية للمجادلات الخاصة، ثم تدخل بقوة السلطة في اللحظة الحاسمة واتخذ صفة عالم اللاهوت حين فسر بنفسه الصيغة التي يجب أن يوافق عليها المجمع، ويمكن القول أن الإمبراطور أقام حساباته على أساس أن المجمع سوف يتفق على صيغة مقبولة، ولما تعذر ذلك فإنه قرر تحت تأثير (هوسيوس) أن يجبر المجتمعين على قبول الصيغة التي اتفق عليها هذا الأخير مع إسكندر بطريرك الإسكندرية.

لقد جاء الآريوسيون إلى المجمع وهم على ثقة من النصر فلقد كان أسقف نيقية نفسه في جانبهم، لكن إرادة الامبراطور حسمت الأمر، فلقد أدين آريوس وضُحِّي به، ولما كان الامبراطور قلقاً على الحفاظ بيد من حديد على الوحدة التي كسبها فإنه أمر بإحراق كتب آريوس ووضع أتباعه في أدنى مستوى بين أعداء المسيح، لقد اضطهد الآريوسيين ووافقه الأرثوذكس على ذلك).

ويضيف السيد المهندس أحمد عبد الوهاب المترجم لأقوال أدولف هرنك على ذلك بقوله:

(من المعلوم أن الإمبراطور قسطنطين الذي كان هذا دوره في مجمع نيقية بقي وثنياً

طيلة حياته، ولم يعمد مسيحياً (أي نصرانياً) إلاَّ على فراش الموت سنة ٣٣٧ ميلادية، أي بعد هذا المجمع بنحوٍ اثنتي عشرة سنة، وتقول المصادر المسيحية في تبرير موقف ذلك الامبراطور بأنه: (ككثيرين من أهل بلاده بعد تغيير دينه جمع بين الإيمان المسيحي والميل إلى الوثنية، وكان يعتقد كغيره عن أركان المسيحية أن العماد كفارة لمحو جميع الخطايا السابقة، ولرغبته في أن يستمتع ما استطاع بالعالمين الدنيوي والديني فقد أجل عماده إلى آخر لحظة)[١].

حصيلة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م:

لقد كانت حصيلة ذلك المجمع هي: (تقرير ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله، وأنه قديم بقدمه وأنه غير مخلوق).

ثم فرضت تلك العقيدة على المسيحيين (أي النصارى) فرضاً يؤيدها سلطان الإمبراطور قسطنطين، رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثيرون من الأساقفة، وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر، حيث كانت تضم أشياعاً أقوياء لآريوس خاصة في مدينة الإسكندرية ومدينة أسيوط.

ما هي عقيدة الأرثوذكس؟

هذه العقيدة حمل لواء الدعوة إليها بطريرك الإسكندرية المدعو (أثناسيوس) والذي خَلَف سلفه البطريرك إسكندر وتتلخص في أن المسيح إلّه غير مخلوق يشارك الله أزليته، وكذلك الروح القدس، فالآب إلّه، والابن إلّه، والروح القدس إلّه. فمن أراد أن يخلص فعليه أن يعتقد بالثالوث، لذلك يعتبر أثناسيوس هو مؤسس عقيدة الثالوث[٢].

هل كان (آريوس) أول من دعا إلى عقيدة الوحدانية بعد ذهاب المسيح عليه السلام؟

لم يكن آريوس هو أول من دعا إلى عقيدة الوحدانية للإلّه لأن هذه العقيدة قديمة

---

(١) كتاب طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب.

(٢) المرجع السابق.

قدم النصرانية ذاتها، وتذكر المصادر المسيحية كما قدمنا أن القديس مرقس والذي تنتسب إليه كنيسة الإسكندرية كان ينكر ألوهية المسيح، ولكن للأسف فإنه ما مضى إلَّا قرنان من الزمان حتى جاء أثناسيوس في سلسلة خلفاء القديس مرقس وعلى نفس كرسيه في كنيسة الإسكندرية وجعل عقيدتها تقوم على الثالوث، وحارب الموحدين للإلّه الذين يمثلهم الآريوسيون، حتى لقد وصفهم بقوله: (شياطين دجالين مجانين، ويهوداً ومشركين، وكفرة منكرين للذات العلية، وكلاباً وذئاباً وأسوداً ضارية، وأرانب وحرابى وأفاع وأحناش أسماك، وشلقاً وبعوضاً وخنافس)[1].



(١) كتاب «طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون».

(٤)

(الدكتور شارل جينيبير)

أستاذ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس

ماذا يقول عن النصرانية وتطوُّرها

بيئته التي وُلد فيها:

وُلد الدكتور شارل جينيبير من أبوين نصرانيين في البيئة الريفية الفرنسية، وهي بيئة كاثوليكية متعصبة، فنشأ شارل كاثوليكياً متأثراً بتلك البيئة الدينية هناك.

تعليمه:

تعلَّم شارل في المدارس الفرنسية وانتهى به الأمر إلى نيل شهادة الدكتوراه، وانتظم في هيئة التدريس الجامعي، وكان متخصصاً في مادة تاريخ الأديان على وجه العموم.

لكنه أخذ شيئاً فشيئاً يتعمق في دراسة الديانة النصرانية حتى أصبحت محور تخصصه، فأصبح أستاذ تاريخ النصرانية في أكبر جامعة في فرنسا وهي جامعة باريس، ثم وصل إلى منصب رئيس قسم تاريخ الأديان في تلك الجامعة.

دراسته لبعض اللغات:

من أجل أبحاثه في الديانة النصرانية درس بعض اللغات كاللغة العبرية، واللغة اللاتينية، ولكنه درس بعمق الجو الذي نشأت فيه الديانة النصرانية وهو الجو الديني العبري، أي المجتمع العبري والديانة اليهودية، هذا المجتمع الذي نشأ فيه السيد المسيح عليه السلام وقضى فيه حياته القصيرة نسبياً.

نتيجـة أبحاثـه :

أصدر المؤلف كتاباً ضخماً يقرب من ٦٠٠ صفحة بالخط الدقيق، تناول تفصيلاً للحياة الروحية والاجتماعية التي رافقت ظهور السيد المسيح، والملاحظ في أبحاث ذلك العلّامة أنه يصوِّر لنا النصرانية في نشأتها:

كيف كانت؟ كيف تطوَّرت؟

ما هي العوامل التي جعلتها تتطور؟

وأنه حينما يتكلم أو يبحث في هذا الموضوع، إنما يتكلم فيه كعالم من علماء التاريخ، وليس كعالم من علماء الدين الكاثوليكي، أي أنه لا يتكلم باسم الأديان، وإنما يتكلم باسم التاريخ وفرق بين وجهتي النظر.

والذي يتكلم باسم الإيمان النصراني يتكلم وهو واقع تحت تأثير عقيدة معينة أَلِفها وتعودها وشربها مع ماء البيئة، وتنفسها مع هوائها، فهي التي توجهه وتتحكم فيه وتقوده في أبحاثه.

أما المؤرخ الموضوعي: فإنه يتحرر من كل ذلك، ويدرس الموضوع بحسب الواقع التاريخي غير متأثر في أحكامه بالعقيدة النصرانية.

وقد درس الدكتور شارل جينيبير النصرانية دراسة المؤرخ المتعمق الباحث في الآثار وفي مختلف المنابع التي تقوده إلى الحق.

النتائج التي توصَّل إليها :

لقد توصل في نهاية دراساته التي استغرقت منه نصف قرن إلى نتائج اطمأن إليها، ويتفق بعضها إن لم تكن جميعها مع ما قرره القرآن الكريم عن النصرانية وهي :

١ ـ أن النصرانية التي بشَّر بها السيد المسيح عليه السلام كانت في غاية البساطة.

٢ ـ أن السيد المسيح عليه السلام كان يعلن التوحيد ويؤكد أنه عبد الله ورسوله.

٣ ـ أنه بعث لخراف بني إسرائيل الضالة، أي أن رسالته كانت خاصة ببني إسرائيل.

٤ ـ كان همُّ السيد المسيح أن يدعو إلى الخلق الكريم: يدعو إلى الرحمة والمحبة والتعاطف ولم يدخل قط بتفاصيل العقائد ولم يتحدث عن شريعة.

فجوهر دعوة المسيح عليه السلام:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ التخلق بالخلق الكريم.

أما المسيحية الحاضرة (أي النصرانية الحاضرة) بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة المسيح عليه السلام.

أصل الخطأ الذي انحرف بالنصرانية ترجمة كلمة (عبد الله):

يبيِّن الدكتور شارل جينيبير أن النصرانية بدأت تنفصل عن تعاليم ودعوة السيد المسيح منذ أن دخلها من يدعونه (القديس بولس) وأن عقيدة (بنوَّة المسيح لله) إنما كانت أثراً لخطأ في ترجمة كلمة (عبد الله) التي يقولها السيد المسيح كثيراً عن نفسه.

فعند قيام بولس بترجمة تلك الكلمة إلى اليونانية كان أمام أحد أمرين:

أيترجمها بكلمة (طفل)؟ أم يترجمها بكلمة (خادم)؟

واختار بولس أن يترجمها بكلمة طفل وصارت (طفل الله)، وكان لذلك تغيير هائل بالفكرة الدينية عن صورة الإلّه في الفلسفة عامة، وفي الدين النصراني خاصة، بمعنى أن تلك الترجمة انحرفت بعقيدة التوحيد الخالص إلى فكرة بنوَّة الطفل لله.

مناقشته أساس عقيدة (بنوة الإلّه) في النصرانية المعاصرة:

يناقش العلّامة والباحث المذكور فكرة البنوة المزعومة في عقيدة النصرانية فيقول:

١ ـ إن الصورة عن الألوهية التي تتَّسم اتساماً تاماً بالكمال هي الصورة التي رسمها الفلاسفة المؤلهون: أفلاطون وأرسطو وغيرهما، فالكامل لا يكون له أولاد.

٢ ـ والإلّه لا يولد لأنه كامل في ذاته، لا يحتاج لتحقيق كماله إلى ولد، لأن إرادة الولد حتى ولو لم يكن مولوداً بل كان مخلوقاً نقص في الإلّه **وهي مسألة تتناول (الأب)**.

والمسألة الثانية التي تتناول (الابن): وهي أنه على أي وضع تصورته يكون إما **مولوداً** أو **مخلوقاً**، فهو لا مناص قد سبقه عدم، وأنه وجد بعد عدم فلا يكون إلّهاً!!

لمـاذا؟

والجواب: لأنه حادث سواء أكان مولوداً أم كان مخلوقاً.

إنه مهما حاولت ليس كاملاً.

ومهمـا أوتيت من عبقريـة لتثبت أن المولـود أو المخلوق كامـل كمال الإلّـه فسـوف تخفق إخفاقاً كاملاً.

نـفـيـه للثليث:

نفى الدكتور شارل جينيبير عن المسيح عليه السلام القول بالتثليث.

والجدير بالاعتبار أن الثلاثة ليست واحداً، كما أن الواحد ليس ثلاثة.

وأين هذا العقل الذي يمكنه أن يفهم أن الثـلاثة واحـد، والواحـد ثلاثـة كما يقـول النصارى!

طقوس لا أساس لها:

ولقد نفى الدكتور شارل جينيبير عن السيد المسيح الاعتقاد بأن رسالته ستتطور هـذا التطور الذي أصبحت له **طقوس وشعائر وكنيسة وقساوسة ورهبان.**

وكل ذلك يتحدث عنه المؤلف بقلم المؤرخ الذي لا يرى إلّا النصوص والوثائق.

مصير النصرانية إذا انتفت عنها عقيـدة البنوة وعقيدة التثليث:

يقـرر هذا البـاحث أنه إذا انتفت هـاتان العقيـدتان عن النصـرانية تكـون قـد انتهت النصرانية (أو المسيحية) تماماً.

تعـارُض الأنـاجيـل:

وعن ذلـك التعارض يقـرر المؤلف أن تصفُّح الأنـاجيل وحـده يكفي لإقنـاعنـا بـأن مؤلفيهـا قد تـوصلوا إلى تركيبـات واضحة التعـارض للأحـداث، والأحاديث نفسهـا، مما يتحتم معه القول بـأنهم لم يلتمسوا الحقيقـة الواقعيـة، ولـم يستلهموا تـاريخاً ثـابتاً يفـرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك اتبع كل كاتب هواه وخطته الخاصـة في تنسيق وترتيب مؤلفه.

كما يلاحظ في ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصاً كثيراً وفجوات خطيرة نلحظها حتى في إنجيل (مرقس) الذي بلغ الحرص به أن تحاشى الحديث عن مولد المسيح وطفولته.

كما وأن المسيح لم يقل عن نفسه إنه (ابن الله) وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهودي سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين، كما لا يسمح أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على المسيح، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية وهي اللغة التي استخدمها (بولس) كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع؛ إنجيل يوحنا.

ثم يقرر المؤلف بأن النصوص لا تقدم إلينا الخبر اليقين فيما يتعلق بتفكير المسيح الخاص بمبادىء رسالته، وبصفات شخصيته، وبمدى دوره الذي أدّاه، إلاَّ أننا لا بد أن نقرر واقعاً واضحاً للعيان وهو:

١ ــ أن المسيح لم ينجح في دعوته.

٢ ــ وأن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التي نسبها إلى نفسه.

٣ ــ ولم يسيروا على نهج الأخلاق التي أراد أن ينصح بها إليهم.

أما بالنسبة لمن تابعه فيقول المؤلف:

١ ــ لم يكن الاثنا عشر الذين اتبعوه ليوافقوا على نعت المسيح بـ (ابن الله) مكتفين بتعبير (خادم الله).

٢ ــ أما عند بولس فلقب (ابن الله) لقب كثير الاستعمال بالنسبة إلى المسيح.

الكنيسة هل أنشأها المسيح؟

يقرر الدكتور شارل جينيبير أن المسيح عليه السلام لم ينشىء الكنيسة، كما أنه لم يُردها، ولعل هذه القضية أكثر الأمور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث يدرس النصوص الإنجيلية في غير ما تحيز، بل إنه يؤكد أيضاً أن الفرض العكس لا يمكن أن يوجد له سند تاريخي مقبول، ومع ذلك فالحقيقة الثابتة التي لا جدال فيها هي أن الكنيسة لم تتمكن من الانتصار خلال القرن الرابع الميلادي إلاَّ بفضل انهزام الإيمان الأول، الذي يمكن أن نسمّيه إيمان الاثني عشر، أي إيمان النصرانية الأولى.

فبانهزام النصرانية الأولى في الصراع الروحي الذي خاضته، تقبلت الكنيسة في الواقع هذا الانهزام واعتمدته مكتفية بأن تتحول إلى موضوع للتأمل الديني لدى المؤمنين، وضاعت تلك المثل التي كانت تنطوي في البداية على جوهر الإيمان، والتي كانت هي علة الإيمان الأولى.

وبضياع نصرانية المسيح ظهرت مسيحية القرون الوسطى:

١ ــ فالمتأمل لمسيحية ذلك الزمان يجدها ديناً يبغي العالمية.

٢ ــ ويتخذ الحرب وسيلة لها.

٣ ــ ديناً متعصباً شديد التعصب.

٤ ــ لا يقبل بالنسبة للعالم الخارجي أنصاف الحلول.

٥ ــ وصارت ملتقى لعدد كثير من العقائد التي لا يستسيغها المنطق.

٦ ــ وحملت من الطقوس الدقيقة المتشعبة المتباينة قدراً وافراً من رموز السرية.

الغربيون لم يكونوا نصرانيين قط:

وفي نهاية أبحاث ذلك العلامة الفرنسي الكبير يقول الآتي:

نستطيع القول إن الغربيين لم يفهموا تطور العقائد النصرانية في العصور اللاحقة، وأن الديانة التي نشأوا عليها أساسها منهار، إذ كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن النصرانية الشرقية التي بشَّر بها المسيح.

ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي، متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم، وإن صبت في قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة.

وخلاصة قول المؤلف:

إن الغربيين لم يكونوا نصارى في يوم من الأيام[١].

***

---

(١) عن كتاب المسيحية نشأتها وتطورها تأليف الدكتور شارل جينيبير رئيس قسم الأديان بجامعة باريس، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق، عرض وتحليل الأستاذ محمد شلبي، وقد نشر بمجلة الأمة القطرية في العدد الأربعين السنة الرابعة، في ربيع الآخر سنة ١٤٠٤هـ يناير سنة ١٩٨٤م.

(٥)

ما هذا يا أهل الكتاب
وماذا تبيتون للمسلمين والإسلام؟

في قمة الاحترام وفي ذروة التسامح منذ أربعة عشر قرناً أطلق الإسلام على النصارى وعلى اليهود وإن لم يعيشوا في كنف دولته اسمين رقيقين يوحيان بمعان كريمة سامية:

الأول: اسم (**أهل الكتاب**) إشارة إلى أنهم في الأصل كانوا أصحاب كتاب سماوي.

والثاني: اسم (**أهل الذمة**) إيماء بأن لهم ذمة الله وذمة رسوله ﷺ أي عهد الله وعهد رسوله ألا يؤذوا ولا تهدر حقوقهم أو تخدش حرماتهم، وهو خاص بأولئك الذين يعيشون في ظل سلطان الإسلام[١].

والإسلام بوصفه ديناً استقى عقيدته وشريعته من معين السماء، كما استقت سابقاً يهودية موسى ثم نصرانية المسيح عيسى عليهما السلام قال الله تعالى:

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[٢].

والمسلمون في قرارة أنفسهم يؤمنون ويعتقدون بأن الأنبياء أخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، وأن عليهم أن يؤمنوا بهم جميعاً إيمانهم بنبيهم محمد ﷺ، قال تعالى:

---

(١) الأقليات وتطبيق الشريعة الإسلامية من بحوث المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر للدكتور يوسف القرضاوي.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1].

وقال جل شأنه:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[2].

ومن المبادىء المسلم بها في الإسلام أنه لا يفرض عقيدته على أحد من الناس، وأنه لما حاول رجال من أنصار المدينة المسلمين إجبار أبنائهم وقد كانوا يدينون باليهودية أو النصرانية على تغيير دينهم إلى الإسلام نزل الوحي بآيات من القرآن قاطعة مانعة، أي تمنع ذلك وهذا في قول الله تعالى:

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[3].

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين وأهل الكتاب يؤدون عباداتهم ويقيمون شعائرهم في أمان وحرية طبقاً لما هو منصوص عليه في العهود التي كتبت في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن أمثلته عهد الصلح الذي كان بين المسلمين وأهل إيلياء (مدينة القدس).

ومن شدة حساسية الإسلام فيما سنه من تسامح، لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين، لما لهما من صِبْغَةٍ دينية، باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى، مع أن الزكاة ضريبة مالية والجهاد خدمة عسكرية.

هذا هو موقف الإسلام من أهل الكتاب، **فماذا كان موقفهم من المسلمين؟**

لننظر إلى ذلك من خلال موقف أحد كهنة النصرانية في زماننا المعاصر وهو بابا الفاتيكان طبقاً لما نشرته وسائل الإعلام العالمية في الأيام الماضية.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

تحركات مشبوهة:

صارت تحركات بابا الفاتيكان خارج بلاده في الدول المختلفة منذ توليه أمور الكنيسة الكاثوليكية في روما سنة ١٩٧٨ وحتى الآن سبعاً وعشرين جولة، كانت آخرها جولته الأفريقية الثالثة والتي زار فيها سبع دول أفريقية ذات الكثافة الإسلامية الكبيرة[١].

مدى أهمية أفريقيا عند الكنيسة الكاثوليكية:

إن الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان تعتبر أفريقيا من أهم المناطق التي تعول على انتشار الكاثوليكية في ربوعها خلال القرن العشرين، وما بعده، فتتسلل إلى عقول الأفريقيين مستغلة حاجتهم الماسة إلى الطعام والكساء والدواء.

والملفت للنظر أن جولة بابا الفاتيكان هذه المرة لم تشمل مناطق الكوارث والمجاعة، بل شملت دولاً ذات استقرار سياسي واقتصادي، وكان في جولاته يحث رجال الإرساليات التبشيرية إلى الانتقال إلى مناطق المسلمين لنشر النصرانية بينهم، وفتنتهم عن عقيدتهم الإسلامية، كما حدث منه في جمهورية توجو إذ كان يحض الكهنة والأساقفة إلى اقتحام شمال تلك الدولة وهي المناطق التي ينتشر فيها المسلمون للتبشير بينهم ونشر الكاثوليكية فيهم.

جريدة «الواشنطن بوست» الأمريكية تكشف شيئاً مما يُبيَّت للإسلام هناك:

فمما ذكرته تلك الجريدة الأمريكية: (إن اللباقة والالتزامات الكنسية الرسمية تجعل البابا يحجم عن التحدث بصورة مباشرة عن قضية البعث الإسلامي في أفريقيا، إلاَّ أن مصادر رفيعة المستوى في الفاتيكان قالت في أحاديث خاصة إن التنافس بين الكاثوليكية والإسلام من أجل كسب معتنقين جدد هو أحد الاهتمامات الرئيسية للكنيسة).

---

(١) مجلة منار الإسلام: العدد الأول، محرم سنة ١٤٠٦هـ أكتوبر سنة ١٩٨٥م.

مـاذا تقول صحيفة «الهيرالد تريبيون» الصادرة في ٨ أغسطس سنة ١٩٨٥؟

نشرت تلك الصحيفة في صفحتها الأولى مقالاً للصحفي الأمريكي (لورين جينكـز) يشير فيه إلى أن بابا الفاتيكان يقوم بهذه الزيارة إلى أفريقيا على أمل تعزيز قوة كنيسته في وجه تنامي الشعور الديني الإسلامي في القارة التي يعتبرها الفاتيكان مسرح أحد نجاحاته في هذا القرن، ولحث المطارنة والقساوسة وأتباعه السود لمضاعفة جهودهم التنصيرية لمواجهة الاندفاعة الإسلامية الجديدة نحو الجنوب، ويؤكد جينكز في مقاله الذي يعد وثيقة هامة (خاصة وأن الرجل من المتخصصين في شؤون الفاتيكان) أن شعوراً بالقلق يتملك رجال الكنيسة من الوجود الإسلامي الجديد في حزام عريض يقطع وسط أفريقيا بدءاً من سيراليون على المحيط الأطلسي، وانتهاء بالساحل السوداني المحاذي للبحر الأحمر[١].

عهد بدء التنصير الثاني في أفريقيا، أو الهجمة التنصيرية الثانية :

ومما تحدثت عنه وكالات الأنباء العالمية أن بدء (التنصير الثاني لأفريقيا) هو ما أعلنه بابا الفاتيكان في جولته الأخيرة، وصار هو شعار الكنيسة في خطة عملها خلال السنوات القادمة داخل أفريقيا التي تعتبرها مصادر الكنيسة الرومانية إلى جانب أمريكا اللاتينية أحد احتياطات العالم الكاثوليكي للمستقبل[٢].

الإحصاءات التي يذكرها المتحدث باسم الفاتيكان تبيِّن مدى نشاط المبشِّرين في أفريقيا :

مما يذكره (يواكيم نافاروفالز) أحد المتحدثين باسم الفاتيكان أن أعداد الكاثوليك الأفارقة في زيادة مضطردة، ففي عام ١٩٠١ من بداية هذا القرن كان هناك ١,١ مليون كاثوليكي فقط في كل أفريقيا يشكلون ١ ٪ من سكان القارة.

---

(١) كتاب «مجلة منار الإسلام العدد الأول».

(٢) المرجع السابق.

أما اليوم فإنه يضاف حوالي مليوني كاثوليكي سنوياً مما يجعل مجموع الكاثوليك في القارة المذكورة يبلغ ٦٥ مليوناً الآن أو ١٦ ٪ من مجموع سكانها، ويتوقعون أن يصل عددهم في نهاية القرن الحالي إلى ١٠٠ مليون كاثوليكي أفريقي[١].

ملامح توضح بعض مخططات الفاتيكان من واقع تنقُّلات البابا :

امتدت زيارة بابا الفاتيكان إلى أفريقيا في المرة الأخيرة مدة اثني عشر يوماً، وشملت توجو وساحل العاج والكاميرون وأفريقيا الوسطى وزائير وكينيا والمغرب، والملاحظ أن رؤساء تلك الدول كانوا على رأس مستقبلي ذلك البابا، والذي كان يحرص على أن يعقد اجتماعات مغلقة معهم، حيث قدم لثلاثة رؤساء معاهدة مكتوبة تتضمن وعداً بمساندة الكنيسة الكاثوليكية لأنظمتهم مقابل مزيد من التسهيلات للعمل التنصيري في وجه ما أسماه بالشعور الإسلامي المتنامي في بلادهم.

وفي لقاءاته مع المسلمين هناك نجده يدعو إلى التسامح والحوار بين الإسلام والنصرانية، بينما تختلف هذه النغمة حينما يكون المخاطبون من بين أتباعه وأعوانه، إذ يحرضهم إلى التحرك واقتحام معاقل الإسلام والمسلمين والتبشير بينهم والعمل على تنصيرهم.

أقوال بابا الفاتيكان تكشف مدى خطورة زياراته على السكان المسلمين:

١ ــ **ففي توجو** حيث بدأت زيارته صرح في المطار بقوله:

(إن الكنائس الأفريقية المعروفة بفنونها بلغت الآن مرحلة توجب عليها أن تنضج وتحمل ثماراً أفريقية حقيقية).

كما أعلن أن الفاتيكان على استعداد لدراسة مطالب الأفارقة بتبني الكنيسة

(١) كتاب «مجلة منار الإسلام العدد الأول».

الكاثوليكية للتقاليد المحلية والطقوس التي تؤمن بأن للمادة روحاً وللممارسات التي تسمح بالزواج التجريبي وتعدد الزوجات.

وخاطب كهنته في احتفال جماهيري بترسيم أحد عشر كاهناً من جمهورية توجو بقوله:

(وإن أفقكم كمبشرين ليس محدوداً ببلدكم وعليكم أن تحملوا الأنباء السارة إلى جميع أبناء أفريقيا وبناتها).

٢ ـ **وفي ساحل العاج** قام البابا بافتتاح وتدشين كاتدرائية القديس بولس والتي سبق أن وضع حجر أساسها إبان زيارته السابقة لهذا البلد سنة ١٩٨٠م، وتعتبر هذه الكاتدرائية الصرح الديني الثاني في العالم من حيث الضخامة بعد كاتدرائية القديس بطرس في روما.

٣ ـ **وفي الكاميرون** عندما وصل إلى هناك بدأ كلامه إلى مستقبليه بقوله:

(إنني لم آت إلى هنا كرئيس للكنيسة لكاثوليكية فحسب بل كمبشر أيضاً).

ولذلك حرص على مدى أربعة أيام قضاها هناك أن يجوب أنحاء الكاميرون المختلفة وأن يلتقي بالزعماء المسلمين والقبليين أيضاً.

وهناك قام بترسيم ستة عشر كاهناً كاميرونياً وسماهم تلامذة المسيح الجدد، ودعاهم إلى التزام النظام والعفة وأن يكونوا مثلاً يُقْتَدىٰ بهم.

وخلال لقائه مع عشرة من زعماء المسلمين هناك هاجم بابا الفاتيكان بشكل خفي التيار الإسلامي الذي بدأت ملامح نشاطه في الظهور والنمو، ووجه دعوته للمسلمين بأن يمارسوا التسامح الديني.

أما في شمال الكاميرون حيث تعيش الأغلبية الإسلامية فقد حرص البابا على التأكيد في تصريحاته بضرورة التعايش بين الطوائف المختلفة، وفي نفس الوقت أشاد بالمنصِّرين الكاثوليك القدامى الذين باشروا تعليم السكان عقب وصولهم إلى تلك البلاد في سنة ١٨٩٠م.

٤ ـ **ومروراً بجمهورية أفريقيا الوسطى؛**

٥ ـ **فزائير**، أنهى الباب جولته في أفريقيا السوداء بزيارة إلى:

٦ ـ **كينيا**، وهناك هاجم **تعدد الزوجات والطلاق** (وهما من شريعة الإسلام) ودعا أتباعه ورعايا كنيسته إلى مزيد من الإنجاب.

٦ ـ البابا يختم رحلته بزيارة دولة المغرب العربي:

يجمع المراقبون على أهمية وخطورة تلك الزيارة لدولة مسلمة ليس في شعبها كاثوليكي واحد باستثناء الأوروبيين، كما وأنها أول زيارة لذلك البابا لبلد عربي مسلم.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان من رغبة بابا الفاتيكان زيارة السودان، لكن الحكومة هناك رفضت الاستجابة لتلك الرغبة، بسبب ما يعانيه منذ استقلاله سنة ١٩٥٦ من اضطرابات في جنوبه، وتتفاقم تلك المشكلة بتشجيع من الكنائس العالمية وبدعمها المادي والمعنوي[١].

وفي نفس الوقت يعلن الفاتيكان مرة أخرى براءة اليهود من دم المسيح:

وذلك في وثيقة رسمية صدرت في ٢٤ يونيه (حزيران) سنة ١٩٨٥م عن لجنة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهود، وقد تضمن النص الحرفي للوثيقة كما نشرته صحيفة (أوبسيرفاتوري رومانو) لسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ يونيه (حزيران) سنة ١٩٨٥، تعليمات مشددة لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين والمدرسين وقطاعات الكنيسة الكاثوليكية كافة، بشأن التعامل مع اليهود وتلاوة الصلوات النصرانية من الطقس الكاثوليكي بشكل يضمن عدم التعرض لهم، وذلك في محاولة لقطع جذور معاداة السامية بين النصارى.

ويجيء إصدار الوثيقة بناء على تعاليم المجمع الفاتيكاني الثاني وبعض خطابات البابا يوحنا بولس الثاني بشأن العلاقة مع اليهود على أساس الرسائل التي بعثت بها الجالية اليهودية في روما إلى الفاتيكان في الآونة الأخيرة والتي طالبت بالتصدي لمظاهر معاداة السامية في الديانة النصرانية الكاثوليكية، وتدور بنود الوثيقة حول عدة موضوعات: أهمها

---

(١) مجلة الأمة القطرية عدد المحرم سنة ١٤٠٦هـ سبتمبر سنة ١٩٨٥م: شؤون المسلمين في العالم (الغارة التنصيرية على أفريقيا مرحلة جديدة من المواجهة).

التعليم الديني واليهودية، العلاقة بين العهد القديم والجديد، اللاهوت ومسار محتوى الصلوات النصرانية، اليهودية والنصرانية.

وتوصي الوثيقة بضرورة عدم اعتبار اليهود شعباً منبوذاً أو معادياً للمسيح، وذلك بتبيان العلاقة بين يهود فلسطين القدماء كما جاء في الوثيقة والمسيح (عليه السلام) ودور اليهود الفريسيين ويهود القدس في عهد المسيح.

وأذاعت الوثيقة أن المسيح (عليه السلام) كان يهودياً وسيظل هكذا إلى الأبد، ومع ذلك وفي الوقت نفسه دعت إلى عدم الخلط بين الديانتين النصرانية واليهودية بإيراد مئات النصوص من الأناجيل المختلفة[١].

وثيقة الفاتيكان تدَّعي أن أرض فلسطين هي أرض أجداد اليهود:

هذا ما ذكرته لجنة الفاتيكان في وثيقتها، كما تضيف بأنها ترفض أي تفسير سياسي لدولة إسرائيل، لأن تاريخ إسرائيل لم ينته في سنة ٧٠ ميلادية يوم تدمير مدينة القدس على يد الرومان، بل استمر تباعاً في (الدياسبورا) والتي سمحت لإسرائيل بحمل شهادتها للعالم، والتي كانت دائماً بطولية أي إخلاصها للرب الواحد، وحافظت في ثنايا قلبها على الأمل وذكرى الأجداد.

وأردفت الوثيقة تقول: (إن تجذر إسرائيل في أرض شهدت عدة شعوب اندثرت دون أن تترك أثراً لها هو حقيقة تاريخية وعلامة يجب تفسيرها أنها من إرادة الله، لذا لا بد من ترك المفهوم التقليدي للشعب المعاقب كما في نظر النصرانية، لأنه يبقى الشعب المختار)[٢].

كيف توافقت الصليبية مع اليهودية رغم الخلافات الجذرية بينهما ثم مع باقي طوائفها المختلفة معها؟

مما يثير الدهشة والعجب أن الخصوم القدامى أصلحوا ذات بينهم، واجتمعت صفوفهم على أمل أن يجهزوا على الإسلام.

---

(١) مجلة الأمة القطرية: ذو القعدة سنة ١٤٠٥هـ حزيران يونيه سنة ١٩٨٥م.

(٢) المرجع السابق.

١ ـ فاتفقت النصرانية مع اليهودية وغيرت عبارات في الصلوات النصرانية، وأولت نصوصاً في الأناجيل المتداولة بين النصارى، وأنهوا عداوة عشرين قرناً ليواجه هؤلاء وأولئك الإسلام معاً.

٢ ـ كما اتفق الفاتيكان مع الكنيسة الشرقية التي ظل يحاربها طوال ستة عشر قرناً، ويعدها مارقة عن التعاليم الصحيحة، ومَدَّ إليها يده ليواجه هؤلاء وأولئك الإسلام معاً أيضاً.

٣ ـ واتفق الكاثوليك مع البروتستانت وتُنوسيت الخلافات والمعارك الداخلية بين الفريقين، وأمست المؤتمرات النصرانية تجمع بين الفريقين ليواجهوا الإسلام معاً.

٤ ـ بل إن الاستعمار الصليبي لجأ إلى خطة بارعة في الخبث فهو يترك الشيوعية تضرب الإسلام ويعينها، ويمكن لها في الأقطار الإسلامية التي لم تبلغها، حتى إذا أوشكت أن تستولي على الدولة والحكم، تدخل هو في الوقت المناسب، وتعاون مع إدارة إسلامية ضعيفة عميلة له ومهَّد لها طريق الحكم على شرط أن تترك التبشير الصليبي يعمل عمله دون اعتراض، وذلك سر إذاعة صوت الإنجيل من (أم درمان) العاصمة الإسلامية وسر الأجهزة التبشيرية الهائلة في جزائر أندونيسيا الرحبة[١].

ماذا تقول نظرية داود باريت؟

هذه النظرية طرحها صاحبها في الستينات من هذا القرن، ويزعم فيها أن النصرانية تكتسح القارة الأفريقية وسوف تكون سنة ٢٠٠٠م سنة فخر لأفريقيا دون بقية القارات الأخرى إذ يصبح أكثر سكانها من المسيحيين (أي النصارى) لأن النسبة الحالية للارتداد ودخول الأفارقة إلى النصرانية في زيادة مستمرة.

ويؤيده في الرأي (كانون بيرجيس كار) الأمين العام لمؤتمر كنائس عموم أفريقيا، ولكنه تقدم خطوة أخرى في الحديث عن أفرقة النصرانية بما قرره من أن نموها سيكون أسرع في الكنيسة الكاثوليكية منه في الكنيسة البروتستانتية من حيث يجد الأفارقة

---

(١) كتاب الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ محمد الغزالي، نشر مكتبة وهبه بالقاهرة.

الكاثوليكية أكثر ملاءمة لهم، والكنيسة الكاثوليكية تملك مليوناً ونصف مليون كنيسة في جنوب أفريقيا، وأعضاؤها يبلغون (٤٦) مليوناً حسب إحصائية قام بها الفاتيكان، ويزيد عدد البروتستانت عن غيرهم من الفرق النصرانية بخمسة وستين مليوناً.

ويعتبر رجال الكنائس الأمريكية أنه لا تقصير في ازدهار النصرانية في أفريقيا أو الصعيد العالمي حيث يبلغ عدد المسيحيين (أي النصارى) فيه أكثر من (٢,١) بليون نسمة[١].

كيف تسير أعمال التبشير النصراني بين المسلمين الآن؟

لقد نجح التبشير النصراني في صمت حيناً وفي مجاهرة حيناً، عندما تحرك في كل القارات في قصّ أطراف كثيرة من أمة الإسلام، وأمكنته الظروف التعيسة التي يعيش فيها مسلمون مضطهدون أو مضيعون أن يغري بالارتداد عن الإسلام ناساً كثيرين في أندونيسيا وبنجلادش وبورما والفليبين، بل إنه يهجم الآن بقوة في البلاد الأفريقية، وقد لا تكون البلاد العربية بعيدة عنه، الأمل الذي يداعبه أن ينتهي في القرن العشرين من الإسلام أو من عناصر القوة التي تستبقيه.

١ ــ فهو يُسيِّر المبشرين في جميع البلاد التي ينتشر فيها الإسلام، وهناك يوزعون مئات الألوف من الأناجيل بالمجان أو بأثمان رمزية تافهة.

٢ ــ ويدعم الفاتيكان ودول أوروبا الصليبية وكذا الولايات المتحدة الأمريكية بملايين الجنيهات الإرساليات الكبيرة التي تبثها في بلاد المسلمين للتبشير بينهم بأسلوب علني، أو بأسلوب خادع مستور، مستغلة طريق العلاج ووسائل التعليم وسدّ حاجة الفقراء والمعوزين لفتنتهم عن دينهم، ولنا أن نقدر خطورة ذلك الأسلوب إذا علمنا أن الفاتيكان وحده يملك ميزانية ضخمة تقارب ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه شريك مؤسس لكثير من البنوك والشركات والمصانع في معظم أقطار أوروبا خصوصاً الكاثوليكية منها.

٣ ــ اضطهادهم للأقليات الإسلامية في الدول الأوروبية، ويعملون على سلخهم

---

(١) المرجع السابق نقلاً عن مجلة (توزي فوتيت أنترناشيونال) الصادرة في بلجيكا عدد ٢٣ مايو سنة ١٩٧٧.

من عقيـدتهم بتكليفهم بتغيير أسمـائهم الإسلاميـة إلى أسماء نصـرانية، وانتـزاع أملاكهم وأراضيهم وبيوتهم بأساليب تتسم بالدناءة واللؤم، كمـا حدث حـالياً في بلغـاريا وفي بـلاد اليونان وغيرها من البلاد النصرانية.

٤ ــ أما في وسائل الإعلام فإن الدوائر التبشيرية الصليبية ومكاتب الاستشراق تعمل على تشجيع المفكـرين النصـارى في كتـابـاتهم وأحـاديثهم، وفي الإذاعـات المـرئيـة والمسموعة على كتابة التهجمـات المقنعة والشتـائم المبطنـة الموجهـة ضد نبـي الإسـلام محمد ﷺ، وضد القرآن والإسلام بأسلوب شديد الإثارة والإسـاءة، وهذه التهجمـات هي شيء آخـر خـلاف النقـد المنصف الـذي يكـون في حـدود الآداب المـرعيـة واللبـاقـة العلمية[١].

الإرساليات النصرانية كان أولى بها التبشـير فـي المجتمعـات اليهوديـة:

إذا رجعنا إلى مفهوم رسالة المسيـح عليه السـلام نجد أنـه ما أرسـل إلاّ إلى خراف بني إسرائيل الضالة، والمتتبع للأناجيل المتداولة بين النصارى يجد أن دعوته قـاصرة على الشعب اليهودي فقط، إن البشارة بمجيئـه قبل مـولده تشيـر إلى أن رعايتـه ستكون لشعب اليهود فقط، أي لبني إسرائيل.

١ ــ فقد ورد بإنجيل متى القول الذي يحكيه منسوباً إلى الله:

(وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغـرى بين رؤساء يهـوذا، لأن منك يخـرج مدبر يرعى شعبـي إسرائيل)[٢].

٢ ــ لما جاء الملاك بالبشارة إلى السيدة مـريم بولادة المسيـح أخبرهـا بأن رئـاسته تكون على بيت يعقوب، وهذا في قوله في إنجيل لوقا:

(فقـال لها المـلاك لا تخافي يـا مريم، لأنـك قد وجـدت نعمة عنـد الله، وها أنت

---

(١) كتاب رسالة إلى البابا بولس السـادس تأليف دكتـور عبد الـودود شلبـي بتصرف ــ تـوزيع مكتبـة دار الأنصار بعابدين بالقاهرة.

(٢) إنجيل متى: إصحاح ٢، عدد ٦.

ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)[1].

٣ ــ ولما بدأ يسوع في الدعوة إلى الإيمان برسالته أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل ولا تمتد إلى غيرهم لذلك نراه يقول في إنجيل متى:

(فأجاب وقال: لم أرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[2].

٤ ــ إن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود أي بني إسرائيل كرر لهم وصيته بأن يقصروا الدعوة على اليهود فقط، بل حذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود وهذا في قوله:

(هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[3].

ومما يؤيد ذلك ما يقرره الأستاذ مجدي مرجان:

(وقد كان نصرانياً من أقباط مصر وكان يعمل شماساً في إحدى الكنائس ثم اهتدى إلى الإسلام): أن المسيح عليه السلام لم يرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل طبقاً لما حكاه عنه متى في إنجيله[4].

ويؤكد ذلك ما يذكره الكاتب المسيحي وليم باتون:

(إن الذي يقرأ رسائل بولس يجد أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى المسيح عن عالمية المسيحية)[5].

ومع ذلك، فإن من يزعمون أنهم أتباعه تركوا تلك الخراف الإسرائيلية أو اليهودية وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين تساعدهم الثروة والمال ووسائل الحضارة الحديثة.

---

(١) إنجيل لوقا: إصحاح ١، عدد ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣.

(٢) إنجيل متى: إصحاح ١٥، عدد ٢٤.

(٣) إنجيل متى: إصحاح ١٠، عدد ٥، ٦.

(٤) كتاب (الله واحد أم ثالوث)، للأستاذ محمد مجدي مرجان.

(٥) كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمؤلف.

وبعد:

فالحق يقال أن أضغان الصليبية على الإسلام والمسلمين أعيت المداوين، وانتشر سوادها في الأولين والآخرين، وبَغْضاؤهم للإسلام لم تنقص بل ظلت في نماء، وسخطهم على أهله لا تزيده الليالي إلاَّ ضراماً وأجيالهم لا يتوارثون غير كراهية المسلمين والسطو على بلادهم، ولقد بلغ من كراهيتهم للإسلام وأهله حداً اتفقوا فيه مع اليهود، وهم كما قدمنا كانوا يرمون المسيح بالكذب والدجل، ويتهمونه بالسحر، ويقذفون أمه بالفاحشة، بل إنهم نزعوا حتى تاريخه من كتبهم، وإذا تصادف ذكره فلا يصفونه إلاَّ بصفة آثمة(١).

ورغم ذلك فقد ساعدوهم وأعانوهم على المسلمين، ومكنوا لهم في جزء عزيز من بلادهم وهي فلسطين، حتى استولوا على أرضها، وشردوا أهلها، وهدموا دورها وأقاموا بدلاً منها مستعمرات سكنها مهاجرو اليهود الحاقدين والمجلوبين لها من مختلف الجهات والأقطار.

مع أن **الإسلام** منذ أن أشرقت شمسه على هذه الدنيا خالف الجو الوثني في أمر المسيح عليه السلام إذ أعلن تقديره واحترامه له، فهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين إلى الله منزلة، كما نجاه الله من أعدائه اليهود، ولم يمكنهم منه عندما أرادوا الفتك به. وعن أمه السيدة مريم فهي صدِّيقة، والإيمان برسالة المسيح وبراءة أمه وطهرها جزء من إيمان المسلم، قال الله تعالى:

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾(٢).

ويقول جل شأنه فيما ينعيه على اليهود من وقوفهم موقف العداء من المسيح ودعوته:

---

(١) كتاب فضح التلمود (تعاليم الحاخاميين السرية) بقلم آي بي برانانتيس ـ سلسلة اليهود والعالم ١١ نشر دار النفائس ببيروت.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ٤٥، ٤٦.

﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾[1].

وقوله عن سلامته من القتل:

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾[2].

أما عن براءة أمه فذلك في قوله تعالى:

﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾[3].

وتاريخ الإسلام أنصع تاريخ على وجه الأرض، فلم يقم ألبتة على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم.

وما كان المسلمون ينتظرون ممن أحسنوا إليهم وعاملوهم بآداب الإسلام وسماحته أن يتربصوا بهم ويعينوا عليهم.

ولكن عزاؤنا أن حبل الباطل قصير، وأن المستقبل في هداية البشر هو للإسلام، لأنه النظام الوحيد الذي ارتضاه الله لعباده ديناً، قال تعالى:

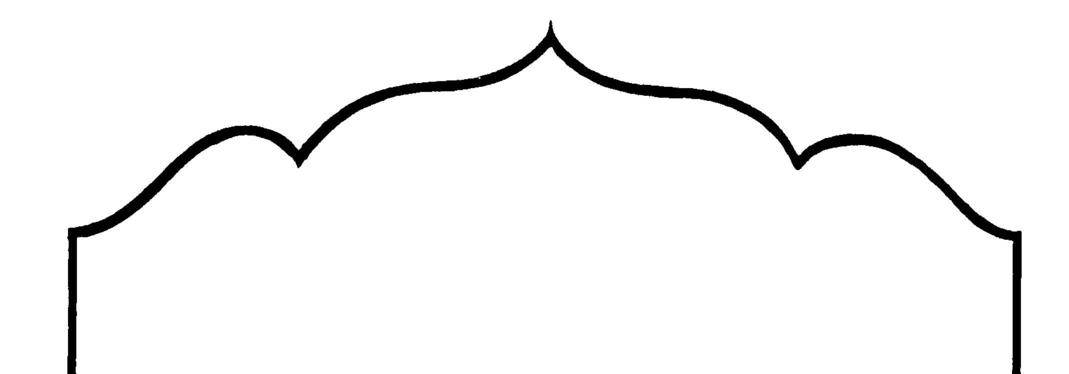
﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[4].

ولن يستطيع أعداء الإسلام إيقاف مسيرته وزحفه، مهما أرادوا وخططوا وتآمروا عليه وعلى المسلمين، وإن غداً لناظره قريب:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[5].



(١) سورة الصف: الآية ٦.
(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٥) سورة التوبة: الآية ٣٢.



الباب السّابع

(١) رسالة النصرانية هل هي دعوة إلى شعب اليهود أم دعوة عالمية.

(٢) أمور يجب التنبه إليها فيما أصاب النصرانية من انحـدار.

(٣) كنائس النصرانية ما هو السر في كراهيتها للإسلام وأهله.

(٤) أساس الرهبنة عند النصارى.

(٥) مـن عجائب أحـوال الرهـبان في المجتمـع الأوروبـي.

(١)

رسالة النصرانية هل هي
دعوة إلى شعب اليهود أم دعوة عالمية[١]

يزعم النصارى في زماننا المعاصر أن دعوة المسيح عليه السلام كانت دعوة عالمية، لذلك فهم يرسلون مبشريهم إلى مختلف أنحاء الأرض لنشر النصرانية، والهجوم على الديانات المستوطنة في تلك البلاد، خصوصاً الإسلام كما قال (غارونز) أحد أولئك المبشرين النصارى: (إنه وإن كان قد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي، لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير المسلمين).

لكن المتتبع لأناجيل النصارى ورسائلهم المقدسة، وهو ما تعارفوا على تسميته بالعهد الجديد من الكتاب المقدس، حتى يتميز عن العهد القديم المتضمن لتوراة اليهود وأسفار أنبيائهم قبل ظهور المسيح عليه السلام، يجد أن دعوة المسيح كانت قاصرة على شعب اليهود، والذي كان يطلق عليه سابقاً شعب بني إسرائيل، بل إن البشارة بمجيئه قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب إسرائيل فقط ولندلل على ذلك بالشواهد الآتية:

أولاً: ورد بإنجيل متى: إصحاح ٢، عدد ٦، قوله المنسوب إلى الله:

(وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل).

وورد بإنجيل لوقا: إصحاح ١، عدد ٣٠، ٣١، ٣٣، القول المنسوب إلى المَلَك

---

(١) نشر بمجلة الوعي الإسلامي السنة السادسة عشرة ـ العدد ١٨٧ رجب سنة ١٤٠٠هـ مايو سنة ١٩٨٠م.

مُوَجَّهاً منه إلى السيدة مريم يبشرها بولادة المسيح، ويخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب، وهو الذي كان يدعى بإسرائيل:

(فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً تسميه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإلّه كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد).

ثانياً: ولما ابتدأ المسيح في القيام بالدعوة إلى الإيمان برسالته أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل، ولا تمتد إلى غيرهم لذلك نراه يعلن طبقاً لما هو وارد عنه في إنجيل متى: إصحاح ١٥، عدد ٢٤:

(فأجاب وقال: لم أرسل إلاَّ إلى خراف بني إسرائيل الضالة).

كما ورد نفس ذلك المعنى في إنجيل برنابا إذ يقول:

(وقد أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء) [إنجيل برنابا: إصحاح ٥٢، عدد ١٣].

ولقد نبه المسيح عليه السلام إلى مقدار احترامه لشريعة التوراة، وأنه ما جاء إلاَّ ليكملها لا لينقضها، فتراه يقول كما يحكي عنه إنجيل لوقا: في الإصحاح ١٥، عدد ١٧:

(ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس).

وشبيه بذلك ما هو وارد عنه بإنجيل متى في الإصحاح ٥، عدد ١٧، قوله:

(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل).

وقد ذكر إنجيل يوحنا في الإصحاح الأول، عدد ١١، أن المسيح ما جاء إلاَّ إلى خاصته وما خاصته إلاَّ شعب اليهودية أُنظر إليه في قوله:

(إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله).

ولفظ الناموس تعني كتاب التوراة.

ثالثاً: وقد اختار المسيح عليه السلام اثني عشر شخصاً ممن آمنوا برسالته ليكونوا تلاميذه وأحباءه ومساعديه في نشر دعوته، وكان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم، وينقل ذلك إنجيل متى في محاورة بين السيد المسيح وبين أحد تلاميذه وهو بطرس بالإصحاح

١٩ عدد ٢٧ ، ٢٨ فتراه يقول: (فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء فتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: (الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، ومتى جلس ابن الإنسان ـ ويقصد المسيح نفسه بذلك ـ على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر).

ففي هذا النص يقول لهم المسيح عليه السلام إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط، ولم يقل لهم إنهم يدينون شعوب الدنيا، وفي هذا إشارة إلى أن رسالته ودعوة تلاميذه من بعده قاصرة على شعب اليهود، والمنسوب إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر.

رابعاً: إن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه السابق الإشارة إليهم لينشروا دعوته إلى اليهود كرر لهم وصيته بأن يقصروا الدعوة على اليهود، بل حذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود طبقاً لما هو وارد عنه في إنجيل متى إصحاح ١٠، عدد ٥، ٦ في قوله:

(وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة).

خامساً: أشار المسيح عليه السلام عند قيامه بإحدى معجزاته بأنها قاصرة على شعب اليهود دون أن يكون منها شيء للشعوب الأخرى، ويذكر ذلك إنجيل متى في مناقشة بين امرأة كنعانية وبينه، وذلك بالإصحاح ١٥، من عدد ٢١ إلى عدد ٢٨، في قوله:

(ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال: لم أرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعنّي، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب، فقالت: نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها، وحينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة، عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين، فشفيت ابنتها من تلك الساعة).

سادساً: وحتى عندما رفضت أورشليم رسالة المسيح خاطبها بكلام يستفاد منه أن

رسالته قاصرة على شعب اليهود الذي كان يعيش في القدس وقتئذٍ حيث كانت تسمى أورشليم، وقد ورد ذلك في إنجيل يوحنا: بالإصحاح ٢٣، عدد ٣٧، في قوله:

(يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا).

سابعاً: وبعد ذهاب المسيح عليه السلام عن هذا العالم يؤكد خليفته بطرس أن يسوع المسيح ما جاء إلَّا لخلاص اليهود وغفران خطاياهم، وقد ورد ما يشير إلى ذلك في سفر أعمال الرسل في الإصحاح العاشر، عدد ٣٦، قوله:

(الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح).

إذاً كيف تستقيم النصوص السابقة مع ما يقوم به مبشرو النصرانية من الدعوة لعقيدتهم بين الأمم؟

إن جماع ما يحتج به أولئك المبشرون النصارى، ما ورد بنهاية إنجيل متى في آخر الإصحاح ٣٨، عدد ١٨، ١٩ ٢٠، قوله:

(فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دُفع إليَّ كل سلطان في السماء على الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به).

والرد على ذلك سهل يسير طبقاً للآتي:

١ ـ إن هذه الوصية خصوصاً عبارة (تلمذوا جميع الأمم) لم ترد عنه وقت حياته كلها التي عاشها على الأرض، ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه وقتئذٍ، وإذا سلمنا صدورها منه بعد قتله وصلبه (على حد زعمهم) فتكون من قبيل الرؤى والأحلام أو الأوهام، ولا يسوغ أن تنبني عليها الشرائع والأحكام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان كلية إلى تلك العبارات المنسوب صدورها إلى السيد المسيح عليه السلام.

٢ ـ تتضمن هذه الفقرات عبارات التثليث وهي اسم الآب والابن والروح القدس فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر في عقيدة النصارى إلَّا في نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بموجب قرارات مجمع نيقية الذي تم عقده سنة ٣٢٥م بأمر قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية. أما ألوهية روح القدس فلم تتقرر هي

الأخرى إلَّا في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية الأمر الذي يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى الإنجيل المذكور خصوصاً وأنها تناقض تعاليم المسيح التي ذكرها لتلاميذه وحوارييه حال حياته (قبل صلبه وقتله على حد قولهم).

٣ ــ إن الأب عبد الأحد داود الآشوري مطران بلدة نصيبين من أعمال العراق في القرن الماضي يقرر في أبحاثه التي ضمَّنها كتابه (الإنجيل والصليب) أنه لا يتصور أنَّ نبياً عظيماً كالمسيح عليه السلام يتكلم بكلام يكذب بعضه بعضاً، فإن من يقول: لم أرسل إلَّا لبني إسرائيل فقط، لا يقول: أنا نور العالم أو يقول اذهبوا وتلمذوا العالم أجمع، والعبارات الأولى هي الحرية بالاعتماد عليها، وأما المخالفة فهي إلحاقية يجب طيّها.

٤ ــ ولقد أقر كُتَّاب النصارى في العصر الحاضر أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يقولوا بعالمية النصرانية، وأن بولس هو أول من ابتدع القول بتلك العالمية، وأفاض في شرحها في رسائله، والمطلع على تلك الرسائل يتضح له أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى المسيح تشير إلى عالمية النصرانية، إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره دون أن يبرهن على دعواه بأي دليل، لذلك نرى أحد كتابهم مثل (وين إنج) يقول: إن المسيح كان نبياً لمعاصريه من اليهود، ولم يحاول قط أن ينشىء فرعاً خاصاً به من بين هؤلاء المعاصرين أو ينشىء له كنيسة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم.

٥ ــ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حواريّي المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل النصرانية ديناً لليهود، وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل.

القرآن الكريم يأتي بالقول الفصل في رسالة المسيح عليه السلام:

ذكر القرآن الكريم في محكم آياته أن رسالة المسيح كانت رسالة خاصة إلى قومه من بني إسرائيل طبقاً للنصوص الآتية:

قال تعالى:

١ ــ ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن

مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر! قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ [سورة آل عمران: الآيات ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩].

فهنا نجد تعبير القرآن الكريم بقوله: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾، للإيذان بخصوص بعثة المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل فقط وليس للأمم الأخرى.

٢ ــ وقال تعالى فيما يحكيه عن المسيح عليه السلام:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

فهذه الآية تؤكد في معناها ما ورد بالآية السابقة في أن رسالة المسيح هي لبني إسرائيل خاصة.

يستخلص مما سبق:

أنه لا شأن لرسالة المسيح عليه السلام بأي شعب من شعوب الأرض (خلا اليهود)، فلا علاقة بينها وبين تلك الأمم، لأن رسالته لم تأت إلَّا لبني إسرائيل، ولم تخاطب أحداً سواهم، لهذا فلم يكن من حق أحد غير اليهود اعتناق تلك الرسالة منذ وقت ظهورها.

الإسلام وحده هو الرسالة العالمية:

ولمَّا أشرقت على الدنيا شمس الإسلام كان هو العقيدة العامة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة، وكانت رسالة النبي محمد ﷺ هي الرسالة العامة لا يشاركه فيها أحد سواه، فرسالته ﷺ عامة إلى جميع البشر مهما اختلفت أقطارهم وتناءت ديارهم.

قال تعالى:

١ ــ ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨].

٢ ــ ﴿وما أرسلناك إلَّا كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾ [سورة سبأ: الآية ٢٨]. ويقول النبي ﷺ: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة».

ولهذا كتب الرسول ﷺ إلى سائر الملوك والأمراء في عهده، فقد أرسل إلى هرقل إمبراطور الروم وإلى كسرى ملك الفرس وإلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ونجاشي الحبشة وإلى سائر أمراء العرب يدعوهم إلى الإسلام.

وكما أن رسالته ﷺ عامة في المكان، فهي أيضاً عامة في الزمان، لأنه ﷺ خاتم النبيين والمرسلين. قال تعالى:

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٤٠].

لذلك فإن واجب أولي الأمر في الأمة الإسلامية العمل بجدية وإخلاص في تبليغ الدعوة الإسلامية إلى جميع شعوب الأرض، والقيام بأمرها حتى تقوم الساعة، مهما كانت العقبات، ودون التفات إلى تآمر الأعداء، فمهما تآمروا فكيدهم ضعيف، والغلبة دائماً للحق، ولو بعد حين، لأن الإسلام دين الحق والله هو الحق، وما كان له أو منه فهو حق، وذلك تحقيق لأهداف الإسلام التي أوجزها الصحابي الجليل رِبْعي بن عامر عندما تقابل مع يزدجرد الزعيم الفارسي سائلاً له عن سبب مجيء المسلمين بجيوشهم لبلاد الفرس فقال له:

(إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام).

قال تعالى:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [سورة الصف: الآية ٩].



(٢)

أمور يجب التنبّـه إليها
فيما أصاب النصرانية من انحدار

«إن كثرة اللغات التي حررت بها أناجيل النصارى وبشر بها دعاة النصرانية كانت من الأسباب التي أدت إلى انحدار النصرانية، وهذه اللغات هي اللغة الفرتية، واللغة العيلامية، واللغة الآرامية، واللغة السامرية، واللغة الكيدوكية، واللغة العبرانية، واللغة القبطية، واللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى، فقد استغل دعاتها غير المقصود بتلك اللغات لكي يصلوا به إلى غرضهم ومقصودهم.

٢ ــ ففي تلك اللغات كلمات نقلت بنفس نطقها إلى اللغات التي ترجمت إليها أناجيل النصارى مما ساعد المستغلين على تحريف بعض الشكل أو النطق فيها للتدليل على صدق مزاعمهم التي يدعون الناس إليها.

٣ ــ من هذه الكلمات كلمتان كان لهما جانب كبير في التلبيس على الناس بألوهية المسيح وبنوته لله، وهاتان الكلمتان هما: (آب)، (ربـي).

(أ) فكلمة (آب) بمد الهمز لفظ عبراني تعني (الله) أو فاطر وهو المبدع بدون مثال سابق، فلما نقلت إلى اللغة العربية بنطقها ورسمها دون معناها أصبح مفهومها (أب) أي والد.

(ب) والكلمة الثانية (رِبـي) بكسر الراء، وهو لفظ آرامي وتعني (معلِّم)، فلما نقلت إلى اللغة العربية بنطقها ورسمها دون معناها أصبح مفهومها (رَبـي) بفتح الراء أي إلَهي.

ويمكن التدليل على ذلك بالنصوص الآتية:

١ ــ أن المسيح عليه السلام كان يأمر تلاميذه وأتباعه أن يتجهوا إلى رب السماء

والأرض بالصلاة والدعاء إليه وحده، ويشير إلى ذلك إنجيل متى في قوله عن المسيح وهو يعلم تلاميذه الصلاة هكذا فصلوا:

(أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض)[1].

فأبانا في النص السابق لفظ عبراني تعني إلّهنا لأن كلمة (آب) معناها (الله أو فاطر) كما قدمنا[2]، ولا يوجد في تعاليم المسيح أو في الوسائل التي اتخذها لدعوته أكثر من تلك الوسائل التي اتخذها الأنبياء والمرسلون من قبله أو من بعده، فقد أوذي من قومه وهاجر من بلده كما كان الأنبياء من قبل يهاجرون من بلادهم ويطردون من ديارهم.

ولذلك نجده يصف نفسه بأنه نبي، وأنه في سبيل دعوته لا بد من إيذائه، وتشريده من قومه وقال في صراحة: إنه (ابن الإنسان)، وهذا واضح في إنجيل متى في قوله (للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه)[3].

ومما يؤكد إنسانية المسيح شهادة تلاميذه له، فهذا القديس بطرس وهو أحد تلاميذ المسيح يقف وسط جموع محتشدة يسمعهم دعوته بعد ذهاب المسيح عن العالم، فيقول: إن المسيح رجل أرسله الله، وهذا ما ورد صراحة في سفر أعمال الرسل في قوله:

(أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون)[4].

ويقص إنجيل يوحنا ما ذكرته مرتا أخت لعازر الذي أحياه الله على يد المسيح في قوله:

(لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه)[5].

---

(١) إنجيل متى الإصحاح السادس عدد ٩ ــ ١٣.

(٢) كتاب الإنجيل والصليب تأليف الراهب الأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي.

(٣) إنجيل متى الإصحاح الثامن عدد ٢٠.

(٤) سفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني عدد ٣٣.

(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي عشر عدد ٢٢.

وهذا النص إن دلَّ فإنما يدل على أن الأوائل من أتباع المسيح كانوا يؤمنون بأن المسيح يستمد القوة من الله لصنع المعجزات لنبوته، وليس من نفسه دون معونة الله، لذلك نجد المسيح في نفس الإنجيل والإصحاح المذكور يشكر الله تعالى في قوله:

(أيها الرب أشكرك لأنك سمعت لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني)[1].

٢ ـ أما عن كلمة (رِبي) فقد ورد عنها في إنجيل يوحنا ما يشير إلى معناها الصحيح وذلك في قوله:

(فسمعه التلميذان يتكلم، فتبعا يسوع، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان، فقال: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربي. الذي تفسيره يا معلم أين تمكث)[2].

والنتيجة من كل ما تقدم أن المسيح لم يكن إلّهاً ولم يدَّعِ في يوم من الأيام أنه إلّه، بل دعا إلى عبادة الله الذي أرسله نبياً ورسولاً إلى قومه، كما دعا إلى توحيد الله لا الإشراك به، وأنه جاء بناموس أي بكتاب يكمل ناموس موسى وأنبياء بني إسرائيل السابقين عليه، ولذلك جعله الله آية في ولادته ومعجزة في خلقة وروحانياً في رسالته.

وصدق الله العظيم إذ يقول في قرآنه الكريم فيما يحكيه عنه:

﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[3].



---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي عشر عدد ٤١ ـ ٤٢.
(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول عدد ٣٧، ٣٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٣)

كنائس النصرانية

ما هو السر في كراهيتها للإسلام وأهله؟

رتبت كنائس النصرانية أعداءها الألداء، فكان الإسلام أول أولئك الأعداء ويا للأسف بل ويا للعجب.

ففي سبيل القضاء عليه حالفت المجوسية ولو كانت كفراً بالله.

وفي سبيل القضاء عليه حالفت اليهودية ولو كانت تحقِّر المسيح.

وفي سبيل القضاء عليه حالفت الإباحية، تلك الإباحية التي جعلت الأعراض كلها مباحاً تركتها تنتشر في الغرب ثم تنتقل بعد ذلك إلى الشرق الإسلامي.

موقف صليبية الأمس من الإسلام:

تحالفت طوائف الصليبية التاريخية في القرون الوسطى وتكتلت أوروبا النصرانية وراءها تستظل بمظلة المسيحية، وتنفخ فيها الكنيسة الحاقدة على الإسلام بهدف الاستيلاء على بيت المقدس، وطرد المسلمين من منطقة الشرق الأدنى باعتبار أنهم في نظرها يمثلون قوة الشر والكفر في عالم الأمس، وقد أفلح المسلمون وقتئذ في محاربتهم والانتصار عليهم ثم طردهم من منطقة الشرق الأدنى وإن كان ذلك قد استغرق عدة أجيال.

صليبية اليوم وموقفها من الإسلام:

منذ الحرب العالمية ظهر تكتل بين الشرق والغرب تباركه القوى العظمى وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي لطرد الإسلام من مناطق استقراره في آسيا وأفريقيا، إذ مع وجود الإسلام على أرض المسلمين في هاتين القارتين لا تبقى قوة عظمى

لها نفوذ تمارسه في توجيه المسلمين هنا وهناك اقتصادياً أو اجتماعياً أو استراتيجياً.

لذلك فهما رغم تنافسهما الواضح في السياسة والاقتصاد والتطور الصناعي والعلاقات الاجتماعية إلا أن مجال اتفاقهما ظاهر أيضاً في إبعاد الإسلام عن أرض المسلمين، أو إضعافه على الأقل إلى الحد الذي يسمح بأن يكون ما بين أيدي المسلمين من ثروات ضخمة، وما لهم من طاقات بشرية كبيرة، وما لأوطانهم من أهمية استراتيجية عالمية خاضعاً لنفوذ هذه الدولة أو تلك.

ونفوذ الصليبية الحديثة على المجتمعات الإسلامية المعاصرة تمارسه غير عابئة إطلاقاً بما يخلفه من أثر على شعور المسلمين عامة؛ مثاله:

١ ـ ذبح المسلمين بالمئات والآلاف في جزيرة زنجبار وقت أن استولت عليها وضمتها إليها حكومة تنجانيقا وعلى رأس حكومتها جوليوس نيريري ذلك الكاهن الصليبي المتعصب[١].

٢ ـ وقتل العلماء وأئمة المساجد في عدن باليمن الجنوبي ومقديشو عاصمة الصومال عندما تسلط الشيوعيون والماركسيون على الحكم، وقبل ذلك فعلت فرنسا تلك الجريمة، عندما احتلت إقليم تشاد فقد قتلت أئمتها وعلماء الإسلام بها.

٣ ـ ثم هجوم الاتحاد السوفياتي على شعب أفغانستان والعمل على إبادته بالغارات الجوية، وإهلاكه بتجربة جميع أنواع الأسلحة الفتاكة وحتى تلك المحرمة دولياً، كالغازات الخانقة والقنابل الفسفورية وضرب القرى الآمنة وإحراق الحقول والمزروعات حتى يهلك الشعب جوعاً.

٤ ـ إشعال الفتن مما أدى إلى الحرب بين العراق وإيران والقضاء على شباب هاتين الأمتين وإفقارهما، بعد أن كانا من أغنى شعوب منطقة الشرق الأوسط، تلك الحرب التي استمرت ثماني سنوات.

رجعة إلى التاريخ:

ولقد أثبت التاريخ حقيقة رائعة أن النصرانية واليهودية تستطيع أن تعيش في ظل

---

(١) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، تأليف الشيخ محمد الغزالي.

الإسلام معيشة طيبة إذا حكم، لكن كلتا الديانتين إذا حكمت لا تسمح للإسلام أن يعيش في ظلها، وتلك علة بقاء الأقليات الدينية في المشرق الإسلامي، وفناؤها في أوروبا النصرانية. وقد مضت قرون طوال على انفراد الإسلام بالسلطة المطلقة في العالم أجمع لو شاء المسلمون خلالها أن يبيدوا خصومهم لفعلوا، لكن الذي حدث أن المسلمين كفلوا الحياة لخصومهم ودافعوا عنهم كما يدافعون عن دمائهم وأموالهم.

ففي مصر عندما دخلها المسلمون فاتحين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وطردوا منها المستعمرين الرومان لم يصادر المسلمون ممتلكات الكنيسة، ولم يقترفوا أعمال النهب والسلب والسرقة ضد الأقباط النصارى، بل إن عمرو بن العاص والي مصر وقتئذ أعاد من المنفى بطريرك الأقباط (بنيامين) بعد اختفائه من اضطهاد الرومان المسيحيين (أي النصارى) الذي دام ثلاث عشرة سنة، ولم تكن هناك أي محاولة من المسلمين الحاكمين للاضطهاد أو الضغط على الأقباط النصارى ليعتنقوا الإسلام.

فلما انتقل زمام القوة من أيدي المسلمين، تحيّن اليهود والنصارى كل فرصة للإيقاع بهم مما أدى إلى أن استؤصل المسلمون من بقاع شتى في أنحاء العالم، وحتى في أثيوبيا (بلاد الحبشة فيما سبق) كان حكامها المسلمون قد سمحوا فيما سبق ببقاء النصارى فيها، فلما تحولت إلى دولة صليبية أصبح همها وهدفها إفناء الإسلام وأهله، مع أن نصارى الحبشة هم القلة الحاكمة ومسلموها هم الكثرة المحكومة[1].

١ ــ إن ما يهيج كنائس النصارى على الإسلام أنه يلفت الأنظار بقوة إلى ما في مبادىء التثليث والفداء من تناقض.

٢ ــ ولقد اتفقت الحضارة المادية الحاكمة في بلاد الغرب الصليبي والكنائس النصرانية هناك على أن مصلحتها في القضاء على الإسلام وإظلام حاضره ومستقبله.

٣ ــ ولقد رأتا أن الطريقة المثلى لتحقيق مآربهما هي إفساد التعليم في بلاد الإسلام، وذلك بإقصاء الدين عنه وتخصيص دروس تافهة لدراسته، وبذلك يتخرج المهندس الكبير والطب الكبير والصيدلي الكبير والضابط الكبير وغيرهم من حملة الشهادات العليا، وكل واحد منهم لا يفهم من دينه حرفاً، بل لعلهم أفسدوا عقيدته مما

---

(١) كتاب «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام».

جعله زاهداً فيها، وبذلك يتم الارتداد عن الإسلام في صمت وأمان، ويصل الصليبيون الجدد إلى ما عجز أجدادهم عن الاقتراب منه في العصور الوسطى بعد حروب دامت أجيالاً.

٤ ـ ومن آثار هذا الارتداد أن ترى موجة عاتية من الجهل بأحكام الإسلام، قد عمت قلوب الناشئة فشوهت عقائدهم وتقاليدهم، ومسخت أخلاقهم وأفكارهم، وأصبحت المبادىء الفاسدة والأخلاق المرذولة تسود حياة شعوب المسلمين، وتقهقرت المثل العليا، وكادت موازين الأخلاق الكريمة والآداب الرفيعة تنهار في مجتمعات المسلمين.

ومن صور هذا الانهيار:

١ ـ هذا التبرج الذي وصل إلى حد العري.

٢ ـ تلك الميوعة التي شاعت في المعاملة وانعدام الأمانة والصدق بين المتعاملين.

٣ ـ شيوع الربا في المجتمعات الإسلامية وإن كانت أخيراً البنوك الإسلامية بدأت في إثبات وجودها وذاتيتها بداية طيبة، لكن لا بد من الوقوف بجانبها وحمايتها من مؤامرات البنوك الربوية، وممن يقف خلفها من طغاة الصليبية واليهودية.

٤ ـ طغيان المادة في الحياة حتى إن كل شيء أصبح يوزن بميزانها.

٥ ـ إعراض الناشئة عن عبادة الله مع أن الضمائر لا يوقظها ولا يهذبها إلا خوف الله والتعود على عبادته وتقواه.



(٤)

أساس الرهبنة عند النصارى

الرهبنة وماذا تعني:

قدمنا في بعض كتبنا السابقة ما يشير إلى شعيرة الرهبنة في النصرانية ومدى أهميتها لدى النصارى، والرهبنة عندهم تعني الابتعاد عن ضجيج الحياة والحرمان من لذيذ العيش، وتعذيب الجسم بالجوع والعطش، ولبس خشن الثياب والتبتل وعدم الزواج، والعكوف على العبادة تمثلاً بالمسيح الذي بذل نفسه للدعوة من أجل البشر[١].

المراحل التي مرت بها الرهبنة:

كانت أصلاً هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقُرى الزاخرة بالأدناس، وانطلاقاً في الصحاري والبراري ولجوءاً إلى الكهوف بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل مع المحافظة على الوحدة والتفرد، وقد تكون بقصد الهروب من الاضطهاد على المؤمنين بالمسيح، وبمرور الزمن كثر عدد الراغبين في الترهبن، ثم مالوا إلى نوع من الاجتماع والمعاشرة بعد أن تعرض بعضهم إلى عدوان اللصوص والمجرمين فبنوا لهم صوامع متجاورة.

ثم انتهى بهم الأمر إلى بناء أسوار عالية تضم بداخلها عدداً من الصوامع، فنشأ عن ذلك ما يسمى بالدير، وكثرت بعد ذلك الأديار وانتشرت هنا وهناك.

---

(١) كتاب مقارنة الأديان: المسيحية للدكتور أحمد شلبي وكتاب: النصرانية والإسلام لمؤلف هذا الكتاب.

وفي اعتقاد النصارى أنهم بسلوكهم في الرهبنة يقتدون بالمسيح في زهده وفي احتماله للآلام، أما اللجوء إلى الجبال والبراري فتمشياً مع ما كان المسيح يفعله في صعوده إلى الجبل حين يريد أن يصلي، أو يعلم الجموع التي كانت تتبعه، وتشبهاً أيضاً بسلوك النبي يحيى عليه السلام، والذي يدعونه يوحنا المعمدان، فقد كان يعيش في البرية ويلقي مواعظه فيها.

أساس الرهبنة العقدي:

أساس القول الذي ينسبونه إلى المسيح عليه السلام في إنجيل متى: (يوجد خصيان ولدوا هكذا، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يحتمل فليحتمل)[1].

وهناك وجه تشبيه بين هذه الرهبنة وبين ما يوجد في البرهمية وفي الجينية (وهما من ديانات الهند الرئيسية) من أحكام الزهد والحرمان التي تعتبر عند هذه الطائفة الطريق المفتوح للنقاء[2].



(١) إنجيل متى: الإصحاح ١٩ عدد ١١ ــ ١٣.

(٢) كتاب أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي.

(٥)

من عجائب أحوال الرهبان في المجتمع الأوروبي

يقول العلامة الأوروبي ليسكي في أحد مؤلفاته[١] عن الرهبانية التي ظهرت على مسرح الحياة في أوروبا بعد اعتناق حكام الدولة الرومانية لنحلة النصرانية: هذه الرهبانية لعلها كانت شراً على الإنسانية والمدنية من بهيمية روما الوثنية طبقاً لما يلي:

١ ـ زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس، فقد كان يجتمع أيام عيد الفصح خمسون ألفاً من هؤلاء الرهبان.

٢ ـ في القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على خمسة آلاف راهب، بل كان الراهب (سرابين) يرأس عشرة آلاف منهم، وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر مع ملاحظة أن عدد أهل مصر كان وقتئذ لا يقل عن عشرة ملايين نسمة.

٣ ـ حدثوا عن الراهب (كاربوس) أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص الذباب السام جسمه العاري، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من الحديد.

٤ ـ وكان الراهب (يوسيبيس) يحمل نحو قنطارين من الحديد وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح.

٥ ـ وقد تعبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة.

٦ ـ وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام.

---

(١) هذا المؤلَّف يسمى كتاب أخلاق أوروبا، للعلامة ليسكي.

٧ ــ وكان كثير من الرهبان يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ويأكلون الكلأ والحشيش.

٨ ــ وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون من غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأنقاهم أبعدهم عن الطهارة، وأوغلهم في النجاسات والدنس.

(أ) يقول الراهب (أتهينس): إن زميله الراهب (أنتوني) لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره.

(ب) وكان الراهب (أبراهام) لا يمس وجهه ولا رجله بالماء واستمر على ذلك مدة خمسين سنة.

(ج) وقال الراهب الاسكندري بعد زمن متلهفاً: (لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات).

مهزلة بل مآسي الرهبان في خطف الأطفال:

١ ــ كان من عادة الرهبان أنهم يتجولون في البلاد، ويخطفون الأطفال ويهربون بهم إلى الصحراء وإلى الأديرة.

٢ ــ بل كان بعضهم ينتزع الصبيان من حجور أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً، والجمهور والدهماء يؤيدونهم، ويحبذون الذين يهجرون آباءهم وأمهاتهم، ويختارون الرهبانية ويهتفون باسمهم.

٣ ــ ولقد اشتهر بعض كبار الرهبان في التاريخ النصراني بالمهارة في تهريب الأطفال، حتى روي أن الأمهات يخفين أولادهن في البيوت إذا رأين الراهب أمبروز.

٤ ــ وبذلك أصبح الآباء والأولياء لا يملكون من أمور أولادهم شيئاً وانتقل نفوذهم وولايتهم إلى الرهبان والقسس.

تأثير الرهبانية في أخلاق الأوروبيين:

١ ــ كانت نتيجة تلك الرهبانية أن أخلاق الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل، عادت فاستحالت عيوباً ورذائل.

٢ ــ وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها.

٣ ــ وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم حياة الأسرة وعم الكنود والقسوة على الأقارب.

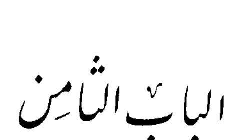
٤ ــ وكان الرهبان الذين يزعمون أن قلوبهم تفيض حناناً وعيونهم تذرف الدمع رحمة تقسو قلوبهم وتتجمد عيونهم على آباء الأولاد المخطوفين وأمهاتهم، فيجعلون الأمهات ثكالى والأزواج أيامى والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس ويتوجهون قاصدين الصحراء همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون ماتوا أم عاشوا.

معاملة الرهبان للنساء:

كان الرهبان يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق العام، والتحدث إليهن ولو كن أمهات أو زوجات أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية[1].



(١) كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، تأليف السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي.



(١) عقيدة التوحيد تنبت من جديد في مجتمعات التثليث النصرانية.

(٢) مبادىء الفكر التوحيدي في مجتمعات النصرانية.

(٣) بيان عن بعض الموحدين من النصارى وأوطانهم.

(٤) نصرانية الفاتيكان تعترف بخطئها في فهم الإسلام.

(٥) رجال الدين في أوروبا الآن يرفضون القول بألوهية المسيح.

(١)

عقيدة التوحيد

تنبت من جديد في مجتمعات التثليث النصرانية

١ ــ تقول دائرة المعارف الأمريكية: (تظهر بداية التوحيد كعقيدة محددة بعد نصف قرن من الإصلاح الديني البروتستانتي. . .).

إن (أرازموس) حين طبع العهد الجديد الإغريقي ونشره عام ١٥١٦م حذف منه أقوى نص للتثليث، كما في رسالة يوحنا الأولى في الإصحاح الخامس، عدد ٧ في قوله:

(فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم، والثلاثة هم في الواحد).

٢ ــ أشار **لوثر** زعيم البروتستانت إلى أن التثليث تعبير يفتقد القوة وأنه لم يوجد في الأسفار.

٣ ــ وإن **كالفن** الزعيم الثاني للبروتستانت رفض قانون الإيمان الذي أصدره أثناسيوس وجعل بدلاً منه قانون الرسل والوصايا العشر والصلاة الربانية أساس كتاب (خلاصة العقيدة) الذي صدر في جنيف عام ١٥١٤، ومن النادر جداً أن تجد ذكراً للثالوث في هذا الكتاب، ولو كان لعقيدة الثالوث أهمية كبيرة لكان **كالفن** قد ركز عليها.

٤ ــ **ميشيل سيرفيتوس** وهو إسباني الجنسية، انتهى في أبحاثه بالكتاب المقدس إلى أن الكنيسة الكاثوليكية على خطأ في أمور كثيرة، أخطرها عقيدة التثليث، لأنه لا يوجد لها أي أساس في الكتاب المقدس، مع أن هذا الكتاب هو الذي أعطى الأسس

الحقيقية للاعتقاد، وأفكار الثالوث والجوهر وما إلى ذلك إنما هي اختراعات فلسفية لا تعرف عنها الأسفار شيئاً[1].

بل إنه كان يقول: إن مجمع نيقية المسكوني جانبه الصواب بتقرير عقيدة التثليث سنة ٣٢٥م، إذ كان المفروض أن يقرر عقيدة التوحيد فهي وحدها العقيدة السليمة التي كان عليه واجب إقرارها.

ولقد حاول ميشيل سيرفيتوس جاهداً أن يقنع كبار علماء اللاهوت في أوروبا خصوصاً علماء البروتستنت أن يبنوا عقيدة البروتستنت الجديدة على أساس التوحيد لكن لم يستمع إليه منهم أحد.

وثارت ثائرتهم عليه واتهموه بالكفر، واشترك في هذا الاتهام ضده الكاثوليك والبروتستنت على السواء، ولقد نشر في سنة ١٥٣١ وما بعدها عدة مؤلفات كان من ضمنها الكتب الآتية في إثبات عقيدة التوحيد:

١ ـ كتاب غلطة التثليث.

٢ ـ رسالة عنوانها محاورات في التثليث.

٣ ـ كتاب المسيحية الجديدة، وقد جعل أساسها التوحيد وقام بنشره سنة ١٥٥٣م دون أن يظهر في طبعته ما يدل على اسم الناشر ولا مكان الطبع، كما أنه لم يحوِ من اسم المؤلف إلَّا الحروف الثلاثة M S V رمزاً إلى اسمه (ميشل سرفيه دي ڤينتوف)، وهذه الطبعة الأولى لم يتبقَّ منها في وقتنا الحالي إلَّا ثلاث نسخ: واحدة بمكتبة ڤيينا والثانية بباريس والثالثة بأدنبرة.

وقد دبر أنصار عقيدة التثليث وعلى رأسهم (كالڤن) مؤامرة للقبض عليه في مدينة جنيف، حيث حوكم أمام مجلس مدينته في ٢٦ أكتوبر سنة ١٥٥٣ فحكم عليه بالإعدام حرقاً، وحدد للتنفيذ اليوم التالي على ربوة شاميل بجنيف في سويسرا.

وفي يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٥٥٣ حاول كالفن وهو أحد مؤسسي البروتستنتية أن ينتزع من (ميشيل سيرفيتس) اعترافاً منه بأنه كان على باطل، وبأن كالفن هو صاحب العقيدة

---

(١) كتاب طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب.

السليمـة، لكنه رفض أن يصـدر منه مثـل هذا الاعتـراف مفضلاً أن يلقى ربـه بقلب سليم ممتلىء بعقيدة التوحيد.

هذا وقد تم تنفيـذ حكم الإعدام حـرقاً على ميشيـل سرفيتس، لكن ذلـك لم يَقْضِ على بـذرة التوحيـد، بل أثمـرت بعد ذلـك فيما يسمى بـاسم (الكنيسـة المـوحـدة) وتلك الكنيسـة استقلت بعقيدتهـا وأتباعهـا في إنجلترا والـولايـات المتحـدة، وهم ينـظرون إلى ميشيـل سـرفيتس نــظرتهم إلى رائـد عــظيم، ويعتبـرونــه من مؤسسي كنيستهم ومنشىء مذهبهم[1].



(١) مجلة العربـي الكويتية.

(٢)
مبادىء الفكر التوحيدي
في مجـتمعات النصرانيـة

تذكر دائرة المعارف الأمريكية مجموعة من المبادىء يقوم عليها الفكر التوحيدي في النصرانية هي:

١ ـــ إن عقيدة التوحيد لن تقبل أي معتقد لمجرد أنه صدر عن شخصية عظيمـة في التاريخ، أو أنه وجد في كتاب قيل إنه مقدس، إنها تبجِّل فكر يسوع النـاصري، وتعتـرف بعظمة حكمته، لكنها تنكر أن يسوع كان معصوماً من الخطأ.

٢ ـــ إن كنيسة الموحدين تعتبر الكتاب المقدس تسجيلاً قيماً للخبـرات الإنسانيـة، وهي تصر على أن كاتبيها كانوا معرَّضين للخطأ، ولهذا السبب فإن أغلب الأجزاء الـرئيسية للمعتقدات المسيحية قد رفضت.

٣ ـــ إن الموحدين يعتقدون أن العقيدة الدينية مليئة بالحـركة، وهي وسيلة للتعـامل مـع المسائـل التي تختص بالـوجود الإنسـاني كله، وأن التعليم اللاهـوتي الـذي لا يمس الحياة في أي نقطة يفتقد قيمته الدينية.

٤ ـــ إن الفرق التاريخي بين التوحيد والتثليث يأتي من حقيقة أن المـوحدين طـالما كانوا يؤمنون بوجود إلّه واحد، فإنهم يعتقدون أن الله أقنوم واحد بدلاً من ثلاثة أقانيم.

وفي سنة ١٨١٩ يعلن العلامة شانينج (أن الثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر وبالتالي ثـلاثة آلهـة)، ثم أضاف قـوله: (إن الأسفـار لم تعطِ أي مستند لـلاعتقاد في التثليث، إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد لأي قيمة دينية أو علمية).

٥ ـــ لقد قدمت اعتـراضات قـوية ضـد عقيدة لاهـوت يسوع المسيـح، إن الكتاب

المقدس لم يقل ذلك، كما أن يسوع فكر في نفسه كزعيم ديني هو المسيا وليس كـإلّه، وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان، إذ لـو كان عنـد أي من بطرس أو يهـوذا أن يسوع إلّه لما كان هناك أي تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع (حسبما تذكره الأناجيل بعد القبض عليه، والذهاب به إلى بيت رئيس الكهنة) وما كـان هناك تبـرير لخيـانة يهـوذا، إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلّهياً له كل القوى.

٦ ـ إن النـظرية المـزعومـة عن أن يسوع مـات من أجل خـطايانـا، وبهـذا وقـانـا لعنة الله، إنما هي مرفوضة قطعـاً، والاعتقاد في أن يســوع كان لـه هذه النتيجـة إنما يعني الطعن في أخلاق الله.

٧ ـ إن الله يجب ألا يعـرف عن طـريق اللعنـة، بـل عن طـريق الحلم والحكمـة والمحبـة، لأن الأب الحكيم والمحب لبنيـه لا يهلك الـولـد المخـطىء الـذي يقــع في المعاصي، لكنه يعلمه ويقوده في طريق الحكمة والفضيلة.

٨ ـ إن المـوت الدمـوي على الصليب من أجل إطفـاء لعنة الإلّـه لهو أمـر مناقض للحلم الإلّهي، والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها.

٩ ـ إن المـوحدين ينـظرون إلى يسوع بـاعتباره واحـداً من قادة الأخـلاق الفاضلة للبشر، إنه لو كان إلّهاً فإن المثل الذي ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كـل ذرة من القيمة، حيث إنه يمتلك قوى لا نملكها، كما أن الإنسان لا يستطيع تقليد الإلّه.

١٠ ـ إن الإنسان صالح بالفطرة رغم أنه قد يخطىء ويقع في الخطأ، وإن العقيدة الدينية يجب أن يكون الغرض منها هو العمل على حفظ الإنسان من الخطأ والخطيئة(١).

***

(١) كتاب طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون تأليف المهندس أحمد عبـد الوهـاب تنشره مكتبـة وهبة بعابدين القاهرة.

(٣)

بـيـان

عن بعض الموحدين من النصارى وأوطانهم

أولاً ــ في بولندا:

عندما ظهرت البروتستانتية في أوروبا صارعت الكاثوليكية، ولم يحل منتصف القرن السادس عشر حتى كان أكثر من (٢٠٠٠) ألفي كنيسة كاثوليكية قد تحولت إلى مذهب البروتستانت أو مذهب الإصلاح الديني.

ولما ظهرت الحركة المعادية للتثليث سلكت سبيلها إلى كنائس مذهب الإصلاح الديني، وظهر هناك العلّامة الطبيب الدكتور (جورجيو بيندارانا) وقد كان أستاذاً في جامعة بونتيليه، ثم طبيب البلاط للملكة بونا، هذا العالم الكبير رفض عقيدة التثليث وجاهد في ذلك حتى أصبح رئيساً لتلك الحركة في سنة ١٥٥٨م.

ولما عقد مجمع بينزو عام ١٥٦٢م كان أعداء عقيدة التثليث أغلبية فيه، فلم يستطع القسس أنصار عقيدة التثليث أن يدافعوا عنها إلاَّ بالعبارات المدرجة عنها بالكتب الكنسية.

وفي سنة ١٦٠٥م أصدرت هذه الحركة المعادية للتثليث إعلاناً تقول فيه الآتي: الله واحد في ذاته، وإن المسيح إنسان حقيقي ولكن ليس مجرد إنسان، وإن الروح القدس ليس أقنوماً، لكنه قدرة الله.

ثم ذكرت في إعلانها ما يشير إلى إنكار ما يسمى بالخطيئة الأصلية (أي خطيئة آدم المتوارثة في أبنائه حسبما تعتقد النصرانية التقليدية)[١].

---

(١) كتاب طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، تأليف المهندس أحمد عبد الوهاب، نشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة.

ثانياً ـ في بلاد المجر وترانسلفانيا:

لمّا استقلت بلاد المجر ابتعدت عن نفوذ روما وسلطان الفاتيكان فيها، فتحررت من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، ونتيجة لذلك أذيع في مرات ثلاث مرسوم بالتسامح الديني في أعوام ١٥٥٧، ١٥٦٣، ١٥٦٨ ميلادية.

ووصل الأمر بالموحدين أن كانت بلاد المجر تحت حكم ملك من أنصار عقيدة التوحيد موحد لله هو الملك (جوت سيجسموند) خلال المدة من سنة ١٥٤٠ إلى سنة ١٥٧١ ميلادية.

وفي ترانسلفانيا ازدهرت عقيدة التوحيد أيضاً، وكان من أهم معتنقيها الأب فرانسس داود الذي ولد سنة ١٥١٠م في مدينة (كولوسفار) عاصمة إقليم ترانسلفانيا، وقد تنقل من الكاثوليكية إلى عقيدة الإصلاح الديني التي صاغها لوثر حيث أصبح بعد ذلك من أنصار (كالفن)، وأخيراً وصل إلى عقيدة التوحيد في عام ١٥٦٦ فأصبح موحداً لله.

واستمر فرانسس داود يجاهد في نشر عقيدة التوحيد، معارضاً بشدة عبادة المسيح، لكن أفلح أعداء التوحيد في توجيه الاتهام إليه، والذي يلخص في أنه يقوم بتعليم بدع غير مرخص بها واتخذت ضده الإجراءات الآتية:

١ ـ عزله من وظيفته الكنسية.

٢ ـ القبض عليه ومحاكمته أمام الأمير في ساحة البلاط رغم ما كان يعانيه من مرض.

٣ ـ صدور الحكم عليه بالسجن في قلعة دلفا، وبقي بها إلى أن توفي في ١٥ نوفمبر سنة ١٥٧٩م.

وبوفاة الأب فرانسس داود لم تنقرض عقيدة التوحيد في ترانسلفانيا رغم عصور الاضطهاد السوداء التي مرت عليها خلال فترة حكم الإمبراطورة ماريا تريزا الطويلة من سنة ١٧٤٠ إلى سنة ١٧٨٠م، بل استأنفت عقيدة التوحيد مسيرتها بفعل نخبة من الرجال الشجعان كان على رأسهم الأسقف **ميخائيل أبراهام**، مما أدى إلى المحافظة على وجودها.

وفي عصر وحكم الإمبراطور جوزيف الثاني وخليفته فرانسس الأول صارت مراسيم التسامح الديني جزءاً من التقنين للقانون المدني.

وفي العشرينات من القرن التاسع أقيمت العلاقات بين هؤلاء الموحدين، والموحدين البريطانيين الذين قدموا إعانات مالية ساعدت على الإبقاء على مدارس عقيدة التوحيد.

وفي مطلع القرن العشرين بدأ (الموحدون الأمريكيون) يهتمون بإخوانهم في العقيدة من المجريين والترنسلفانيين وذلك يرجع إلى مجهودات كل من:

١ ــ المستر لويس كورنش الرئيس السابق لاتحاد الموحدين الأمريكيين.

٢ ــ والدكتور جون ليثروب.

ولقد بلغ من ازدهار عقيدة التوحيد خلال هذا القرن أن كان في المجر وكذا في ترانسلفانيا نحواً من (١٦٠) كنيسة تعتنق هذه العقيدة وقيام كلية لاهوتية لدراستها في مدينة كلوج كولزفار، واعتناقها بمعرفة كثير من القسس والأساتذة الذين درسوا في إنجلترا والولايات المتحدة.

ثالثاً ــ في هولندا:

١ ــ إن عدد الموحدين في هولندا كبير والذين كانوا من رجال الدين منهم لم يتركوا كنائسهم الأصلية، إذ لايزالون يعرفون رسمياً بأنهم لوثريون أو إصلاحيون، حتى لقد أقيمت هناك رئاسة الجمعية الدولية للحرية الدينية.

٢ ــ ولقد كانت شمال هولندا الحصن الأمين لكل من يهرب من الاضطهاد الديني والاضطهاد السياسي لمدة تزيد على قرنين من الزمان من تاريخ حركة الإصلاح الديني.

٣ ــ وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فإن المطابع الهولندية طبعت كتباً ورسائل تعبر عن وجهات نظر تحريرية ضد عقيدة التثليث، ما كان أحد ليجرؤ على نشرها خارج هولندا.

٤ ــ وقرب منتصف القرن التاسع عشر صارت مدينة ليدن بالتحديد، وخاصة جامعتها مركز الدعوة للحرية الدينية في هولندا، فلقد صارت مركزاً للتوحيد كما أنها كانت متحررة تماماً في نقد الكتاب المقدس.

٥ ــ ونتيجة لاتفاق ودّي فإن الحكومة الهولندية عينت لكلية اللاهوت بليدن رجالاً ذوي أفكار تحررية لا يؤمنون بعقيدة التثليث، وهم: شولتن وتيليه وكونتي.

٦ ـ ويبدو أن مما ساعد على نمو عقيدة التوحيد أن المزاج العادي لسكان شمال هولندا لا يميل إلى عقيدة التثليث رغم قبولها نظرياً، لكنها في الممارسة تعرضت لتعديلات أساسية، فنجد (**توماس أكمبيس**) يبيِّن في كتابه (على خطى المسيح) التناقض الذي يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره الأقنوم الثاني في الثالوث، ثم يطلب إلى الإنسان العادي أن يسير على نهجه فهو يقول: (إذا كان المسيح إلّهاً فإن المرء لا يستطيع اقتفاء أثره والسير على نهجه).

٧ ـ كذلك فإن من العوامل المساعدة لنمو عقيدة التوحيد تعهد الاتحاد الذي ربط المقاطعات الهولندية معاً عام ١٥٧٩ على تقرير حرية العقيدة الدينية.

رابعاً ـ في إنجلترا:

١ ـ **يعتبر جون بيدل** (١٦١٦ ـ ١٦٦٣) بأنه أبو التوحيد في إنجلترا، وهو لما حصل على درجة الماجستير من جامعة أوكسفورد عام ١٦٤١ عيِّن مديراً للمدرسة الحرة. ولقد أوصلته دراسته للكتاب المقدس إلى الشك في عقيدة التثليث مما أدى به إلى دخول السجن مرتين ثم نفيه إلى جزيرة صقلية، لأنه رغم صدور مرسوم بالتسامح الديني هناك سنة ١٦٨٩ إلَّا أنه استثني منه أولئك الذين ينكرون التثليث، وتهديدهم بالعقوبات ومع ذلك استمرت عقيدة التوحيد في النمو.

٢ ـ ثم ظهر الدكتور **صموئيل كلارك**، والذي أصدر كتاباً سماه (عقيدة التثليث من الأسفار) وقد جمع فيه كل نصوص العهد الجديد التي تتحدث في الموضوع، وقد بلغت (١٢٥٠) نصاً، وقد أوصلته تلك الدراسة إلى نتيجة هي (أن الآب وحده هو الإلّه الأسمى، وأن يسوع المسيح أقل منه مرتبة)[١].

ورغم إنكاره بأنه آريوس فإنه يصعب التمييز بين مبادئه وتعاليم آريوس.

٣ ـ **العالم الطبيعي جون بريستلي** وقد ربط بين الأفكار الدينية بنظيرتها العلمية، وبذلك أصبح آريوسياً بعد أن كان كالفنياً ثم انتهى الأمر به إلى أن أصبح موحداً في عام ١٧٦٨م. ولقد حرر رسالة جعل عنوانها (التماس إلى أساتذة المسيحية المخلصين

---

(١) الآب تعني في الأسفار القديمة الله، كما سبق أن قدمنا.
انظر كتاب الإنجيل والصليب لمؤلفه الأب عبد الأحد داود الأشوري العراقي.

الموقرين)، شرح فيها وجهة نظره الدينية ووزع منها (٣٠٠٠) نسخة في جميع أنحاء إنجلترا، وكانت موضع اهتمام معاصريه بسبب كونه زميلاً في الجمعية الملكية، وبسبب شهرته العلمية وفي هذه الرسالة:

(أ) يعرف الإلّه الذي أنزل الوحي بأنه السبب الوحيد لكل الظواهر.

(ب) أما تعاليم المسيح فلا تعطي إلاَّ مُثلاً أخلاقية.

ولما ضيقت الحكومة الخناق على ذلك العالم الطبيعي، ترك إنجلترا، وهاجر إلى بنسلفانيا حيث قضى فيها آخر سنوات عمره.

٤ ـ **تيوفيلس ليندساي** (١٧٢٣ ـ ١٨١٨)، كان موظفاً من موظفي الدولة ولما اعتزل الخدمة، افتتح صالة للمزاد بمدينة لندن، لم يلبث أن حوَّلها إلى كنيسة لمعتنقي عقيدة التوحيد.

٥ ـ **توماس بلشام** (١٧٥٠ ـ ١٨٢٩) بعد تعيينه في منصب ديني بكلية هاكني شارك في تأسيس جمعية الموحدين تحت اسم (الجمعية التوحيدية لترقّي المعرفة المسيحية وممارسة الفضيلة عن طريق توزيع الكتب).

وبعد منح الدولة الحقوق المدنية نشط الموحدون لتكوين اتحاد أخذ أخيراً اسم: (الاتحاد البريطاني الأجنبي للتوحيد).

٦ ـ **جيمس مارتينو** (١٨٠٥ ـ ١٩٠٠)، ولقد كان هذا العلاّمة على دراية تامة بالمصادر الأولى للمسيحية كما كان ذا شهرة واسعة في الكتابة أثّر بها على الأجيال الشابة من القسس البريطانيين.

وكان من تأثير كتاباته أن (اعتبر الكتاب المقدس وثيقة بشرية قيِّمة غير معصومة من الخطأ وأن المسيح ليس أكثر من إنسان).

٧ ـ ويوجد في وقتنا الحالي وزماننا هذا المعاصر من ٣٥٠ ـ ٤٠٠ كنيسة موحدة بعضها في بلاد الكومونولث، كما توجد مدرستان لتعليم عقيدة التوحيد هما:

(أ) كلية مانشيستر بأوكسفورد.

(ب) وكلية التوحيد بمانشيستر.

خامساً ــ الموحدون في الولايات المتحدة الأمريكية :

بدأ نشاط الموحدين في الولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن الثامن عشر حيث اعتنقوا مذهب آريوس وكان منهم :

١ ــ **الدكتور تشارلز شاونس** (١٧٠٥ ــ ١٧٨٧) راعي كنيسة بوسطن، وقد كان على اتصال بالموحدين من الإنجليز من أنصار مذهب آريوس عن طريق المراسلة معهم.

٢ ــ **القس الدكتور يونان ميهيو**، وقد ناضل بشجاعة ضد عقيدة التثليث حتى اكتسبت عقيدة التوحيد كثيراً من الوعاظ في نيوإنجلند، وصار لها أنصار في الجنوب والغرب حيث أسست هناك كنائس تدين بالتوحيد في بلتيمور، وواشنطن، وبفلو وغيرها من المدن.

٣ ــ **القس وليم ألري شانتج** راعي الكنيسة في بوسطن (١٧٨٠ ــ ١٨٤٢)، وقد كانت محاضرته ومواعظه عن مسيحية التوحيد ــ التي ألقاها في مايو سنة ١٨١٩ في مناسبة رسامة القس جارد سباركس راعياً لكنيسة الموحدين في بلتيمور ــ لا تعد واحدة من البيانات الهامة عن عقيدة التوحيد فقط بل إنها تعد من أعظم الوثائق الدينية التي كتبت في أمريكا. ومما تجدر الإشارة إليه أن القس جارد سباركس صار فيما بعد مؤرخاً ورئيساً لجامعة هارفاراد.

٤ ــ وفي عام ١٨٢٥ تكونت جمعية التوحيد الأمريكي وكانت مساهمة الكنائس هناك لإعانة جماعات التوحيد ضئيلة، ولما زاد اهتمام الأمريكيين بالتوحيد ارتفعت التبرعات لجمعيات التوحيد سنة ١٨٦٥ من ١٥٠٠٠ دولار إلى ١٠٠٠٠٠ دولار.

٥ ــ ومع أن نمو عقيدة التوحيد يبدو بطيئاً إلَّا أن آخر الإحصاءات تقرر أن عدد كنائس الموحدين يبلغ ٣٧٠ كنيسة الآن، ولقد تركزت أغلب كنائس الموحدين بأمريكا في ولاية نيوإنجلند.

٦ ــ كما توجد مدرستان للتوحيد أنشأهما الموحدون لتعليم رجال الدين إحداهما في شيكاغو والأخرى في بركلي بكاليفورنيا.

٧ ــ وكثير من القسس الموحدين تلقوا تعليمهم في مدرسة اللاهوت بهافاراد.

سادساً ـ الموحدون في دول أخرى:

١ ـ توجد جماعات ليبرالية تتحد مع حركة الموحدين بواسطة (الاتحاد الدولي للحرية الدينية).

٢ ـ وفي الفليبين انفصلت إحدى الكنائس عن الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٩٠٢ وتسمت باسم الكنيسة المستقلة للفليبين، وقد انضمت إلى الاتحاد الدولي للحرية الدينية.

٣ ـ وحالياً نجد أنصاراً لعقيدة توحيد الإلّه في دول كثيرة مثل بلجيكا والدانمارك وفرنسا وسويسرا وإيسلندة، ويتعاطف فيها رجال الدين من القسس مع أفكار الموحدين الدينية.

٤ ـ وفي دولة تشكوسلوفاكيا نمت عقيدة التوحيد في بداية هذا القرن حيث قامت هناك الكنيسة الموحدة التشيكية سنة ١٩١٨، وبلغ عدد أعضائها الموحدين نحو مليون شخص.

٥ ـ وهناك كثير من الموحدين يتعذر حصرهم في شتى الدول المختلفة لأنهم لم ينفصلوا عن كنائسهم الأصلية[١].

أين أنتم يا دعاة الإسلام في كل مكان؟

يا دعاة الإسلام، هؤلاء قوم وصلوا بتفكيرهم الحر إلى عقيدة التوحيد دون أي مجهود منكم أو من أحد غيركم، فهلّا حملتم إليهم الإسلام، وهو رائد عقيدة الموحدين في زماننا المعاصر ليتخذوه ديناً لهم ومنهاجاً، خصوصاً وأنه كلمة السماء الأخيرة إلى الأرض.

فإن أفلحتم في إقناع هؤلاء الموحدين الغربيين بالإسلام، وجعلتم منهم دعاة إلى الإسلام كان ذلك نجاحاً أيما نجاح، فهم أقدر من غيرهم على مخاطبة العقل الغربي ومحاورته، وهم أرسخ جذوراً على تلك الأرض، فهم مواطنون لا وافدين، فلو زادت

---

(١) كتاب «الإنجيل والصليب».

أعـداد الـداخلين منهم في الإسـلام عن فهم وإخـلاص كـان بمقـدورهم تسخيـر التقنيـة المتقدمة في خـدمة الـدعوة إلى الإسـلام وتحويـل شعوبهم إلى اعتنـاقه، بعـد أن ظهرت عورات الحضارة المادية وتململ الناس شـوقاً إلى المنقـذ، لو حصـل هذا فـإن المسلمين الغربيين يمكنهم أن يضعوا نتاج الحضارة الغربية في خدمة الإنسانية المعذبة، ويستطيعون في الساعات الحرجة أن يتصدوا للمعانـدين الكافـرين من بني جنسهم دفاعـاً عن الإسلام ودفاعاً عن إخوانهم المسلمين في كل مكان على الأرض.



(٤)

نصرانية الفاتيكان تعترف بخطئها في فهم الإسلام

أولاً:

ظهر كتيب من سكرتارية الفاتيكان لغير المسيحيين في عام ١٩٦٧ تعلن فيها سكرتارية الفاتيكان بصراحة أن الفكرة التي كانوا يعلنونها عن الإسلام مشوهة وغير صحيحة، وأنهم أخذوا في تصحيح كثير من المفهومات عنه في الوقت الحاضر.

١ ــ فينفون عن الإسلام التعصب، أو أنه انتشر بالسيف ولا يحترم المرأة، ويبينون الوجه الصحيح في كل هذه الأمور.

٢ ــ ويتحدثون بدقة عن معنى الجهاد الإسلامي.

٣ ــ وأن الله الواحد الأحد الذي يعبده المسلمون هو الله خالق السماوات والأرض الذي يعبده المسيحيون.

وبناءً على ما تقدم فهم يطلبون من المسيحيين في جميع الأرض أن يصححوا مفهوماتهم عن الإسلام، وأن يعلنوا تراجُعَهم عن هذه التشويهات والأخطاء التي كانوا واقعين فيها.

وتعليقنا على ذلك:

أن ما تقوم به الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية وغيرها في بلاد الإسلام، وكذلك ما يكتبه مستشرقوهم، ومطبوعاتهم الكثيرة ضد الإسلام والمسلمين يدحض محاولات الفاتيكان المتهافتة، ويثير السخرية عليها من جانب المسلمين.

ثـانـيـاً:

ثم ظهـر كتاب آخـر سنة ١٩٨٠ عنـوانـه: (كلنـا أبنـاء إبـراهيم) وطبـع في بـاريس وأصدرته جمعيتان هناك:

الأولى ــ جمعية التعليم الديني في فرنسا.

والأخرى ــ جمعية العلاقات مع الإسلام.

وهو كتاب يقدَّم للمسيحيين ليعلموا مـا هو الإسـلام من وجهة النـظر المسيحية وفيـه شيء من الإنصاف للإسلام فيقول مثلاً:

عـن القـرآن:

١ ــ هو الكتاب الموحى به الذي تلقاه محمد عن الله بواسطة الملك جبريـل، وقد كان أول الوحي الذي تلقاه محمد (عليه الصـلاة والسلام) يبتـدىء بما يلي: ﴿اقـرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

٢ ــ والقـرآن يهيب بالإنسـان إلى التفكير، وليس نـوراً ينير لـلإنسان معنى الحيـاة والموت فحسب ولكنه دليل أيضاً لكل مجالات الحياة الشخصية والاجتمـاعية، فتجـد فيه مبادىء السلوك لرئيس الدولة وللمـواطن العادي وللفقـراء والأغنياء للسلم وللحـرب، ومن أجل البحث عن حياة روحية، أو في التجارة ورفاهية العيش.

٣ ــ وإننا نجد في القرآن أسساً يمكن أن نقيم عليها نظاماً متيناً للعدالة الاجتمـاعية وللاقتصادية والسياسية، والتشريع والحقوق والعلاقات الدولية.

٤ ــ ويعترف القرآن بجميـع الأنبياء السـابقين منذ آدم حتى محمـد (عليهم الصلاة والسلام).

عـن الإسـلام:

١ ــ يتكلم الكتاب عن أركان الإسلام وعن درجات الإيمان والإحسان.

٢ ــ والكتـاب يصحـح كـل الأخـطاء التي كـانت تجـري على ألسنــة المسيحيين وأقلامهم.

٣ ــ ثم ينتهي الكتاب بدراسة تاريخية عن تطور العـلاقة بين المسيحيين والإسـلام

من العداوة المغرضة التي كانت تفتري على الإسلام إلى الوقوف بإعجاب وتعظيم أمام الإسلام ونبي الإسلام.

أستاذ جامعي سويسري ينصف الإسلام في كتابه (إنسانية الإسلام) :

ويقع هذا الكتاب في ٤٠٠ صفحة وطبع سنة ١٩٧٩، ويندد فيه المؤلف بما عند الأوروبيين من نزعة متعصبة تخفي حقيقة الإسلام، وأنه من الواجب أن يكفوا عن ذلك، وأن يتكلموا بإنصاف عن دين كان له أثر كبير في الحضارة الإنسانية.

وفي الكتاب مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام التي تنبع من العقيدة الإسلامية وتجعل الناس كلهم عباداً لله متساوين، وبين حقوق الإنسان الأوروبية التي وضعت لتوحيد الأوروبيين ضد العالم الآخر على حد قوله.

ماذا يقول المستشرق الفرنسي روجيه أرنالديز؟

وضع هذا المستشرق الفرنسي كتاباً تحت عنوان محمد (عليه الصلاة السلام) يعترف فيه بصراحة العالم المنصف بأن القرآن لا يمكن أن يكون من صنع محمد:

لأن فيه نفحة علوية تجعله منبثقاً عن ذاتية أخرى.

ثم يأتي المؤلف بجميع الاحتمالات الأخرى التي ينفيها الواحدة تلو الأخرى:

١ ــ فلا محمد ﷺ متوهم أنه أُوحي إليه.

٢ ــ ولا هو مدع لذلك مخادع للناس.

٣ ــ ولا هو مزدوج الشخصية.

ولكن هناك احتمالاً أخيراً لماذا نستبعده وهو أن يكون غمره نور إلٓهي وألقيت عليه آيات هذا الكتاب، ثم يعقب بقوله بل هذا هو الصحيح.

وأنّى لعلماء النفس أن يضعوا قضية الوحي في مختبراتهم النفسية! إن هذا هراء.

٤ ــ ثم يكتب كتابة جيدة عن صفات النبي ﷺ وأمانته وصدقه.

٥ ــ وقد نبّه ذلك الكاتب في كتابه المذكور إلى نقطة هامة وهي: (إننا لا يمكن أن

نقول إن لمحمد سياسة أو فلسفة خاصة به، فهذا تعبير بشري، بل نقول إن محمداً (عليه الصلاة والسلام) يتلقى أوامر إلّهية بطبيعتها)[١].

هذه نماذج قليلة من كُتَّاب الغرب تنصف الإسلام ونبـي الإسلام.

ولكن الغـرب في أكثـريتـه السـاحقـة من مثقفين وغيـر مثقفين يجهلون الإســلام، ويشوهونه، ويرسلون حملاتهم الصليبية حرباً ضـده وتنفيراً عنـه، ولكن هذا لا يمنـع أيضاً أن الله جل وعلا الذي أراد أن يظهـر هذا الـدين في النهايـة لقولـه تعالى: ﴿ليـظهره على الدين كله﴾ أن يكون قد هدىٰ بعض الأفراد من أولئك القوم وأنار لهم الحقيقـة، وغمرتهم حجة الإسلام وحقائقه فآمنوا بالله واهتدوا إلى عقيدته وشريعته.

***

(١) المجلة الإسـلامية الـدولية (المسلمـون) العدد العـاشـر، مقـال (اللقـاء الأخيـر مـع الأستـاذ محمـد المبارك).

(٥)
رجال الدين في أوروبا الآن يرفضون القول بألوهية المسيح

أولاً:

بتاريخ يونية ١٩٧٧ صدر كتاب في مدينة لندن ألفه سبعة من كبار رجال الكهنوت يعلنون فيه الآتي:

١ ــ إنكار ألوهية المسيح عليه السلام.

٢ ــ تقرير بشريته فقط.

ولقد نفدت طبعة هذا الكتاب في نفس أسبوع صدوره.

ثانياً:

ورد في مجلة (الأوبزيرفر) الإنجليزية بتاريخ ٢٦ يونية ١٩٧٧ مقال تحت عنوان رجال الكنيسة يشككون في ألوهية المسيح والكاتب هو (كولين كروس). وقد جاء في مطلع مقاله قوله: (سبعة من كبار رجال الدين في إنجلترا أعلنوا أنهم يرفضون ألوهية المسيح، وذلك في كتاب صدر لهم حديثاً في لندن، وكان في طليعة هؤلاء العلماء القس موريس ويلز، رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة إنجلترا، وأستاذ الإلَهيات في جامعة أكسفورد).

واستطرد كاتب المقال إلى القول بأنه: (سيكون لهذا الكتاب ضجة في الأوساط الدينية، لأنه يتبنى الرأي العام للعلماء غير المسيحيين، القائل بأن السيد المسيح لم يتخذ لنفسه طابع الألوهية، وإنما جُعل إلَهاً فيما بعد، بتأثيرات وثنية في أوائل القرون الأولى للمسيحية).

ثالثاً:

علقت الإذاعة الفرنسية على هذا الخبر عند صدور ذلك الكتاب بقولها: إنها مشكلة جديدة يواجهها الفاتيكان، إلى جانب مشكلة رفض بعض مطارنة فرنسا الإصلاحات التي أقدم عليها البابا في بعض التقاليد الكنسية.

رابعاً:

رددت الإذاعات الأوروبية منذ بضع سنين خبر ظهور فئة من رجال الدين في اليونان ترفض القول بألوهية المسيح.

خامساً:

ألف الأستاذ شارل جينيبير أستاذ تاريخ المسيحية في باريس كتاباً مطولاً يقرب من ٦٠٠ صفحة، وسبق الكلام عنه تفصيلاً ويقع تقريباً في ثلاثة مجلدات، عن تاريخ المسيح والمسيحية يقول فيه الآتي:

١ ـ إن القول بألوهية المسيح وبالتثليث، وبأنه ابن الله لم يعرف شيء منه في حياة المسيح نفسه.

٢ ـ والقول بأن المسيح ابن الله، وأنه إله، وأنه واحد من ثلاثة، إنما ذلك صورة من العقائد الوثنية في الهند والشرق الأقصى، نقلت إلى أوروبا وخاصة روما في هجرات شعوب أوروبية وهندية، ثم أقحمت في عهد الإمبراطورية الرومانية على الديانة المسيحية.

لكنهم في أوروبا الآن يشهدون لنبي الإسلام محمد ﷺ بالصدق:

أَلَّف **هنري توماس ودانالي توماس** كتاب (القادة الدينيين) تضمن تراجم ثلاثة من الأنبياء الكبار، وثلاثة من أئمة الديانات الكبرى في الهند والصين والمشرق، ونحو عشرة من المصلحين الدينيين في المذاهب المسيحية والبرهمية آخرهم المهاتماغاندي زعيم السياسة في الهند قبل استقلالها عن بريطانيا[١].

---

(١) كتاب الإسلام دعوة عالمية للمرحوم عباس محمود العقاد.

أمـا كبار الأنبيـاء فهم موسى والمسيـح ومحمد عليهم السـلام، وأما أئمـة الديـانات الشـرقية فهم زرادشت وبـوذا وكنفوشيـوس، وذكـر من المصلحين في مـذاهبهم **بـولس**[1] ولوثر وليولا زعيم الطائفة اليسوعية.

والمـلاحظ بل الملفت في كتـابة هـذين المؤلفين: أنها أقـرب إلى الإعجـاب بنبـي الإسلام وإن كانا قد ولدا وتربيا على مطالعة التوراة والإنجيل ومما قالاه عنه الآتي:

(في القـرن السابـع حين بدا على الـدنيا أنهـا قد أصيبت بـالجفاف، وحين فقـدت اليهودية مولدها، واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية البربرية، نبـع في المشرق فجأة ينبوع صاف من الإيمان، ارتوى منه نصف العـالم، وإن حكمة الله العجيبـة ذات قوة في قضائها العجيب فـإن هذا الينبـوع الصافي قـد انبثق من أجدب بقعـة بين بقاع الأرض قاطبة هي صحراء الجزيرة العربية.

والأخبار المأثورة وإن كانت تروي كثيراً من المعجزات والخوارق التي صحبت مولد محمد في طفولته، ولكن محمداً لم يـذكر هـذه المعجزات، ولم يـذكر قط معجـزة تتصل بشخصه أو برسالته لأنه لم يأت كما قال بغير معجزة واحدة هي معجزة القـرآن الذي تلقـاه من وحي الله، وقد جاء بالدين ليدعو إلى ملَّة إبراهيم وموسى والمسيح على هدى جديد.

وقد كان محمد محباً لإخوته من بني الإنسان بسيطاً في معيشته، يأكل خبز الشعيـر، ويخدم نفسه، وإن اجتمعت لـه أسباب الثـراء، ويتورع أن يضـرب أحداً أو يسـوءه بكلمة تقريع، ولم يغتفر لنفسه أن أعرض ذات مرة عن شخص ضرير جاء يسأله.

وحاول أن يقابـل كراهـة أعدائـه بالحب، لأنـه يعلِّم الناس أن أحب الخلق إلى الله أحبهم إلى خلق الله، ولكن عبَّاد الأوثان بمكة لم يستمعوا لدعوة الحكمة والمحبة، ونظروا إليه فلم يفهموا من قوله ولا من عمله إلَّا أنه ثائر عليهم، يُسَفِّهُ أحلامهم ويحطم أصنـامهم فعادوه وتوعدوه، واعتدوا على حريته وأوشكوا أن يعتدوا على حياته.

ويتأدب المؤلفان في وصف الهجرة إلى المدينة فيختاران لها اسماً باللغة الإنجليـزية

(١) كثير من علماء النصرانية يرى أن بولس لم يكن مصلحاً في النصرانية بل هو الذي أفسدها بمـا زعمه من أن المسيح هو ابن الله، وذلك في بعض رسائله كما زعم في رسائل أخرى أنه هو الله نفسه.

غير الاسم الذي اصطلح عليه المبشرون والمترجمون هناك للسيرة النبوية في لغات الغرب وهو اسم الفرار أو الهرب فقد سميا الهجرة باسم المفارقة أو الابتعاد.

أما عن الحرب فيقول المؤلفان: إن صاحب الدعوة إلى الإسلام لم يبدأ المخالفين له بالحرب بل هم الذين بدأوه بها واضطروه إليها.

أما عن أخلاقه فإنه كان يرحم الضعيف ويأمر بالرحمة ويرفق بالحيوان وينهى عن التحريش بين البهائم، ويدعو أتباعه إلى إدخال السرور على قلوب المحزونين ويقول:

(أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً)، وهو القائل: (فكّوا العاني، وأجيبوا الداعي، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض).

وفي وقوف النبي لجنازة اليهودي وفي معاملة الضعفاء والأتباع ومعاملة اليتامى والأيامى أدب هو أدب النبوة الإسلامية في لبابها، وليس أدب القتال عنواناً لها كما حسب بعض الناقدين للإسلام.

وأما الجهاد فهو فريضة يؤمر بها المسلم ويتعلم معها من نبيه أن (أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه).

وعن استخدام السيف فإن المؤلفان يشيران إلى ما ذكره كارليل عن استخدام السيف لنشر الدين فيعيدان قوله: (إن شرلمان لم ينشر الدين بين قبائل السكسون بالدعوة والموعظة، وإن العبريين لم ينشروا بهما الدعوة بين قبائل كنعان، وإن من السخف أن يقال عن محمد إنه نشر دينه بالسيف، لأن الذين يقولون ذلك يصورون لنا رجلاً واحداً قائماً وحده يحمل السيف ويشهره على أمة كاملة تعاديه وتنكر دعواه، وهي صورة غير معقولة، ويرفضها خيال المتخيل قبل أن يرفضها إدراك المتأمل، ولا بد له من النظر قبل ذلك إلى الدعوة المقنعة التي آمن بها عدد من الناس كاف (لحمل السيف والجهاد به للدفاع أو الإقناع).

وعبارة كارليل في هذا السياق أن محمداً دافع عن نفسه دفاع الرجل ودفاع العربي ودفاع الرسول المستجيب لدعوة السماء.

أما عن المثل الأعلى في الحياة الباقية كما يصفها القرآن الكريم فيصفها الكاتبان بأنها هي الحياة التي تصفو فيها القلوب، وأنها هي الحياة التي يتساوى فيها الناس إذ يقول الله تعالى:

١ ــ ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار﴾.
٢ ــ ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾.

ومثل هذه العقيدة السماوية لا توجد في عقيدة تقوم على البغضاء وسفك الدماء، ولكنها الصورة المنشودة لكل حياة يتحراها المسلم في دنياه ويذكرها كلما ذكر الإلّه المعبود قائلاً: باسم الله الرحمن الرحيم.

أما عن صفة الصدق في محمد فإنه لا يتجلى في كتاب مقدس فحسب، بل هو متجل كذلك في حياته المقدَّسة، لأنه كان بأصدق معاني الكلمة نعم المثال للمسلم الفاضل الذي أسلم نفسه إلى الله إسلام السمع والطاعة في كل أحواله.

ولم يدع قط لنفسه صفة من صفات الألوهية بل كل ما ادعاه وكرره أنه بشر يعلم الناس ما يستطيع كل إنسان أن يتعلمه لو ألقى السمع إليه، ولا يصعب تلخيص تعليمه ببضعة سطور، فإن المسلم لا يحتاج إلى الخوض في النظريات الكهنوتية، ولا يجهل أن دينه عمل لتحقيق الحياة الصالحة، وليس بمجرد نظريات وأقوال يطول فيها الجدل والمِحال.

والفرائض الإسلامية تعد خلاصة الفرائض والعبادات، وخلاصة السلوك العملي الذي يوجبه القرآن على المسلم، والقرآن واضح في منهج السلوك الذي يتطلبه من المسلم، فإن واجبه الأول أن يرتفع غاية الارتفاع الذي يعلو به إلى الاقتراب من صفات الله، وقد عمل على إدماج النزاع بين الأفراد والقبائل في أخوة إسلامية، وتوصل إلى تحقيق ذلك بتعليم كل رجل وكل امرأة وكل طفل منهجه الكامل من السلوك المستقيم، فجاء بتحريم المسكر والقمار والخداع والأثرة والقسوة على أي وجه من الوجوه، وألهم المسلمين أن يفرقوا بين حدود العبادة وحدود الأخلاق والنيات، فليس البر أن يولوا وجوههم قِبَل المشرق والمغرب، وإنما البر في الإيمان والإحسان، وعلى المسلم أن يدفع عن نفسه وأن يقاتل من يقاتله، ولكنه لا يعتدي لأن الله لا يحب المعتدين.

وقد ختم هذان الكاتبان بحثهما عن نبي الإسلام بأن (الإسلام لا يخالف الديانات الأخرى بل هو دين يجمع ويؤلف، ولا يطرد أو يستثني بل إن من أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره، وأن يؤمن بأن العالم أمة واحدة تدين لإلّه واحد هو رب العالمين)[1].

***

(١) كتاب «الإسلام دعوة عالمية».

الباب التاسع

(١)كتاب التوراة يبشر برسالة النبي محمد ﷺ.

(٢) قبل مجيئه تحدثت عنه أسفار الأنبياء.

(٣) نبي الإسلام هل بشرت به أسفار الهندوس والمجوس وتوراة السامريين المقدسة عندهم؟

(٤) روح الحق في إنجيل يوحنا هل هو النبي محمد ﷺ.

(٥) ماذا ورد بالإنجيل المخطوط باللغة القبطية وما ذكره يوحنا المعمدان، وما وجد بمخطوط النبي إدريس عن النبي محمد ﷺ.

(١)
كـتـاب التـوراة
يبشر برسالة النبـي محمد ﷺ(١)

في مقـال نشرتـه جريـدة الأهرام القـاهريـة في أحد أعـدادها المـاضية للدكتـور طه عبد السلام خضير أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين التابعة لجامعـة الأزهر، أورد فيه بشارة من أحد كتب توراة مـوسى عليه السـلام، وهو سفـر التثنية: إصحـاح ١٨، عدد ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، تشيـر في معناهـا إلى مقـدم الـرسـول الكـريم محمـد ﷺ ونصهـا كالآتي:

(قال لي الرب قد أحسنوا فيمـا تكلموا سـوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخـوتهم، وأجعل كلامي في فمـه فيكلمهم بكل مـا أوصيه بـه، ومن لم يطع كـلامه الـذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلـك، أما النبـي الـذي يجترىء بـالكبريـاء، ويتكلم باسمي ما لم آمره به أن يقول أو باسم آلهة غيري فليقتل).

لكن الأنبا غريقوريوس أسقف الثقافة القبطية والبحث العلمي، حرر مقالاً بعـد ذلك في جريدة الأهرام يرد فيه على مقال الدكتور طه عبد السلام خضير أورد به النقاط الآتية:

أولاً: إن النص كما جاء في التوراة هو كما يلي والمتكلم هو النبـي موسى إلى بني إسرائيل: (يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسـطك من إخوتـك مثلي له تسمعـون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب في يوم الاجتماع قائلاً: لا أعـود أسمع صـوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أمـوت، فقال لي الـرب قد أحسنـوا فيما قـالوا،

---

(١) نشر بمجلة الأزهر بالجزء السابع والثـامن من السنة الخمسين، عن شهـري ذي القعدة وذي الحجـة سنة ١٣٩٨هـ، أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٧٨م.

أقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بجميع ما آمره به، ويكون أن الإنسان الذي لم يطع كلامي الذي يتكلم بـه باسمي فـإني أطالبـه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم آمره أن يتكلم بـه أو الذي يتكلم بـاسم آلهة أخـرىٰ، فسيموت ذلك النبـي، وإن قلت في قلبـك كيف نعرف الكـلام الذي لم يتكلم بـه الرب؟ فإن تكلم النبـي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يَحْدُث، فذلك الكـلام لم يتكلم به الـرب بل يطغيان نكلم به النبـي فلا تخف منه) [سفر التثنية ١٨، عدد ١٥ ـ ٢٢].

ثانياً: بالتأمل ملياً في هذا النص يتضح أن موسى النبـي هنا بناءً على مكاشفة الرب الإله له يعد بني إسرائيل بأن الرب سوف لا يهملهم، بل سيتعهدهم بالرعـاية والاهتمـام، وما داموا قد ارتعدوا ارتعاداً شديداً من مظاهر التجلي الإلهي على جبل حـوريب في سيناء بالرعود والبروق والسحاب الثقيل على الجبل، فإن الرب سوف لا يكلمهم من خـلال تلك المناظر الرهيبة التي لم يتحملوها، وإنما سيكتفي مستقبلاً بأن يكلمهم في هدوء من خلال الأنبيـاء الذين سيرسلهم نبياً في أثـر نبي على غـرار نبيـه مـوسى الكليم، فـالنبـي يتلقى الرسالة من الرب الإله ثم يبلغها إلى شعب بني إسرائيل، كما تلقاهـا من الله تعالى وبكـل أمانة. وانتهى الأنبا غريقوريوس بعد تلك المقدمة الطويلة إلى الهدف الذي يـرمي إليه ألا وهـو أن النبـي المقصـود في النص المشـار إليـه هـو كـل نبـي يـرسله الله إلى شعبـه بني إسرائيل ممـا يعني أن النص لا يشير إلى النبـي محمـد ﷺ وإن لم يصرح بـذلك علنـاً في مقاله.

ثالثاً: وأما قوله: (نبياً من وسطك من إخوتك مثلي) فالمقصود به كما هو واضح من النص أن يكون من بين بني إسرائيل وليس من شعوب أخـرى وهو من أمثـال النبـي موسى فصمـوئيل النبـي وداود وسليمـان، وأشعيا، وإرميـا، وحـزقيـال ودانيـال، وميخـا ويـونـان وزكريا، وغيرهم من الأنبياء الكثيـرين الذين جـاءوا بعد مـوسى، كلهم كانـوا من بين بني إسـرائيـل ومن وسـطهم، وإذن فـالنبـي المشـار إليـه في نص سفـر التثنيـة هـو كـل نبـي أرسله الله من بعد موسى إلى بني إسرائيل، والكلام ينطبق لا على نبـي بالذات بل الكلام كـلام عـام يشمـل جميـع الأنبيـاء الـذين ظهـروا من بين بني إسـرائيـل، ويهـدف الأنبـا غـريقوريـوس من ذلك إلى إبعـاد البشارة المـذكورة عن شعب العـرب أبناء إسمـاعيـل بن إبراهيم عليهما السلام.

رابعاً: كذلك قول الله تعالى في التوراة: (وأجعـل كلامي في فمـه فيكلمهم بجميع

ما آمره به، ويكون أن الإنسان الذي لم يطع كلامي الـذي يتكلم به بـاسمي فإني أطـالبه) فهو كلام عام لا يخص نبياً بعينه بل يشمل كل نبـي لله، فـإن ما يقـوله النبـي ليس منـه بل من الله يتكلم به على فمه؛ ولذلك يوصف الروح القـدس بأنـه (الناطق في الأنبيـاء) وقال الكتاب المقدس: (عالمين هذا أن كل نبوة الكتـاب ليست من تفسير خـاص لأنه لم تـأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القـدس) [٢ بطرس ص ١ عدد ٢٠ ـ ٢١].

هذا ما ذكره الأنبا غريقوريـوس في رده على الدكتـور طه عبـد السلام خضيـر أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين.

وفي ردنا على ما أثاره الأنبا غريقوريوس نشير إلى ما يلي:

أولاً: إن النص الذي أورده الأنبا غريقوريوس يختلف عن النص الوارد في الكتـاب المقدس والذي نشرته دار الكتـاب المقدس وطُبـع بدار حلمي للطبـاعة، وهـو على سبيل المثال قد ابتدأ به من عدد ١٥، بدلاً من عدد ١٧، الذي ابتدأ به الدكتور طـه عبد السـلام خضير:

(يقيم لـك الرب إلهـك نبياً من وسـطك من إخوتـك مثلي لـه تسمعـون حسب كـل ما طلبته من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الـرب قد أحسنـوا فيما تكلمـوا، أقيم لهم نبيـاً من بين إخـوتهم مثلك، وأجعـل كـلامي في فمـه فيكلمهم بجميـع مـا آمـره به... إلخ ما جاء بالنص).

فقـد زاد الأنبا غـريقوريـوس كلمه (في) قبـل يوم الاجتمـاع، وزاد في النص أيضـاً حرف (الفاء) على جملة قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، واستبدل كلمة (قالوا) بدلاً من كلمة تكلموا السابقة.

ومعلوم أن سبب تلك الاختلافات بـالزيـادة أو بالنقص في الحـروف والكلمات وفي تقديم بعضها وتأخير البعض الآخر وكذا استبـدال بعض الكلمات راجـع إلى أن المتداول بالأيدي هو ترجمات عن الكتاب المقـدس، وليست هي ذات الأصل، والتـرجمة الحـرفية التي يتفق فيها نص أي كتاب مقدس في لغته التي أنزل بها مع الترجمـة يستحيل تحقيقهـا في الواقع مهما كانت قوة المترجم أو الهيئة التي قامت بتلك الترجمة، ولعل هذا هـو السر

في أن علماء الإسلام قد حسموا ذلك الأمر بالنسبة للقرآن الكريم، فقرروا بمنتهى الحزم عدم إمكان ترجمته بأي حال من الأحوال وكل ما يباح هو ترجمة معانيه إلى اللغة المطلوب إجراء تلك الترجمة إليها. وفي بداية النص فإن المتكلم حقيقة هو النبي موسى وذلك في عدد ١٥، ١٦ لكن باقي النص وهو ابتداء من عدد ١٧ هو من كلام الله حتى عدد ٢٢.

ثانياً: إن ما ذهب إليه الأنبا غريقوريوس من أن المقصود بالنص المشار إليه هم الأنبياء الذين سيرسلهم الله نبياً في إثر نبي على غرار نبيه موسى قول يجانبه الصواب لأنه:

١ ـ ينقضه صريح قول بطرس في سفر أعمال الرسل في الإصحاح الثالث عدد ١٩ إلى عدد ٢٤، وهو: (فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب إذ يرسل إليكم يسوع المسيح ثانية، وهو الذي سبق أن عيَّنه لكم، إذ لا بدَّ أن يبقى المسيح في السماء حتى يأتي الزمن الذي يتم فيه الإصلاح الشامل لكل شيء، كما أوحى الله إلى أنبيائه الأتقياء منذ القدم. فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب).

٢ ـ وشبيه بقول بطرس قول استفانوس الذي اختاره تلاميذ المسيح لما كان مشهوداً له بالإيمان وذلك في الإصحاح السابع من سفر أعمال الرسل عدد ٢٧، ٢٨ وهو:

(هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون. هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء، ومع آبائنا، الذي قبل أقوالاً حية ليعطينا إياها).

ففي هذين النصين لم يذكر بطرس أو استفانوس أن هذا الذي بشر به موسى النبي هم الأنبياء الذين سيرسلهم الله نبياً في إثر نبي كما يذهب إلى ذلك الأنبا غريقوريوس، لذلك كان تفسيره المشار إليه للنص محل البحث، تفسير لا أساس له بل يناقضه صريح نصوص الكتاب المقدس، والتي تجمع على أن النبي الذي بشر به موسى نبي معين بذاته وإن صرفوا النص إلى المسيح عليه السلام تعصباً.

ثالثاً: إن المتدبر لهذه البشارة يتبين له أن هذا النبي المعين الذي بشر به النبي موسى لا يخرج من بين بني إسرائيل مطلقاً، وذلك للأسباب الآتية:

١ ــ إن النص يشير إلى أن الرب يقيم لشعب بني إسرائيل هذا النبي (من إخوتهم) وهؤلاء الإخوة لشعب بني إسرائيل هم العرب أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويشير الكتاب المقدس إلى استعمال لفظ الإخوة بين أبناء العم طبقاً لما جاء في سفر التكوين عن أبناء إسماعيل في قوله:

(هؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم، وهذه سنو حياة إسماعيل مئة وسبع وثلاثون سنة، وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه، وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور وكان قد نزل قبالة جميع إخوته نزل) [سفر التكوين: الإصحاح ٢٥، عدد ١٦ ــ ١٨].

وشبيه بذلك ما ورد بسفر العدد في قوله:

(وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك آدوم هكذا يقول أخوك إسرائيل قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا) [انظر الإصحاح العشرين، عدد ١٤ من سفرالعدد].

ومثله أيضاً قوله الوارد في سفر التثنية:

(وأوصى الشعب قائلاً: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير، فيخافون منكم، فاحذروا جداً لا تهجموا عليهم) [انظر سفر التثنية: إصحاح ٢، عدد ٤، ٥].

فبنو إسماعيل وملك أدوم وبنو عيسو كانوا أبناء عمومة لبني إسرائيل، ولم يكونوا إخوتهم ومع ذلك ورد بالنص أنهم إخوتهم.

٢ ــ إن موسى عليه السلام لما أعاد هذا الوعد من كلام الله في عدد ١٧، ١٨ من سفر التثنية لم يورد لفظ (من وسطك) المذكورة في بداية النص بل جاء بالنص:

(قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك).

ولا يجوز أن يكون ما قاله موسى مخالفاً لما قاله الله.

٣ ــ إن القديس بطرس في الإصحاح الثالث، عدد ١٩ ــ ٢٤، من سفر أعمال الرسل لم يورد لفظ (من وسطك) فيما ذكره عن هذه البشارة، وكذلك الحال بالنسبة للقديس استفانوس فلم يذكر لفظ (من وسطك) في الإصحاح السابع، عدد ٢٧، ٢٨ من سفر أعمال الرسل.

٤ ــ وحتى مع التسليم بوجود لفظ (من وسطك) في بداية النص وتعارضه مع باقي

النص، فإنه يمكن التوفيق بينهما إذ النبـي محمد ﷺ لما هاجر إلى المدينة المنـورة، وبها تكامل أمره، كان يحيط بالمدينة كثير من قرى بني إسرائيـل وقبائلهم، كخيبـر وبني قينقاع والنضير وغيرهم، لذلك يمكن القول بأنه قام بدعوتـه (وسطهم) رغم أنـه من العرب أبنـاء إسماعيل بن إبراهيم وهم إخوتهم كما أوضحنا سابقاً.

٥ ــ إن صرف هذه البشارة إلى المسيح عليه السلام أو أحد أنبياء بني إسرائيل قول لا يحتمله النص من عدة وجوه:

(أ) إن المسيح ينتسب إلى بني إسرائيل وصراحة النص محل البحث كما أشرنـا، ونشيـر إلى أن هذا النبـي الـذي بشر بمجيئـه موسى النبـي لا يكـون من بني إسرائيـل بـل يكون من بين بني إخوتهم أي من بني عمومتهم.

(ب) إن هذا النبـي المبشر به ويكون مثل موسى، لا يجوز بأي حـال أن يكون من بين بني إسرائيل طبقاً لما ورد في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية عدد ١٠ قوله: (ولم يقم بعده نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الـرب وجهاً لـوجه)، فـإن قام أحـد مثل موسى بعده من بني إسرائيل يلزم تكذيب هذا النص.

(ج) لا توجد مماثلة تامـة بين النبـي موسى والمسيـح لأن المسيح صـار في عقيدة النصارى إلهاً أما موسى فلم يكن إلهاً بل كان عبداً لله.

(د) في اعتقاد النصارى أن المسيح مات مصلوبـاً وصار لعنـة [انظر رسـالة بـولس في الإصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، عدد ١، عدد ١٣]، (أما النبـي مـوسى فلم يمت مصلوباً ولم يصر لعنة).

(هـ) إن المسيـح في عقيدة النصـارى دخل الجحيم (انـظر رسـالـة بـطرس الأولى ص ٣ عدد ١٩) لكن موسى لم يدخل الجحيم.

(و) إن النبـي موسى كان رجل حروب لكن المسيح لم يكن كذلك.

(ز) إن شريعة موسى تشتمل على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهـارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف شريعة المسيح، فهي خالية منها طبقاً لما تشهد به الأناجيل المتداولة والرسائل الملحقة بها، لأنه لم يأت بشريعـة مستقلة بل كـانت مكملة لشريعة التوراة .

(ح) وكيف نصـدق المماثلة بين النبـي مـوسى والمسيح وهم ينسبـون إلى المسيح

قولاً في الإصحاح العاشر عدد ٨ من إنجيل يوحنا عن الأنبياء الذين أتوا قبله ومنهم موسى النبي (جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص).

رابعاً:

إن التأمل في جملة: (وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بجميع ما آمره به) يجدها تختلف في مبناها ومعناها عن الجملة التي تصف الروح القدس بأنه (الناطق في الأنبياء)، كما تختلف الجملة الأولى المشار إليها عن تلك التي وردت برسالة بطرس الثانية إصحاح ١ عدد ٢٠، ٢١ في قوله: (عالمين هذا أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أنا من الله القديسون محمولين بالروح القدس). فإن جملة (وأجعل كلامي في فمه... إلخ) تعني أن ذلك النبي المبشر به يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب لكن يوحى إليه بكلام الله، فينساب بنصه ولفظه على فمه، ويكون أميناً على كتاب الله بحفظه فلم ينخرم فيه لفظ ولا اختل فيه معنى ولا تغير له ترتيب، ودون أن يزيد عليه، أو ينقص منه حرفاً واحداً. فإذا سئل من قومه عن مسألة ما فإنه لا يجيب عليها من عند نفسه، بل ينتظر ما ينزل عليه فيها من الآيات، ولو تضمنت الآية لفظ (قل) ذكره أيضاً بنصه مثل قوله تعالى:

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٢].

وكقوله: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٧].

فالكلام والكتاب المنزل على هذا النبي من الله وليس من الروح القدس ـ الذي هو ملك الوحي ـ، ودور ملك الوحي لا يخرج عن كونه سفيراً بين السماء وبين هذا النبي لنقل كلام الله بنصه في ألفاظه وحروفه ثم النزول به على قلب ذلك النبي، وبناء على ما سبق إيضاحه فإن النص المشار إليه لا يشير إلى كلام عام، ولا يشمل كل نبي لله، بل يشمل ويخص نبياً بعينه، له صفة الأمية، لا يقرأ ولا يكتب، بل يبلغ كلام الله الذي أنزل عليه، ومنها أمور غيبية وقعت كما أخبر عنها طبقاً لما احتوته صحاح السنة المطهرة... أما ما أورده الأنبا غريقوريوس من أقوال عن روح القدس فهي لا تخرج عن كونها أوصافاً خلعها النصارى على روح القدس فيقولون عنه: (الناطق في الأنبياء) فتعينهم في أمر التفسير للنصوص مثلاً مثل قول القديس بطرس: (عالمين هذا أن

كـل نبوة الكتـاب ليست من تفسير خـاص؛ لأنه لم تـأت نبوة قط بمشيئـة إنسان بـل تكلم أناسُ اللّهِ القديسون محمولين بالروح القدس).

ويبدو أن سبب الخلط عند النصـارى فيما هـو منسوب إلى الله وبين مـا هو منسـوب إلى روح القـدس، هو أنهم يعتقـدون أن الروح القـدس هو الله نفسـه لكنه اتصف بـأقنوم الروح القدس مثلمـا اتصف بأقنـوم الابن أو الكلمة، وهـذه هي الأقانيم الثـلاثة أو التثليث كعقيدة عند النصارى الأرثوذكس الأقباط، مع أن روح القدس هو كما وضحه النبـي أشعيا في سفره الملحق بكتاب التوراة في الإصحاح ١١ عدد ١ وما بعده هو أنـه: (روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمسـاكين . . . إلخ).

ويوضح ذلك العالم المسيحي سبينوزا في كتابه: رسالة في اللاهـوت والسياسـة في الفصل الأول وذلك بقوله: إن الروح القدس لا يعني سوى أنه كانت للأنبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دوماً وكانوا بالإضافة إلى ذلك قـادرين على إدراك فكر الله أو حكمه.

إذاً على من تصدق بشارة النبـي موسى المشار إليها في صدر هذا المقال؟

لا شك أن هذه البشارة لا تصدق إلا على النبـي محمـد ﷺ، لأنه خـرج من العرب أحفـاد إسماعيـل بن إبراهيم عليهمـا السلام، فهم إخـوة لبني إسرائيـل لأن إسحاق الـذي ينتسب إليه الإسرائيليون هو أخ لإسماعيل، وإبـراهيم الخليل هـو والدهمـا. . وقد ذكـرت التوراة طرفاً من شرف إسماعيل عليه السلام، وقد باركه الله سبحانه وتعالى كما بارك على إسحاق جدّ بني إسرائيل:

١ ـ فقـد ورد بالإصحـاح السادس عشـر من سفر التكـوين، عدد ١٠، ١١، ١٢، قول ملاك الله لهاجر أم إسماعيل:

(وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الـرب قد سمـع لمذلتـك وأنه يكـون إنساناً وحشياً يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن).

٢ ـ وكقوله في الإصحاح السابع عشر من السفر المذكور، عدد ٢٠:

(وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة) وهذه أمة الإسلام في الوقت الحاضر أبناء وأحفاد إسماعيل أمة كبيرة وهناك وجه تماثل بين النبي محمد ﷺ، وبين موسى عليه السلام في أمور كثيرة، منها على سبيل المثال:

١ ــ دعوة النبي محمد ﷺ إلى التوحيد الخالص مثل موسى في دعوته إلى التوحيد.

٢ ــ إنكاره من يدعو إلى غير الله وكذلك كان موسى النبي.

٣ ــ كونه عبداً لله، ورسولاً من عند الله وكذلك موسى عليه السلام.

٤ ــ إن له والدين كما لموسى عليه السلام.

٥ ــ أمره لأمته أن تدعوه عبد الله ورسوله.

٦ ــ كونه قد تزوج النساء وأنجب الأولاد.

٧ ــ كان كل منهما رجل حروب إذ جاهدا وحاربا أعداء الله.

٨ ــ لم يقتل أي منهما بل مات على فراشه، وكونه ﷺ مدفوناً في الأرض مثل موسى.

٩ ــ إن الكتاب الذي أنزل عليه اشتمل هو والسنة النبوية المطهرة على العقيدة والشريعة بأقسامها المختلفة، وأحكام تلائم الناس الذين بعث إليهم في المسائل المدنية والجنائية وأحكام الزواج والطلاق والمواريث، وذلك مثلما أنزل كتاب موسى في زمانه ملائماً لحال من أنزل إليهم.

١٠ ــ اشتمال القرآن الكريم مثلما اشتمل كتاب موسى على أحكام الطهارات والاغتسال والوضوء وفرائض الصلاة والزكاة وباقي العبادات.

ما هو رأي الإسرائيليين أنفسهم في هذه البشارة الواردة في أحد أسفار التوراة؟

لا شك أن الإسرائيليين هم أقدر الناس على فهم كتابهم وبيان المقصود من بشارة أنبيائهم، وقد تأكد من أقوال من برأه الله من التعصب الذميم منهم أن هذه البشارة لا تتعلق إلا بالنبي محمد ﷺ، فهذا هو شموائيل بن يهوذا بن أيوب كان من الإسرائيليين

في مدينة فاس بأقصى المغرب، اشتغل بالكتابة بالقلم العبري ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها ثم اطلع على سائر العلوم المختلفة، وقد توفي سنة ٥٧٠ هـ يقول في رسالته (بذل المجهود في إفحام اليهود) عن هذه البشارة: إنها دالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ ولا يستطيع كائن من كان أن يجحد تعلقها بنبي الإسلام.

مما تقدم يتبين بوضوح أن كتاب التوراة وهو كتاب موسى عليه السلام بشَّر ببعثة النبي محمد ﷺ وصدق الله إذ يقول في محكم آياته:

﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾ [سورة المزمل: الآية ١٥].



(٢)

قبل مجيئه تحدثت عنه أسفار الأنبياء[1]

نشرت إحدى الصحف الأسبوعية والتي تصدر في مدينة القاهرة مقالاً بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩٧٩ للقس برسوم شحاتة، أورد فيه بعضاً من البشارات التي وردت بأسفار الأنبياء من بعد موسى عليه السلام، وانتهى في مقاله إلى أنها تتعلق بالمسيح عليه السلام.

وهذه البشارات التي أوردها ذلك القس هي:

أولاً: ما عبر عنه حجي النبي بقوله: (مُشْتَهَى كل الأمم) وذلك في الإصحاح الثاني، عدد ٧ من السفر المسمى باسمه وهو سفر حجي والمذكور ضمن أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس.

ثانياً: قوله: ولقد عرف الأقدمون أن مسيا الملك المخلِّص العظيم هو وحده الذي سيخلص الإنسان من كبوته وعثرته.

ثالثاً: وفي روح النبوة تكلم الله عن (شيلون) الذي سيظهر في آخر الأيام من سبط **(يهوذا)** وهو السبط الملكي وليس سبط **(لاوي)**، فإنه واضح أن المسيح قد خرج من سبط يهوذا.

وفي ردنا على ما أورده ذلك القس، نسجل بداءة احترامنا وتقديرنا وإيماننا برسالة ونبوة السيد المسيح عليه السلام، وكذلك احترامنا لأمه السيدة مريم بنت عمران لأن إيماننا نحن المسلمين قد وسع كل من أرسله الله من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى:

---

(١) نشر بالجزء التاسع من مجلة الأزهر بالسنة الحادية والخمسين عن شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ أكتوبر سنة ١٩٧٩م.

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٥).

ولقد رسم القرآن الكريم صورة كريمة نقية للسيدة مريم والدة السيد المسيح عليه السلام، إذ وصفها بأنها كانت صدّيقة وفي زمانها فضَّلها على نساء العالمين.

قال تعالى:

﴿ما المسيح ابن مريم إلاَّ رسول قد خَلَت من قبله الرسل وأمه صدّيقة﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٥].

كما قال جلَّت كلماته فيما تحدثت به الملائكة الكرام إلى السيدة مريم:

﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ [سورة آل عمران: الآية ٤٢].

لكن مع ذلك وخدمة للحقيقة والبحث لا نوافق القس المذكور على تلك التفسيرات التي حررها وعلى تلك التأويلات التي فرضها على تلك النصوص طبقاً لما يلي:

أولاً: إذا رجعنا إلى النص الذي عبّر عنه حجي النبي في سفره والوارد بالإصحاح الثاني، عدد ٧ المتضمن لعبارة (مشتهى كل الأمم) نجده بنصه هو:

(وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود. . .).

ثم يستكمل باقي النص في قوله التالي في عدد ٩:

(مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود).

ولفظ (مشتهى كل الأمم) لا تعني إلاَّ رسولاً يأتي وتنتظره كل الأمم، وعبَّر عن ذلك الانتظار بلفظ مشتهى كل الأمم بمعنى أنه يخرج من غير العبرانيين، أو الإسرائيليين والذين يطلقون على أنفسهم حتى وقتنا هذا لقب شعب الله المختار أو الخاص، كما لا يكون مرسلاً إليهم خاصة بل إلى جميع أمم الأرض، لأن هؤلاء العبرانيين أو الإسرائيليين يذكرون من عداهم من الناس بتعبير الأمم.

فكيف إذاً تنطبق هذه البشارة عن (مُشْتَهَى كل الأمم) كما يدعي القس برسوم شحاتة على المسيح عليه السلام، وقد خرج هو ووالدته من شعب الإسرائيليين أو العبرانيين! هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن ما هو وارد بالأناجيل المتداولة على لسان السيد المسيح يفيد أنه لم يأتِ لإلقاء السلام أو إعطاء السلام على الأرض، بل أتى لإلقاء السيف والنار على الأرض.

فقد ورد بإنجيل متى: بالإصحاح العاشر، عدد ٣٤، ٣٥، ٣٦، قوله على لسان السيد المسيح:

(لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته).

كما ورد بإنجيل لوقا: بالإصحاح الثاني عشر، عدد ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، قوله على لسان المسيح:

(جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت).

(أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ كلا أقول لكم بل انقساماً، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب، والأم على البنت والبنت على الأم، والحماة على كنتها والكنة على حماتها).

وشبيهه بهذا أيضاً ما ورد بذلك الإنجيل: في الإصحاح الرابع عشر، عدد ٢٥، ٢٦، قوله على لسان المسيح:

(وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم: إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً).

فكيف يستقيم القول بالنصوص السابقة والمنسوبة إلى السيد المسيح وهي كلها ضد السلام على الأرض مع النص الوارد في سفر حجي النبي، والذي يبشّر بكلامه عن أن (مشتهى كل الأمم) يعطي السلام على الأرض خصوصاً في هذا المكان، وهي الأرض

المقدسة أرض فلسطين التي كانت موطن السيد المسيح، ودائرة دعـوته منـذ ظهوره وحتى ذهابه عن العالم.

أما عن رسالة السيد المسيح عليه السلام فإن المتتبع للأناجيل المتـداولة حـالياً بين النصارى يجد أنها كانت دعوة خاصة وقاصرة على شعب بني إسرائيـل فقط، فهذا إنجيـل متى: في إصحاحه الثاني، عدد ٦، يذكر القول المنسوب إلى الله فيقول:

(وأنت يـا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغـرى بين رؤساء يهـوذا لأن منـك يخـرج مدبر يرعى شعبـي إسرائيل).

كما ورد بإنجيـل لوقـا في: إصحاحـه الأول، عدد ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، قـوله عن السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح في بشارة الملاك لها بحمل السيد المسيح:

(فقـال لها المـلاك: لا تخافي يـا مريم لأنـك قد وجـدت نعمة عنـد الله، وهـا أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّيه يسـوع، هذا يكـون عظيمـاً وابن العلي يدعى ويعـطيه الـرب الإلّه كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد).

ولما بدأ المسيح عليه السلام في الدعوة إلى الإيمان برسالتـه أعلن على الملأ أنهـا قاصرة على شعب بني إسرائيل ولا تمت إلى غيرهم، لذلك نراه بإنجيل متى في إصحاحه الخـامس عشر عـدد ٢٤ يقول: (فـأجاب وقـال: لم أرسـل إلاَّ إلى خـراف بيت إسـرائيـل الضالة).

ولقد نبَّه السيد المسيح إلى مقدار احترامه لشريعة التوراة وأنـه ما جـاء إلاَّ ليكمِّلها، لا لإزالتها، فتراه كمـا يحكي عنه إنجيـل لوقـا: في الإصحاح السـادس عشر، عـدد ١٧، يقول:

(ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس). ويقصـد به شريعة التوراة.

وقد اختار السيد المسيح اثني عشر تلميذاً ليكونوا تلاميذه وأحباءه ومساعديه في نشر دعـوتـه، وكـان اختيـاره لهم من بين الإسـرائيليين أنفسهم، وينقـل ذلـك إنجيـل متى في محاورة بين المسيح وبين أحد تلاميذه وهو بـطرس، وذلك في الإصحـاح ١٩، عدد ٢٧، ٢٨ فيقول:

(فأجاب بطرس حينئذٍ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء، وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان (ويقصد المسيح نفسه بذلك) على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر).

فهنا قال لهم السيد المسيح إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط، ولم يقل لهم إنهم يدينون أهل الدنيا أو شعوب العالم، وفي هذا إشارة إلى أن رسالته (وهم من بعده على نهجه) قاصرة على شعب إسرائيل المتفرع من أسباط إسرائيل الاثني عشر، بل إن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه المذكورين لينشروا دعوته ويبثّوا تعاليمه بين الإسرائيليين كرر لهم الوصية بأن يقصروا الدعوة عليهم وحذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى، ولو كانوا جيراناً للإسرائيليين، ووارد كل ذلك بإنجيل متى: في الإصحاح العاشر، عدد ٥، ٦، فيقول:

(هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

بل إن إنجيل متى ينسب إلى المسيح عليه السلام أنه قال عن الإسرائيليين إنهم البنون، وغيرهم من الأمم بأنهم الكلاب، وكل ذلك وارد في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل متى، عدد ٢٦، في قوله:

(وقال ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب).

وقد كرر إنجيل يوحنا بأن المسيح ما جاء إلاَّ خاصته وما خاصته إلاَّ شعب بني إسرائيل (إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله) [انظر إنجيل يوحنا: في الإصحاح الأول، عدد ١١].

وبعد ذهاب المسيح عن العالم يؤكد خليفته بطرس أن يسوع المسيح ما جاء إلاَّ لخلاص الإسرائيليين وغفران خطاياهم، وذلك كما هو مذكور في سفر أعمال الرسل: بالإصحاح ١٠ عدد ٢٨ عدد ٣٦:

(الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح).

ويقول دين إنج، أحد كتّاب النصرانية في بلاد الغرب:

(إن المسيح كان نبياً لمعاصريه من اليهود ـ الإسرائيليين ـ ولم يحاول قط أن ينشىء فرعاً خاصاً به من بين هؤلاء المعاصرين، أو ينشىء له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم).

كما جاء في دائرة المعارف البريطانية:

(إن أسبق حواريّي المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية ديناً لليهود، وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل).

ويؤكد هذا المعنى الكاتب المسيحي وليم ياثون فيقول:

(إن الذي يقرأ رسائل بولس يرى أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى المسيح عن عالمية المسيحية، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره، لأن بولس هذا هو أول من قال بعالمية المسيحية، رغم أنه لم يرَ المسيح عليه السلام، ولم يتتلمذ على يديه، بل إنه كان حرباً على تلاميذ المسيح وعلى تعاليمه، ثم زعم أنه دخل في دعوة النصرانية بعد ذهاب المسيح عن العالم بحيلة زعم فيها أنه رأى المسيح، وعندما قبله حواريّو المسيح واطمأنوا إليه خرج عليهم بتعاليم مضادة لما تعلَّموه من المسيح). وذكر ذلك في رسالته إلى غلاطية بالإصحاح الأول، عدد ١ في قوله:

(وأعرفكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع).

وكلامه يشهد عليه بالكذب لأنه لم يجتمع بالسيد المسيح حتى يتلقى عنه، بل لم يجتمع بالحواريين تلاميذ وأصحاب المسيح إلَّا بعد ثلاث سنين ليتعرف بهم، ومكث خمسة عشر يوماً اتصل فيها ببطرس والحواري يعقوب فقط، وبعد أربعة عشر سنة لما ذاعت تعاليمه المغايرة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام دعوه ليحاجوه، ليقضوا على الفتنة في مهدها، فحضر مع الحواري برنابا ثم تشاجر معه، وندد بجميع الحواريين وكذبهم، ووارد كل ذلك في رسالته إلى غلاطية: بالإصحاح الثاني، عدد ٥، في قوله:

(الذين لم تذعن لهم بالخضوع ولا ساعة).

ثم تابع تهجمه على الحواريين في عدد ٦ ـ ٨، من تلك الرسالة، فقال:

(وأما المعتبرون أنهم شيء أي أنهم تلاميذ المسيح، مهما كانوا لا فرق عندي . . .
فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضاً للأمم).

فزعم بولس هنا أنه يقوم بتبليغ رسالة المسيح إلى الأمم رغم إقراره بأن تعاليم بطرس تلميذ المسيح هي إلى أهل الختان فقط أي إلى الإسرائيليين فقط.

إذاً على من تصدق البشارة السابقة؟ (مشتهى كل الأمم)؟

إن هذه البشارة لا تنطبق إلَّا على النبي محمد ﷺ، فقد أرسله الله من غير الإسرائيليين أي من الأميين، وبتعبير أولئك الإسرائيليين: كان من الأميين أي من غير الإسرائيليين، وكانت دعوته ﷺ إلى العالم أجمع وإلى الناس جميعاً: الأبيض والأسود والأحمر والأصفر.

قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ:

﴿وما أرسلناك إلَّا كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾ [سورة سبأ: الآية ٢٨].

وقال جلَّت كلماته:

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [سورة الأعراف: آية ١٥٨].

وإذا رجعنا إلى الأصل العبراني لكلمة (مشتهى كل الأمم) نجد أنها (حمدوت) الأمم أي محمود الأمم، واسم محمود هو من ضمن أسماء النبي[1] محمد ﷺ، فضلاً عن ذلك فإنه ﷺ أسري به إلى بيت المقدس قبل الهجرة، فزاد ذلك شرف بيت المقدس مما يوافق عبارة: أملأ هذا البيت مجداً أعظم من مجده الأول، أي من قبل تمام إسراء النبي إليه، وبعد وفاته ﷺ قام المسلمون بفتح بيت المقدس وحرروه من الرومان، فنعمت المدينة المقدسة بالسلام، لأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى السلام والأمان لسكان بيت المقدس، وذلك بعقد المعاهدة وتوثيق شروط الصلح مع أهل تلك المدينة، ولم تنعم المدينة منذ تلك البشارة بهذا السلام الحقيقي إلَّا على يد ذلك الخليفة المسلم العادل، وهذا يوائم عجز النص المشار إليه في قوله: (وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود).

ثانياً: إن لفظ (مسيا) كان يعني عند الإسرائيليين معنى (رسول يأتي من عند الله)،

---

(١) وهذا ما حققه الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي مطران مدينتي الموصل وديار بكر في القرن الماضي، وذلك في أبحاثه التي ضمنها كتابه (الإنجيل والصليب) في الباب الثالث والمحفوظ حالياً بدار الكتب المصرية.

وهذا ما وضحه الأستاذ عوض سمعان الباحث النصراني القبطي في كتابه: (الله: طرق إعلانه عن ذاته)، وفيه يقرر أن اليهود ومنهم تلاميذ المسيح كانوا ينتظرون (المسيا) وأن هذا (المسيا) بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز بأنه من عند الله، وليس هو ذات الله.

ونفس هذا المعنى أشار إليه برنابا في إنجيله عن مناقشة بين امرأة سامرية وبين المسيح عليه السلام إذ يقول في الفصل الثاني والثمانين:

(أجابت المرأة: إننا ننتظر (مسيا) فمتى جاء يعلمنا، أجاب يسوع ـ وتعني هذه الكلمة اسم المسيح ـ: أتعلمين أيتها المرأة أن (مسيا) لا بد أن يأتي؟ أجابت: نعم يا سيد. حينئذٍ تهلل يسوع وقال: يلوح لي أيتها المرأة أنك مؤمنة فاعلمي إذاً أنه بالإيمان (مسيا)، سيخلِّص كل مختاري الله، إذاً وجب أن تعرفي مجيء (مسيا) قالت المرأة: لعلك أنت (مسيا) أيها السيد؟ أجاب يسوع: إني حقاً أرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص، لكن سيأتي بعدي (مسيا) المرسل من الله لكل العالم).

من هذا النص ومن النص السابق إليه في سفر حجي النبي يتضح أن المسيح عليه السلام لم يكن هو (المسيا) كما يدَّعي النصارى، خصوصاً وأن النصارى تغالوا في المسيح فرفعوه من مرتبة النبوَّة والرسالة إلى مرتبة الألوهية، وجعلوه أحد الأقانيم الثلاثة المقدسة المكونة للثالوث الإلّهي على حد اعتقادهم، رغم أنه كثيراً ما كان يعبر عن نفسه كما سبق أن قدمنا بأنه ابن الإنسان طبقاً لما هو مذكور في الأناجيل المتداولة ورغم أن تلميذه بطرس يقرر في الإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل، عدد ٢٢، بنفس هذا المعنى بقوله:

(يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون).

ويذكر برنابا في إنجيله أن الإسرائيليين طلبوا من المسيح عليه السلام أن يبين لهم اسم هذا النبي الذي لقبوه بمسيا أي (برسول الله) فيقول في الباب السابع والتسعين:

(فقال حينئذٍ الكاهن ماذا يسمى مسيا وما هي العلاقة التي تعلن بمجيئه؟ أجاب يسوع: إن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه...).

ثم يقول: (إن من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً، ومتى أرسلتك

إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص، وتكون كلمتك صادقة، حتى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً إن اسمه المبارك محمد. حينئذٍ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم).

وشبيه بذلك ما ورد بإنجيل يوحنا في إصحاحه الرابع عشر، عدد ١٥، ١٦، ١٧ في قوله عن المسيح:

(إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعيناً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق). كما ورد في الإصحاح السادس عشر من نفس الإنجيل، عدد ١٣، قوله:

(وأمّا متى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية).

ويعلق العالم الفرنسي الدكتور موريس بوكاي في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) عن النصوص السابق الإشارة إليها والواردة في إنجيل يوحنا بقوله:

(إن المسيح يبشر بأن الله سيرسل إلى البشر وسيطاً آخر، كما كان هو وسيطاً لدى الله، وفي صالح البشر في أثناء حياته على الأرض، وأن هذا الوسيط هو الـ (Panaclet) مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام فهو نبي من البشر يسمع كلام الله، ويكرر على مسامع البشر رسالته، فهو إعلان بمجيء نبي بعد المسيح).

وقد بيّنا أن ما تعنيه عبارة المعزى باللغة اليونانية وهي أساس ترجمة إنجيل يوحنا إلى كل لغات العالم هو لفظ (Hepikhatoz)، وقد ترجمت إلى باقي اللغات الأوروبية (Penicletos) ورسمت باللغة العربية (البارقليط) وذلك في طبعات الكتاب المقدسة القديمة، وتعني هذه العبارة في معناها الحرفي (أحمد) الذي هو من أسماء رسول الله محمد ﷺ.

كما ذكرنا ما يؤيد ذلك بشهادة بعض علماء النصرانية المحققين خصوصاً المستشرق الإيطالي الدكتور (كارلونيلنو) عندما سأله المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار عن العبارة المذكورة قال: إن معناها (الذي له حمد كثير) وهو ما يوافق أفعل التفضيل في اسم أحمد، ويتفق مع ما ذكره القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام في البشارة به إلى قومه من الإسرائيليين في قوله:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

أما القول بأن المسيح عليه السلام كان مَلِكاً فلا أساس له من الحقيقة ولا ظل له من التاريخ، والمتتبع لحال الإسرائيليين من خلال قراءة الأناجيل المتداولة والمعترف بها بين النصارى يرى أن الإسرائيليين فرحوا أولاً بالمسيح، لأنه كان في اعتقادهم آتياً ليخلصهم من عبودية الرومان وليخضع الأمم والشعوب لسلطانهم، فأخذوا يعدون العدة للمناداة به قائداً لهم وزعيماً، ثم تنصيبه ملكاً عليهم، ليقوم بتنظيم صفوفهم وقيادتهم في حربهم التحريرية ضد الرومان، وكانوا ينادونه كثيراً ملك اليهود، حتى أنه عند دخوله في مدينة القدس والتي كانت تدعى سابقاً (أورشليم) واستقبالهم له قبل عيد الفصح اليهودي فرشوا له ملابسهم في طريق موكبه، وأخذوا يلوحون له بالرياحين والأغصان مرددين قولهم: (السلام عليك يا ملك اليهود، تبارك الآتي باسم الرب).

ولما عزم اليهود على تنصيب المسيح رسمياً ملكاً عليهم رفض العرض وفرَّ إلى الجبل هارباً منهم ومن احتفالهم، وقد صرح بذلك إنجيل يوحنا: في الإصحاح السادس، عدد ١٤، ١٥، في قوله:

(فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف إلى الجبل وحده).

وعندئذٍ تحطمت آمال اليهود في المسيح، وتبخَّرت أحلامهم في الخلاص على يديه وفي استعادة مجدهم الضائع، وكانت هذه الصدمة الكبيرة فيه كافية لتحويل حبهم له إلى كراهية طاغية، فكان ما كان من أمر تفكيرهم في قتله والتخلص منه.

ثالثاً: أما عن شيلون فإن النص كما هو مذكور بسفر التكوين: في الإصحاح التاسع والأربعين، عدد ١٠، قوله:

(لا يزول قضيب من يهوذا أو مشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب).

والشعوب المختلفة لم تخضع إلَّا لشريعة الإسلام مما يشير بأن شيلون هذا مقصود به النبي محمد ﷺ، ومما يؤيد هذا المعنى أن النص المذكور عن نسخة لندن في ترجمته

هو: (حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم)، مما يتفق مع النص الوارد بسفر حجي النبـي السابق مناقشته والمتضمن البشارة بمشتهى كل الأمم.

وفي زمن السلطان بايزيد العثماني سلطان تـركيا اعتنق حبـر من أحبار الإسـرائيليين الدين الإسلامي، وسمّى نفسه عبد السلام، وكان ماهراً في اللغة العبرانيـة مجيداً لـدراسة التوراة خبيراً بتفسيرات نصوصها وتوضيـح ما خفي منهـا من كلام الأنبيـاء الذي كـان أكثره رموزاً انطوت على مقاصد خفية لا يمكن إدراكها إلاَّ عند حدوث ما تشير إليه، ولذلك ألف كتـاباً سمّـاه بـ (الرسـالة الهـادية)، يـوضح فيهـا مـا غمض على بني قـومـه السـابقين من الإسرائيليين، وقد أورد في تلك الرسالة كلام جـد بني إسرائيـل الذي سلفت الإشـارة إليه وترجمها من لغة التوراة العبرانية إلى اللغة العربية كالآتي:

(لا يـزول الحكم من يهوذا، ولا راسم من بين رجليـه حتى يجيء الـذي لـه وإليـه تجتمع الشعوب). وقال عنها: المراد من الحاكم من يهـوذا هو مـوسى عليه السـلام، لأنه بعد يعقوب مـا جاء صـاحب شريعـة إلاَّ موسى، وأن المـراد من الراسم هـو المسيح عليـه السـلام لأنه بعـد موسى مـا جاء صـاحب شريعـة إلاَّ المسيح (وإن كـانت شـريعتـه مكملة لشريعة التـوراة) وبعدهمـا ما جـاء صاحب شـريعة إلاَّ النبـي محمـد ﷺ، لذلـك كان هـو المراد من كلام يعقوب في آخر الأيام، ويؤكده بقوله: (حتى يجيء الذي له) أي الذي له الحكم، وأما قوله: وإليه تجتمـع الشعوب فهي دلالـة واضحة وعـلامة صـريحة على نبـي الإسلام، لأن الشعوب ما اجتمعت إلاَّ إليه، وكان دينه عالمياً إلى الناس والشعوب جميعـاً بوصفه رسولاً بشيراً ونذيراً للعالم أجمع.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن ما ذكره القس برسوم شحاتـة من أن المسيح عليـه السلام كان من سبط يهوذا هو قول غير سليم، لأنه طبقاً لما ذكره إنجيل متى في إصحاحه الأول، وما ذكره إنجيل لوقا في آخر الإصحاح الثالث، فإن يوسف النجـار هو الـذي كان من سبط يهـوذا، ولا يوجـد أي ارتباط نسبـي بين المسيـح وبين يوسف النجـار هـذا، اللهم إلاَّ إذا طعن في شـرف أمه بـأنه جـاء نتيجة اتصـال غير شـرعي قبل الـزواج من خطيبهـا يـوسف النجار، كما يزعم الإسرائيليون ذلك (معاذ الله)! لذلك كان نسب السيد المسيح من جهـة أمه السيدة مريم حيث كانت من نسل هارون عليه السلام، أي أنـه كان من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وهو جدّ النبـي هارون، وليس من سبط يهوذا، كما ذكر ذلك القس.

والخلاصة التي ننتهي إليها مما ذكرناه آنفاً أن بشارات الأنبياء السابق الإلماع إليها عن (مشتهى كل الأمم) وعن (المسيا) وعن (شيلون) إنما تشير إلى النبي محمد ﷺ وليس إلى أحد سواه، هذا هو الحق، ولا داعي لإنكاره أو إخفائه أو تلبيسه بالباطل، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧١].



(٣)

نبيّ الإسلام محمد صلَّى الله عليه وسلَّم[١]

هل بشَّرت به أسفار الهندوس والمجوس وتوراة السامريين المقدسة؟

حملت إلينا الأنباء الواردة من شبه القارة الهندية نبأ اعتناق (١٣٠٠) فرد من طائفة المنبوذين الهنود للإسلام، وهم يشكلون تعداد قرية (ميتاكشيبورام) التي تحولت بأكملها إلى الإسلام.

والمنبوذون في الهند وإن كانوا طائفة من الهندوس إلَّا أنهم محرومون من المساواة معهم في العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، مع أن عددهم في عموم بلاد الهند يبلغ مائة مليون نسمة من مجموع سكان الهند الذين يبلغ عددهم (٦٨٤) مليوناً طبقاً لآخر إحصاء أُجري هناك، ومن هذا العدد الأخير أيضاً (٨٠) مليوناً من المسلمين.

ومع أن أول دستور صدر في بلاد الهند عام ١٩٥٠ بعد الاستقلال نص على بعض المزايا للمنبوذين لتعويضهم عن فقرهم وبؤسهم وتخصيص نسبة لهم في المعاهد والمدارس، وكذا في الوظائف؛ إلَّا أن غالبيتهم العظمى بقيت على حالها التي كانت قبل الاستقلال تعاني صنوف الذل والمهانة والشقاء فكانوا أحط من البهائم وأذل من الكلاب طبقاً لما يقضي به القانون المدني الديني هناك ويسمىٰ (منو شاستو) بالآتي:

١ ــ على المنبوذين أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك.

٢ ــ ليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدّخروا كنزاً فإن ذلك يؤذي البراهمة.

٣ ــ وإذا مدَّ أحد من المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده.

---

(١) هذا البحث نشر في مجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٥٦ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ، ديسمبر ــ يناير ١٩٨٦م.

٤ ــ وإذا رفسه في غضب فدعت رجله.

٥ ــ وإذا همَّ أحد المنبوذين أن يجالس برهمياً يعاقب بالكي والنفي من البلاد.

٦ ــ وأما إذا مسه بيده أو سبه فيقتلع لسانه.

٧ ــ وإذا ادعى أنه يعلِّمه سُقي زيتاً فائراً.

٨ ــ للبراهمة أن يأخذوا من مال عبيدهم المنبوذين من غير جريرة ما شاؤوا، لأن العبد لا يملك شيئاً وكل ماله لسيده.

٩ ــ والبرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق المنبوذ الذي ناهز مائة سنة.

١٠ ــ وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء.

وقد وصلت حالة الاضطهاد بأولئك المنبوذين إلى مجال العبادة، فهم محرومون من دخول معابد الهندوس ولا يسمح لهم إلَّا بالتردد على معابدهم الخاصة، وفي القرى يحال بينهم وبين أن يشربوا الماء من آبار طائفة البراهمة، كما وأنهم يمنعون من دخول محال تجارتهم.

وقد ظل هؤلاء المنبوذون مغلوبين على أمرهم باستثناء بعض المحاولات الفردية حتى بدأوا يكتشفون الإسلام ويعتنقونه على نطاق فردي في البداية، ثم زاد عددهم حتى جاء هذا الاعتناق الجماعي للإسلام من إحدى قرى هؤلاء المنبوذين، فوجدوا في الإسلام طريقاً للخلاص مما لم يتحقق لهم قبل استقلال الهند عام ١٩٤٧ ولا منذ هذا الاستقلال حتى الآن.

وقد هدد زعيم المنبوذين بأن ٢٢ ألفاً في قرية مجاورة سيتحولون إلى الإسلام، وفي قرية ثالثة اعتنق الإسلام ٢١ فرداً، وفي قرية رابعة اجتمع مائة منبوذ وأقسموا أنهم سيتحولون إلى الإسلام.

وفي ولاية أخرى اكتشف أن خمسة عشر ألف منبوذ يخططون لحركة مماثلة، كما هدد خمسة وعشرون ألفاً في قرية سادسة وخمسة أسر في قرية سابعة وكذا خمسمائة في قرية ثامنة، وستمائة في قرية تاسعة هدَّدوا جميعاً بأنهم في طريقهم للإسلام.

هذا ما ورد بمجلة آخر ساعة بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٤٠١هـ الموافق ١٩ أغسطس

سنة ١٩٨١م وجريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ ٢٧ شوال سنة ١٤٠١هـ الموافق ٢٧ أغسطس سنة ١٩٨١م.

لماذا كان اعتناق المنبوذين للإسلام وليس لأي دين آخر؟

مع التسليم بأن هؤلاء المنبوذين وجدوا في الإسلام المساواة التي ينشدونها والكرامة التي يبحثون عنها، فهم بعد إسلامهم تمتعوا بالمساواة التامة مع المسلمين في كافة الحقوق والواجبات، فشربوا معهم من نفس الآبار، وصلوا معهم في نفس مساجدهم دون أي تفرقة، ودخلوا بيوتهم ومحال أعمالهم، ولم يشعروا معهم بأي تفرقة أو عنت أو اضطهاد أو شذوذ في المعاملة.

وفضلاً عما امتاز به الإسلام من عقيدة سهلة في الألوهية هي عقيدة الوحدانية بأن يكون الإيمان بالله وحده، فلا تعقيد ولا تناقض ولا اضطراب، والكفر بالطاغوت مهما كان وأينما كان، إلاَّ أن هذا الحدث الجليل والاعتناق الجماعي للإسلام يخفي وراءه أسراراً قد تكشف عنها أسفار الهندوس والمجوس المقدسة، فهي قد بشرت بشريعة الإسلام وبرسالة النبي محمد ﷺ مما قد يكون من البواعث الهامة والمؤثرة على هؤلاء المنبوذين في اختيارهم للإسلام واعتناقهم له دون غيره من العقائد والملل الأخرى.

كيف بشرت كتب الهندوس المقدسة بنبي الإسلام؟

أولاً: في الساما فيدا (Sama Vida) وهي من كتب براهمة الهند ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني في الساما فيدا المذكورة أن أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس.

ثانياً: في كتاب الآثارفا فيدا (Atharva Vida) وهو من كتب البراهمة في الهند مذكور به النبي محمد ﷺ بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والسمعة البعيدة، وهو اسم سشرافا (Sushrava) حيث يثار إلى حرب أهل مكة وهزيمة (العشر والستين ألفاً مع تسعة وتسعين) وهم تقدير أهل مكة وزعماء القبائل الكبار ووكلائهم الصغار، كما كانوا يوم قاتلوا النبي صلوات الله وسلامه عليه.

ثالثاً: قد يكون كتاب الآثارفا فيدا أشار إلى وصف الكعبة المشرفة حيث يسميها بيت الملائكة ويذكر من أوصافه أنه ذو جوانب ثمانية وذو أبواب تسعة.

ويفسر مولانا عبد الحق قدبارئي من علماء الهند أن الأبواب التسعة هي الأبواب المؤدية إلى الكعبة وهي.

١ ــ باب إبراهيم.
٢ ــ باب الوداع.
٣ ــ باب الصفا.
٤ ــ باب علي.
٥ ــ باب عباس.
٦ ــ باب النبي.
٧ ــ باب السلام.
٨ ــ باب الزيارة.
٩ ــ باب حرم.

أما أسماء الجوانب الثمانية حيث ملتقى الجبال فيقول عنها مولانا عبد الحق قدبارئي أنها:

١ ــ جبل خليج.
٢ ــ جبل قيقعان.
٣ ــ جبل هندي.
٤ ــ جبل لعلغ.
٥ ــ جبل كندا.
٦ ــ جبل أبي حديدة.
٧ ــ جبل أبي قبيس.
٨ ــ جبل عمر.

رابعاً: ومن عجائب الصدف أن يعرض أحد الطلبة الهنود بحثاً عن الهندوكية على أحد أساتذته من المسلمين، وقد تضمن بشارات عن النبي محمد ﷺ في أسفار الهندوس المقدسة وقد جمعت بين اسمه ونعته، كما ورد في كلام النبي أشعياء في أسفار اليهود المقدسة، وفي كلام المسيح عليه السلام في أناجيل النصارى المتداولة.

فقد جاء في الكتاب المقدس (يهو شيابران) أن رجلاً جاء في المنام إلى الملك يهوج ملك السند فقال له: (عليك أن تلحق بدين رجل ظهر في الصحراء، وهو مختون له كلام يسمع، اصطفاه برهما، يأكل الطيبات من اللحوم، تظهر على يديه معجزات كثيرة، وهو محفوظ من أعدائه، اسمه محامد). (يعني كثير الحمد).

وبرهما يعني الإلّه في كتب وعقيدة الهندوس.

وقد تكرر لفظ أحمد وأحامد في آثارويد (منتر ٨ سوكت ٦ ــ منتر ٣٠) وكذلك تكررت كلمة حامد سام ويد (منتر ١٥٢ ــ منتر ١٥).

وقد نقل ذلك عن مجلة كانتي الهندية الصادرة في مدينة دلهي عدد ٨ يوليو سنة ١٩٦٩ بقلم (ويد بركاش).

كتب زرادشت المقدسة والتي اشتهرت باسم «الكتـب المجـوسيـة» تبشّر بنبـي الإسـلام:

أولاً: في كتاب زند آفستا (Zend Avista):

يوجد بهذا الكتاب وصف عن الرسول بأنه رحمة للعالمين (سوشيانت).

ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القـديمة أبـو لهب، ويدعـو هذا الـرسول إلى إلّـه واحد لم يكن له كفواً أحد، وليس لـه أول ولا آخر ولا صـاحب ولا أم ولا أب ولا صاحبـة ولا ولـد ولا ابن، ولا سكن ولا جسـد ولا شكـل ولا لـون ولا رائحـة، وهـذه هي جملة الصفـات التي يوصف بهـا الله سبحانـه في الإسلام، أحـد صمد، ﴿ليس كمثله شيء﴾، ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً﴾، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

ثانياً: كمـا يوجـد بكتب الزرادشتيـة ما يشيـر إلى دعوة الحق التي يجيء بهـا النبـي الموعود وفيها إشارة إلى البادية العربية وذلك في قوله:

(إن أمـة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعـون، وينهض رجل في بـلاد العـرب يهـزم أتباعُـه فارس، ويخضـع الفرس المتكبـرين، وبعد عبـادة النار في هيـاكلهم يـولـون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئـذٍ يصبحون وهم أتبـاع للنبـي رحمـة للعـالمين وسـادة فـارس، ومـديـان، وطـوس، وبلخ، وهي الأمـاكن المقـدسـة للزرادشتيين ومن جاورهم، وأن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث المعجزات).

وشبيه بذلك ما ورد بالتوراة السـامريـة التي تقدسهـا طائفـة اليهود السـامريين، فهي تشمل على ذكر اسم النبـي محمد ﷺ طبقاً لما يلي:

يقول المرحوم الأستاذ أحمد زكي شيخ العروبة: إنه حصل سنـة ١٩١٣ على نسخة من التوراة كانت لـدى شلبـي سامـري من طائفـة اليهود السـامريين وهي منقـولة من أقـدم نسخة من التوراة تحتفظ بهـا تلك الطائفـة المتوطنـة في مدينـة نابلس، وقـد كانت تـدعى قديماً إبان سلطان اليهود على فلسطين مدينة السامرة.

ولما كانت مكتوبة بلغة لا أفهمها أوصيت صديقي نور الدين مصطفى بشـرائها، في أثنـاء زيارتي لفلسـطين ذهبت إلى جبل جـرزيم الذي يقـدسه السـامريـون بمدينـة نـابلس واجتمعت بصديقي شلبـي وبطائفته وتعددت مباحثاتي معهم ومع كبير كهنتهم «إسحـاق بن عمران» على الأخص.

وقال: إن التوراة التي اشتراها مترجمة إلى العربية عبارة عن مجلدة تحتوي على ٦٦٥ صفحة من قطع الورق الصغير، وهو لا يشمل سوى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة لأن اليهود السامريين لا يعتقدون في صحة شيء من الأسفار المضافة إلى هذه الأسفار الخمسة.

وقال: إن كل صفحات الكتابة مكتوبة بلغة عربية، وقد تخللتها كتابات باللغة السامرية، والعبارات المكتوبة بهذه اللغة هي التي تؤدي في معناها أسرار السامريين، ولم يشأ مترجم التوراة أن ينقلها إلى العربية بل أبقاها سامرية كما هي، ومن هذه العبارات جملة في آخر الإصحاح السابع عشر. أي في الصحفة رقم ٣٩ من الكتاب، وقد كتب الكاهن السامري الأعظم بخط يده على هامشها عبارات رتبها كما يلي:

٩٢

بماد ماد (محمد)

أي جدا جدا

لجوي جدول

أي شعبا عظيماً

أي محمد

٩٢

ثم وضع في ذيلها الجملة الآتية:

(انظر كيف أن الله في كلمة من كلامه تعالى فيها أسرار مدموجة وآيات عظيمة).

حرره العبد الفقير إسحاق الكاهن السامري.

هذا ما أورده أحمد زكي باشا في جريدة البلاغ القاهرية في ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٣.

١ ــ والجملة التي في آخر الإصحاح السابع عشر نصها الآتي: كما وردت بسفر التكوين:

(وفي إسماعيل استجبت منك هو ذا باركته وأثمره وأكثره جداً جداً اثنا عشر رئيساً يولد وسأجعله شعباً عظيماً).

وهذا النص يقارب في كثير ما ورد بتوراة العبرانيين في نفس سفر التكوين.

٢ ــ وقد قال كثير من علماء اليهود السامريين والعبرانيين: إن كاتب التوراة قد وضع بماد ماد ولجوي جدول في سياق بركة إسماعيل لتدل كل كلمة منهما على اسم النبي الآتي من إسماعيل للبركة بحساب الجُمَّل، أي إذا أتى من آل إسماعيل من يدعي النبوة يقارنون اسمه على (بماد ماد) أو (لجوي جدول) فإذا وجدوا اسمه مساوياً بحساب الجُمَّل لحساب بماد ماد أو لجوي جدول يعرفون أنه النبي المنتظر من آل إسماعيل.

وكلمة محمد بحساب الجمل عددها اثنان وتسعون وهي تساوي بحساب الجمل (بماد ماد) لأن عددها اثنان وتسعون أيضاً، كما أن عدد (لجوي جدول) بحساب الجمل اثنان وتسعون أيضاً.

٣ ــ ومن العبرانيين الذين اعترفوا بالإسلام واعتنقوه (شموئيل بن يهوذا بن أيوب) وقد ألف رسالة في ذلك باسم (بذل المجهود في إفحام اليهود) ردّ فيها علىٰ طائفته من اليهود العبرانيين في إنكارهم للإسلام وذلك بنصوص من التوراة على صدق رسالة النبي محمد ﷺ.

ومن السامريين الذين اعترفوا ولم يسلموا (أبو الفتح بن أبي الحسن السامري الدنغي) مؤلف كتاب (التاريخ مما تقدم عن الآباء) فقد كتب فيه عن رسول الله ﷺ: (ومحمد ما أساء إلى أحد من أصحاب الشرائع).

بماذا يعلل الباحث وجود هذه البشارات بنبي الإسلام بتلك الأسفار المقدسة:

رغم أن الباحث تتملكه الدهشة من وجود هذه البشارات عن نبي الإسلام محمد ﷺ، بل يتملكه العجب من صراحتها عن اسمه تارة وعن بلده تارة أخرى، أو عن صفاته الواردة بتلك الأسفار، إلّا أنه يخرج بنتيجة واضحة، هو أن ديانة الهندوك وكذا ديانة زرادشت هما أثران من آثار ديانة سماوية قديمة، لا نعلمها، قام بالدعوة إليها بعض رسل الله المجهولين لنا، وقد ذكر القرآن الكريم أن الله أرسل إلى كل أمة رسولاً لهدايتها إلى طريق الحق، ويحذرها من سلوك طريق الضلالة، وذلك حتى لا يكون للناس حُجة على الله بعد الرسل، فتضمنت فيما تضمنت من تعاليم تلك البشارات شيئاً عن نبي آخر الزمان محمد ﷺ باعتباره الرسول المكلف بتبليغ خاتمة رسالات السماء إلى أهل الأرض جميعاً فيقول جلّت كلماته:

﴿وإنْ من أمة إلَّا خلا فيها نذير﴾ [سورة فاطر: الآية ٣٤].

﴿ورسلاً قد قصَصْناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقْصصْهم عليك، وكلّم الله موسى تكليماً، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [سورة النساء: الآيتان ١٦٤ ـ ١٦٥].

أما ما جاء في توراة السامريين عن اسم النبي محمد ﷺ فهو مصداق قوله تعالى:

﴿الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونَه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلّ لهم الطيباتِ ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرهَم والأغلالَ التي كانت عليهم﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٧].

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿وإذ أخذ اللَّهُ ميثاقَ النبيين لَما آتيتكم من كتاب، وحكمة، ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لَتؤمِنُنَّ به ولتنصرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا: أقررنا قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين؛ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٨١ ـ ٨٢].

فقد أخذ الله العهد على النبيين جميعاً إبلاغ أمتهم بنبوة ورسالة النبي محمد ﷺ بوصفها الرسالة العامة للناس جميعاً الخاتمة لرسالات السماء إلى الأرض، حتى إذا ما أرسل وبعث في الزمان الذي شاء الله له قامت تلك الأمم بتصديقه ونصره وتأييده فيما جاء به من الحق، وفي ذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه فيما رواه عنه ابن جرير:

(لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده إلَّا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، ثم تلا الآية الكريمة السابقة).

ويبدو أن هاتين الديانتين (الهندوكية والزرادشتية) مع مرور الأزمان والحقب ضاع من أصولها الكثير، وأضاف إليها الكهنة الكثير، مما جعلهما بعيدتين عن الحق وعن التوحيد الخالص لله رب العالمين، وعن الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ.

وأما عن السامريين فشأنهم شأن العبرانيين أنكروا عقيدة الإسلام ورسالة نبيه ﷺ حسداً من عند أنفسهم وجحوداً وكفراً.

ويقول جلّت كلمات:

﴿فمَنْ تولّى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٢].

أي فمن أعرض عن الإيمان بمحمد ﷺ بعد هذا الميثاق والإقرار والشهادة، فأولئك هم الخارجون في الكفر إلى أفحش مراتبه المستحقون لأشد أنواع العقاب والعذاب.

ولما كان دين الأنبياء واحداً، ودين محمد ﷺ هو دين الله، وهو دين الأنبياء جميعاً، أتبع الله التهديد في الآية السابقة قوله تعالى:

﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٣].

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥].



(٤)

روح الحق في إنجيل يوحنا وهل هو النبي محمد ﷺ[1]

سبق للدكتور محمد السنباطي المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر أن حرر مقالاً نشرته جريدة الجمهورية القاهرية في عددها الصادر صباح يوم الجمعة ١٧ من فبراير سنة ١٩٧٨ تحت عنوان (رسول السلام لكل البشر) بمناسبة المولد النبوي أورد في هذا المقال نصّاً من إنجيل يوحنا: في الإصحاح ١٦، عدد ١٣، ١٤، وهو قوله على لسان المسيح عليه السلام:

(وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آنية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم).

وانتهى الدكتور محمد السنباطي في مقاله إلى القول بأن المسيح عليه السلام في هذا النص إنما يحدث عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام (فمحمد هو نور الحق والحق هو السلام).

إلَّا أن هذا الرأي لم يلقَ قبولاً من جانب بعض طوائف النصرانية، لذلك نشر أحد كهنتهم وهو الدكتور غريغوريوس تعليقاً في صحيفة الجمهورية بتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٧٨ خلص فيه إلى أن سياق الحديث في النص الوارد بإنجيل يوحنا السابق الإشارة إليه عن روح الحق هو عن (الروح القدس) وليس عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، بناء على تحقق وعد المسيح عليه السلام لتلاميذه ورسله وحوارييه عنه في يوم الخمسين، كما أورده سفر أعمال الرسل في إصحاحه الثاني.

---

(١) نشر بمجلة الأزهر بالجزء الرابع من السنة الخمسين شعبان سنة ١٣٩٨هـ يوليو سنة ١٩٧٨م.

وقد حرر الدكتور محمد السنباطي مقالاً آخر وافياً تحت عنوان: بيان وبيان (بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٧٨، ورَدَ فيه: أن النص المذكور يشير في تفسيره إلى أن روح الحق هو محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك بناء على شهادة كبار الدعاة والباحثين المسيحيين من أمثال (الأستاذ إبراهيم خليل) الذي كان أستاذاً للعقائد بكلية اللاهوت بأسيوط، وقسيساً مبشراً بالإرسالية الألمانية في أسوان سابقاً ـ في كتابه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، كما أورد شهادة الأستاذ (بشرى زخاري ميخائيل) في كتابه (هكذا بشرت الأناجيل).

ولئن كان في المقال القيم للدكتور محمد السنباطي الكفاية إلاَّ أنني أرى من واجبي خدمة للبحث العلمي أن أضيف النقاط الآتية:

يذكر الدكتور غريغوريوس: (أن سياق الحديث يشير إلى أن روح الحق هو الروح القدس بناء على تحقق وعد المسيح عليه السلام لتلاميذه ورسله وحوارييه عنه في يوم الخمسين لقيامته من بين الأموات)، طبقاً لما ورد في سفر أعمال الرسل في إصحاحه الثاني، وبالرجوع إلى هذا الإصحاح الثاني في سفر أعمال الرسل يتبين أنه لا يشير من قريب أو من بعيد إلى **أن روح الحق هو روح القدس**، بل إن عبارة (روح الحق) لم ترد إطلاقاً في الإصحاح المذكور، لذلك كان ما ذهب إليه الأنبا غريغوريوس في تفسيره من أن **(روح الحق)** هو **(روح القدس)** قولاً لا دليل له عليه، وفيه تحميل للنصوص بما لا تحتمل. والروح القدس كما فسره الفيلسوف سبينوزا في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) يعني الفكر الصائب المستقيم المستوحى من الله، أما عن روح الحق فهو ليس بهذا المعنى، والحقيقة أن (روح الحق) نبي إنسان كما يشير النص به، وقد وضَّحه القديس يوحنا نفسه صاحب الإنجيل في رسالته الأولى بالإصحاح ٤ عدد ١ في قوله:

(أيها الأحبَّاء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله).

وقد استكمل القديس يوحنا ذلك الإيضاح بدقة في عدد ٦ من تلك الرسالة، بقوله:

(من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال) أي من هذا نعرف النبي الصادق من النبي الكاذب، ويكون ذلك بعد اختبار هؤلاء الأشخاص وامتحانهم.

وفيما ذكره السيد المسيح عليه السلام طبقاً لما ورد عنه بالإصحاح ١٦، عدد ١٣، بإنجيل يوحنا، في قوله:

(لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية).

قول لا يصدق إلَّا على إنسان يأتيه الوحي من السماء فهو لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع به من أمور الوحي يتكلم به، فروح الحق طبقاً لهذا النص له صفة السمع والصفة لا تقوم إلَّا بذات.

وهذه البشارة ألا تصدق في دلالتها على نبي الإسلام محمد ﷺ، إذ كان إنساناً يأتيه الوحي من السماء، فيبلغه للناس بعد سماعه له، لذلك فهو لم يتكلم من نفسه، بل كل ما سمع من الوحي تكلم به، وأخبر بكثير من الأمور الغيبية طبقاً لما ذكرته واحتوته صحاح السنة المطهرة وكتب السيرة النبوية. وفي قول المسيح عليه السلام الوارد بإنجيل يوحنا بالإصحاح ١٥ عدد ٢٦، ٢٧ ما يؤيد القول بأن روح الحق نبي إنسان وهذا النص هو:

(ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي).

فالسيد المسيح يقرر في هذا النص أن المعزى هو روح الحق، ويشهد للمسيح عليه السلام، والنبي محمد ﷺ قد شهد للسيد المسيح بالنبوة والرسالة وشهد بطهارة أمه السيدة مريم، بعد أن أنكر اليهود الرسالة والنبوة على السيد المسيح وطعنوا في شرف أمه.

قد يقول قائل: إن النص الوارد في الإصحاح الرابع عشر، عدد ٢٦، من إنجيل يوحنا يقرر أن (المعزى هو الروح القدس)، وذلك في قوله: (وأما المعزى الروح القدس).

إلَّا أنه بالرجوع إلى الأصل اليوناني لذلك النص، وهو أساس ترجمة إنجيل يوحنا إلى كل لغات العالم ومنها اللغة العربية نجد أن أصل تلك العبارة (Hepikhatoz)، وقد ترجمت إلى باقي اللغات الأجنبية بعبارة (Pericletos)، ورسمت باللغة العربية (البارقليط) في طبعات الكتاب المقدس القديمة، وتعني هذه العبارة في معناها الحرفي (أحمد) وهو من أسماء رسول الله محمد ﷺ، وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ومفتاح

صلاتهم الحمد لله، ومن ذلك نتبيَّن أن المعزى هو روح الحق وليس الروح القدس، (وقد قام بهذا التحقيق اللفظي للعبارات السابقة الباحث المسيحي المرحوم زكي النجار في أبحاثه التي ضمنها كتابه: (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة) والمطبوع سنة ١٣٦٩هـ سنة ١٩٤٩م).

ولقد سأل المرحوم الأستاذ عبد الوهاب النجار الدكتور (كارلونيلنو) المستشرق الإيطالي عن معنى الكلمة اليونانية السابق الإشارة إليها (Hepikhatoz) فقال: إن معناها (الذي له حمد كثير)، وهذا يوافق أفعل التفضيل في اسم أحمد، ويتفق مع ما ذكره القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام لقومه في سورة الصف آية ٦ في قوله:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدِّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.

وهذه المناقشة مع الدكتور (كارلونيلنو) الإيطالي أوردها الأستاذ محمد رضا في كتابه (محمد رسول الله)، ولقد بلغ من وضوح هذه العبارة ودلالتها على اسم النبي محمد ﷺ أن أحد الباحثين الإنجليز وهو المستر (إدوين جونس) يذكر في كتابه (نشأة الديانة المسيحية)، والمطبوع في مطبعة كيجن بول وشركاه بلندن: أن عبارة (Pericletos) تعني صراحة اسم (محمد)، والمسيحيون لا يمكنهم أن ينكروا ذلك، ثم تجده بعد ذلك ــ للأسف ــ بدلاً من أن يبحث في توافق الوحي الإلّهي عند المسيح عليه السلام وعند الرسول محمد ﷺ فيما أوحي إليه من آيات القرآن، يفترض فرضاً غير معقول، فيتهم المسيحيين بأنهم أقحموا تلك العبارة جهلاً منهم في إنجيلهم بعد ظهور الإسلام، وتأثرهم بالثقافة الإسلامية.

وأما عن روح القدس فإنه لا يقال له: روح الحق، لأن روح الحق إنسان له صفة السمع (كما ذكرنا آنفاً) فلا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، لكن روح القدس هو الذي كان يحل على الأنبياء عليهم السلام، بمعنى أنه العناية الربانية، روح الحكمة والفهم التي كانت تحل على هؤلاء الأنبياء والرسل، وفي نصوص الكتاب المقدس ما يؤيد هذا القول طبقاً للآتي:

١ ــ ورد في مزمور ٥١، عدد ١٢ قوله على لسان داود عليه السلام:

(وروحك القدوس لا تنزعه مني).

٢ ــ ورد في سفر أشعيا: إصحاح ١١، عدد ١ وما بعده قوله:

(ويخرج قضيب من جذع يسَّى ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين . . .إلخ).

ومما تقدم يتضح بجلاء أن روح الحق ليس هو روح القدس، وأن روح الحق تحوي بالإشارة أو بطريق الدلالة البشارة من قبل المسيح عليه السلام بنبي الإسلام محمد ﷺ رسولاً يأتي من بعده.

قال تعالى:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٦].



(٥)
مـا ورد في الإنجيـل المخطـوط والمحرر باللغة القبطية على لسان المسيح عليه السلام، والمحفوظ بأحد الأديرة المصرية

في الإنجيـل المخطوط والـذي حرره أحـد البطاركـة المصريين في سنـة ٥٠٦ بعـد الميلاد باللغة القبطية، وهو منزوع الغلاف ومحفـوظ بأحـد الأديرة القبـطية في مصـر، قال كـاتبه في ديبـاجته: إنـه نقـلاً من أصـول الإنجيـل الحقيقي ورد الآتي على لسـان السيـد المسيح عليه السلام:

(الآتي بعدي يُسمّى الفارقليط بندكراطور):

ومعناها الـروح المنشق اسمه من اسم الحمـد سيبعث الحياة في أمـة ليست لها من الحياة نصيب إلاَّ الضلال في برية (فاران كجحاش الأتن).

(فاران كجحاش الأتن):

أي في صحراء شبه جزيرة العرب.

كمـا ورد في إنجيل بـرنابـا لفظ **(المسيا)**، وهي كلمـة عبرانيـة من اللغـة العبـرانيـة القديمة التي ترجع أصولها إلى اللغة الكبدوكية ـ إحدى اللغـات التي كتبت بها الأنـاجيل وبشَّر بها حواريّو المسيح ـ ومعناها (الرسول).

ولم يرَ التاريخ من قبل أن نبياً أتى باسم (مسيا الفارقليط بنـدكراطـور) إلاَّ رسول الله محمد ﷺ الذي يتبيَّن أن اسمه منشق من الحمد[١].

---

(١) عن كتاب سر إسلامي (لماذا اخترت الإسلام ديناً) لمحمد فؤاد الهـاشمي، وقد كـان قسيساً نصـرانياً في مصر قبل اعتناقه الإسلام.

يوحنا المعمدان يعلن لليهود والنصارى بمجيء نبي بعد المسيح عليه السلام:

يذكر إنجيل يوحنا في إصحاحه الأول عدد ١٩ ــ ٢١ أن يوحنا المعمدان وقد كان نبيّاً معاصراً للسيد المسيح، تصدّى له اليهود بما هو مكتوب عندهم في التوراة أن المسيح آتٍ، وسيأتي بعده نبي وذلك في قوله:

(وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف، ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح، فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب: لا).

فمن سؤال اليهود للنبي يوحنا المعمدان[١] نستطيع أن نستنتج أن هناك نبياً بشّرت به كتبهم وهو خلاف المسيح عليه السلام، مما يقطع بأنه النبي محمد ﷺ.

أقدم بشارة بنبي الإسلام ﷺ في كتاب النبي إدريس عليه السلام، وهو ما يسمى (أخوخ أو أخنوخ) في كتب أهل الكتاب:

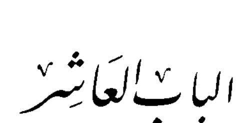
وكتاب النبي إدريس هذا هو أقدم كتاب يوجد من آثار الأنبياء السابقين، وقد وجد ضمن المخطوطات التي عثروا عليها في البحر الميت في الأردن، وفي هذا الكتاب البشارة بالنبي محمد ﷺ وصفاته بوصفه آخر الأنبياء[٢].



---

(١) يوحنا المعمدان هو النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام.

(٢) بحث التاريخ المقارن للقرآن الكريم والصحف السماوية الأخرى للدكتور محمد حميد الله. والمنشور بمجلة الأمة القطرية العدد الحادي والعشرون، السنة الثانية رمضان سنة ١٤٠٢هـ، يوليو سنة ١٩٨٢م.



الباب العاشر

(١) المجتمع البشري وكيف تهيأ لميلاد خاتم الأنبياء.

(٢) المباهلة بين النبي ﷺ وطائفة من أهل الكتاب.

(٣) لقاءات المفكر الكبير محمد المبارك بالمفكر الفرنسي روجيه جارودي.

(٤) فكر الإسلام وحضارته.

(٥) القرآن الكريم يصحح مفاهيم العقيدة النصرانية.

(١)

المجتمـع البشـري
وكيف تهيَّأ لميلاد خاتم الأنبياء[١]

لمَّا كانت العقيدة حاجة روحية لصلاح البشر، لـذلك كـان من المستحيل أن يُمحى التـديُّن من الأرض، لأنه شـوق غريـزي إلى الأزلي الأبدي، وهـو الـطلب الحثيث للكلي النهائي سبحانه وتعالى.

والتدين لا يختص به فريق من الناس دون باقي البشر، يقول المرحـوم محمد فـريد وجدي في دائرة معارفه: يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين، لأنها أرقى ميول النفس وأكـرم عواطفها.

وإذا كان دين بني إسرائيل هو أول الأديان الكتابية يقوم على تـوحيد الإلّـه وتنزيهـه، فـإنه اختص بشعب معين دون سـائر شعـوب الأرض، هو شعب بني إسـرائيـل العبـراني، أو شعب اليهـود، كما غلب على تسميتهم، فهـو إذاً ليس الدين الـذي يهتـدي بـه النـاس كافة، ويجدون فيه شبع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة، لأن بني إسرائيل التمسوا في الإلّـه الـواحد أن يختص بهم وحـدهم لا يعبده أحـد سـواهم، وأن يغلبهم على من عـداهم من الخلق، وأن يمكن لهم في أرض الناس ورقابهم، وكانت آفاقهم آفـاق الدنيـا، فعبدوا في الإلّه الواحد مصدر المعاش وسند الملك وجبروت الانتقام ومناط المعامـلات بين الأفراد، وانتظروا منه أن يكون لهم عوناً على جبروتهم، وذهبوا إلى حد الاعتقاد بأن الحق والعـدل ممـا شرع الله، غيـر مطلوبين من العبـراني إلاَّ نحو عبـراني مثله، أمـا مـع غيـر العبـراني فـلا حق له عنـدهم ولا شرع ولا عهـد طبقاً لمـا حرره كهنتهم في تـوراتهم بعد فقـد توراة موسى عليه السلام.

---

(١) نشر في الجزء الثالث من مجلة الأزهر، ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ ــ فبراير سنة ١٩٨١م.

أما ما كان من باقي العقائد القديمة فقد كان أهل فارس يعبدون النار، وشعب الرومان يعتنق النصرانية بعد أن عبثوا بمعالمها وأصولها، والناس من وراء هؤلاء وأولئك صابئون منحرفون، أو عبّاد حيوانات أو كواكب أو أحجار أو أشجار أو بدائيون همجيون لا دين لهم ولا عقيدة مستقيمة تعمر قلوبهم.

والقانون الذي يتعاملون به هو قانون القوة والجبروت، أما قانون العدالة فليسوا إليه بمهتدين، أما الانحلال الاجتماعي فقد بلغ غايته، وذابت الفضيلة وانهارت الأخلاق.

هكذا كانت البشرية قبل ميلاد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه في حاجة ماسة إلى دين عالمي، يكون دعوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة أبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها عربيها وعجميها، العقيدة فيه تربط الدنيا بالآخرة، والإنسان بالله، والناس في هذا الدين الجديد أمة واحدة مهما اختلفت في أجناسها وألوانها وأوطانها، يؤكد وجود الله، وأنه خالق الخلق والسموات والأرض وأنه الكامل المتفرد بالكمال بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، حتى تنتهي دعاوى المادة وشبهة تفردها بالوجود ابتداء، ويؤكد وحدانية الله توكيداً يقضي على مزاعم التعدد في تصور الإلّه الواحد، ويلزم أن يؤكد التنزيه لله حتى لا ينزلق الناس إلى التجسيم الذي طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة التوحيد بسبب غلبة الحس عليهم.

ومما لا جدال فيه أن الناس ليسوا كلهم ولا معظمهم على مستوى من الفكر يجعلهم يعرفون الله تعالى، وإن عرفه بعضهم بعقله فإن معرفته لم تبلغ المستوى الرفيع الذي يليق به سبحانه وتعالى.

ثم إن الناس ليس لهم سبيل إلى معرفة الحياة الآخرة، وما فيها من حساب وجزاء ونعيم وشقاء، مما تدعو الحاجة لبعث رسالة من السماء تهدي البشرية إلى سبيل الرشاد هدياً إلّهياً، يجمعها على كلمة التوحيد للإلّه الواحد ويرسم لها معالم العبادة، ويخطط لها مناهج السلوك، ويخوفها شديد العقاب في يوم الحساب إن هي انحرفت عنه وتنكبت سبيله.

هكذا كان الناس قبل ظهور خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه بحاجة إلى رسول يناطُ به إبلاغ هذه الرسالة السماوية العامة الهادية الشاملة إلى بني البشر، لتسكب ماء الحياة على الأرض اليابسة حتى تخضر وينبت فيها العمل الصالح ويصعد منها الكلم

الطيب، فتنتشر أزاهيره بعبيره الحلو، فيريح النفوس والقلوب ويهفو بـالأرواح والأفئدة إلى بغيتها في القرب من عالم الحضرة الربانية القدسية.

المجتمع البشري لم يفاجأ بظهور خاتم الأنبياء:

والمجتمع الإنساني في شبه جزيـرة العرب ومـا حولـه من مجتمعات لم تكن غـافلة عن مستقبل يوم ميلاد النبـي ﷺ، فإن المتتبع لقصص السيرة النبـوية وكتب السنَّـة النبويـة المطهرة يتبيَّن أن الله جلَّت قدرته قد هيَّأ مبشرات كثيرة توعّي تلك المجتمعات بحقيقة يوم النبوة الأخيرة وملأ الجو الإنساني بأنبائه المستقبلة.

فكانت هناك إرهاصات وعلامات بدَت في جميع مستويات الأمـة وعلى مراحـل من الزمن حتى إشراقة مولده السعيد، وكانت البيئة في مكة المكرمة وفي المدينـة المنورة وفي بلاد الشام وفي بلاد الروم والحبشة والعراق في انتظار قدوم نبـي آخر الزمان حامل رسالـة السماء الخاتمة وقلادة عقدها الأخير، يدعو إليها جميع الأمم بعد أن كانت الرسـالات من قبله رسـالات قوميـة، وهكذا شـاء الله أن يهيِّـىء المجتمع الإنسـاني بـأخبـار هـذا النبـي وصفاته واسمه وبلده، حتى لا يكون فجـأة في ظهوره، بـل تكون النفـوس والأفئدة مهيَّـأة لاستقبـاله، والقصص في كتب السيـرة النبويـة عن ذلك كثيـرة نجتزىء منهـا بـالآتي على سبيل المثال:

أولاً ــ فيما بين أهل الكتاب في جزيرة العرب:

يروي الإمام محمد بن القيم في كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى:

١ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

(كانت يهود قـريظة والنضيـر وفدك وخيبـر يجدون صفـة النبـي ﷺ عندهم قبـل أن يبعث، وأن دار هجرته بالمدينـة، فلما ولـد رسول الله ﷺ قـالت أحبار يهـود: ولد أحمـد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبأ قالوا: تنبأ أحمد، قد طلع الكوكب، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه، فما منعهم إلاَّ الحسد والبغي).

٢ ــ وفي دلائـل النبـوة لأبـي نعيم: كـانت يهـود بني قـريـظة يـدرسـون ذكـر رسول الله ﷺ في كتبهم، يعلّمون الـولد بصفتـه واسمه ومهـاجره إلى المـدينة، فلمـا ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا.

٣ ــ وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم، ونحن يومئذٍ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظلّ خروج نبي يقال له: أحمد، يخرج من الحرم، فقال له خليفة بن ثعلبة كالمستهزىء به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة، ويركب الحمار، وهذا البلد مهاجره، قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة وأنا يومئذٍ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلاً يقول: ما يقول هذا وحده! كل يهود يثرب يقول هذا.

قال أبي[1]: فخرجت حتى جئت بني قريظة فتذاكروا النبي ﷺ، فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلاَّ بخروج نبي وظهوره، ولم يبقَ أحد إلاَّ أحمد، هذه مهاجره، قال أبو سعيد: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخبره أبي هذا الخبر، فقال النبي ﷺ: لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها إنما هم لهم تبع.

٤ ــ وعن محمد بن مسلمة قال لم يكن في بني عبد الأشهل إلاَّ يهودي واحد، يقال له يوشع فسمعته يقول وإني لغلام: قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت (ثم أشار بيده إلى بيت الله الحرام)، فمن أدركه فليصدقه، فبعث رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسداً وبغياً.

٥ ــ حدَّث هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات، فلما كان ليلة ولد رسول الله ﷺ قال في مجلس من مجالس قريش: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة، وهو أحمد، وبه شامة بين كتفيه، فيها شعرات، فتصدع القوم من مجالسهم، وهم يعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم، ذكروه لأهاليهم، فقيل لبعضهم: ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً: فأتَوا اليهودي في منزله فقالوا: علمت أنه ولد فينا غلام، فقال: أبعد خبري أم قبله؟ فقالوا: قبله واسمه محمد، قال: فاذهبوا بنا إليه فخرجوا حتى أوفوا أمه،

---

(١) القائل: هو (مالك بن سنان) وهو والد أبي سعيد.

فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره، فغشي على اليهودي، ثم أفاق، فقالوا: ما لك ويلك؟ فقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، وخرج الكتاب من أيديهم، فازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش؟ أما والله ليسطُونَّ بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب.

ثانياً ــ عند الرهبان في أرض العراق:

عن سعيد بن زيد بن عمرو أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد: من أين أقبلت؟ قال: من بيت إبراهيم. قال: وما تلتمس؟ قال: ألتمس الدين. قال: ارجع فإنه يوشك أن يظهر الدين الذي تطلب في أرضك، فرجع وهو يقول: (لبيك حقاً حقاً تعبّداً ورقاً). قال: وجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي كان كما رأيت، وكما بلغك، فأستغفرُ له؟ قال: نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة.

ثالثاً ــ صفات النبي ﷺ واسمه يتناقلها الملوك في بلاد الروم والحبشة:

روى الواقدي أن هرقل قيصر الروم كان يبعث إلى النجاشي شمامسة، وكان النجاشي أعلم الناس بكتب الله في عصره، فإذا تعلموا ما يريدونه، رجعوا إلى هرقل، وبعث غيرهم للقراءة على النجاشي، وأن قيصر قال يوماً لعلماء دينه: أههنا أحد ممن قرأ على النجاشي؟ قالوا: نعم عشرة من الشمامسة، فأحضرهم، ثم سألهم عن أعلمهم، فأشاروا إلى أحدهم، فخلا به، وقال له: ألا تخبرني عن النجاشي؟ قال: بلى أيها الملك أنا آخر من قفل عنده بعد مقام أربعة أعوام، وقد عرفت أمره كله، فعن أي شيء يسألني الملك من أمره؟ قال قيصر: هل يذكر هذا العربي الذي يذكر أنه نبي؟ قال: نعم إنه وضع الإنجيل أمامه وليس عنده غيري فقرأ:

(أحمد النبي العربي، يركب البعير ويجتزىء بالكسرة، يخرج من مكة إلى يثرب، وهو خير الأنبياء، يقوم بين عيسى والساعة، فمن أدركه واتبعه فقد رشد ومن خالفه هلك).

ورأيته يُعلّم هذا ابناً له.

وحضرت أصحاب محمد يتكلمون عنده فخاطبه ابن عمٍّ محمد ﷺ خطاباً أبكاه حتى بلّ لحيته بدموعه وقال:

(أشهد أنه النبـي العربـي وهو خير الأنبياء).

قال قيصر صـدق النجاشي، ولـولا أني أضنّ بملكي، ولا يتابعني الـروم إن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه واتبعته، وسيظهر دينه على منتهى الخُفّ والحافر.

رابعاً ــ ما يذكره ثعلبة بن هلال من صفات النبـي ﷺ وهو من أحبار اليهود:

روى الـواقدي عن ثعلبـة بن أبـي مالـك أن عمر بن الخـطاب رضي الله عنـه سـأل أبا مالك، ثعلبة بن هـلال وكان من أحبـار اليهود، فقـال: أخبرني بصفـات النبـي ﷺ في التوراة. فقال:

(إن صفته في توراة بني هارون التي لم تغير ولم تبدل: أحمد من ولد إسماعيـل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبـي العربـي الـذي يأتي بـدين إبراهيم الحنيف، يـأتزر على وسـطه، ويغسل أطـرافه، في عينيـه حمرة، وبين كتفيـه خاتم النبـوة، ليس بالقصير ولا بالطويـل، يلبس الشملة، ويجتزىء بـالبلغة، ويـركب الحمار، ويمشي في الأسـواق، سيفه على عاتقه لا يبالي من لقي من الناس، معه صلاة لو كـانت في قوم نـوح ما أهلكـوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريـح، ولو كـانت في ثمود مـا أهلكوا بـالصيحة، يولد بمكة ومنشؤه وبدء نبوته، ودار هجرته يثرب بين لابتي حرة ونخـل وسبخة، وهـو أمي لا يكتب ولا يقـرأ المكتوب، وهـو الحماد يحمـد الله على شدة ورخـاء، سلطانه بـالشام، وصاحبه من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شـديداً، ثم يـدال عليهم (بمعنى تكون له الدولة) فيحصدهم حصداً، تكون الواقعة بيثرب منها عليه ومنه عليها ثم له العاقبة، معه قـوم هم أسرع إلى المـوت من الماء من رأس الجبـل إلى أسفله، صـدورهم أنـاجيلهم، وقرباتهم دماؤهم، ليوث النهار رهبان الليل، يرهب عـدوه منه مسيـرة شهر، يبـاشر القتـال بنفسه، ثم يخرج ويحكم، لا شُرَط معه ولا حرس، الله يحرسه).

خامساً ــ صفات النبوة المنتظرة تذكرها الأوساط الثقافية في المجتمع العربـي:

لم تكن أوساط أهل الكتـاب من اليهود والنصـارى فقط هي التي على علم بصفات النبوة المنتظرة، بل كانت البيئات الثقافيـة في محيط المجتمع العـربـي تترقب بعث النبـي الخاتم، لما شاع في الناس خبره وصفاته.

ففيمـا يـرويـه صـاحب الأغـاني عن مصعب بن عثمـان أنـه قـال عن أميـة بن أبـي الصلت، وكان من قبيلة ثقيف، قال: كـان أمية بن أبـي الصلت قـد نظر في الكتب،

وقرأها، ولبس المسوح تعبداً، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل وحرم الخمر وشك في الأوثان، وكان محققاً التمس الدين، وطمع في النبوة لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. ويكشف العلاّمة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي أمر أمية بن أبي الصلت في حديث له مع أبي سفيان بن حرب في قوله: (إني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت أظن أني هو وكنت أتحدث بذلك، ثم ظهر لي أنه من بني عبد مناف، فنظرت فلم أجد فيهم من هو متَّصف بأخلاقه إلاَّ عتبة بن أبي ربيعة، إلاَّ أنه قد جاوز الأربعين، ولم يوحَ إليه فعرفت أنه غيره، ولما بعث النبي ﷺ كفر أمية ولم يؤمن، مع أنه قال لأبي سفيان عندما أخبره به، أما أنه حق فاتَّبعه. فقال له: فأنت ما يمنعك؟ فردَّ عليه: الحياء من نساء ثقيف، لأنه كان يخبرهم أنه هو، فكيف يصير تبعاً لفتى من بني عبد مناف).

سادساً ـ أوساط الكهان كانت على علم أيضاً بمبعث النبي ﷺ:

يقول صاحب السيرة الحلبية أن عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه قال: والله لقد علمت أن محمداً رسول الله قبل أن يبعث، فقيل: وكيف كان ذلك؟ قال: فزعنا إلى كاهن لنا في أمر نزل بنا، فقال الكاهن:

(أقسم بالسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الأدراج، والريح ذات العجاج، إن هذا إلاَّ أج ولقاح ذي نتاج! قالوا: وما نتاجه؟ قال: نتاجه ظهور نبي صادق بكتاب ناطق، وحسام فالق. قالوا: وأين يظهر؟ وإلى ماذا يدعو؟ قال: يظهر بصلاح، ويدعو إلى فلاح، ويعطل القداح، وينهى عن الراح والسفاح، وعن كل أمر قباح، قالوا: من هو؟ قال: من ولد الشيخ الأكرم حافر زمزم، وعزه سرمد وخصمه مكمد).

يقصد أنه من ذرية عبد المطلب بن هاشم لأنه أعاد حفر بئر زمزم بعد ردمها.

وقد ذكر ابن سعد في طبقاته من تسمى في الجاهلية بمحمد رجاء أن تدركه النبوة لِمَا كان من خبرها، فقال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف، عن سلمة بن عثمان عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: كانت العرب تسمع من أهل الكتاب، ومن الكهان أن نبياً يبعث من العرب اسمه (محمد) فسمّى من بلغه ذلك من العرب ولده (محمداً) طمعاً في النبوة.

سابعاً ــ حتى الأوساط العامة في بلاد العرب كان لـديها الكثيـر من المعلومات عن النبوة الخاتمة:

فالبشارات والإرهاصات عن نبـي آخر الزمان، كانت قـد عمَّت أرجاء بـلاد العرب، يسمعـونها في الأسـواق وفي صوامـع الـرهبـان، فتمنَّى بعض النـاس أن تكـون النبـوة في أولادهم، فسمَّوا أبناءهم باسم محمد، فقد ورد في كتب السيرة النبوية عن خليفة بن عبدة المنقري قال سألت محمد بن عدي كيف سماك أبـوك محمداً؟ قـال: أما إني سـألت أبـي عما سألتني عنه، فقال: خرجت رابع أربعـة من بني تميم، أنا أحـدهم ومجاشـع بن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك بن جندب نريد ابن جفنة الغسَّـاني، فلما قـدمنا الشام، نزلنا على غدير فيه شجيرات وقربه دير وفيه ديراني، فأشرف علينا، وقال: إن هذه اللغة ما هي لأهل هذا البلد؟ قلنـا: نعم، نحن قوم من مضـر. قال: من أي المضـريين؟ قلنا: من خندف، قال: أما أنه سيبعث فيكم وشيكاً نبـي، فسارعوا إليـه، وخذوا بحـظكم منه ترشدوا؛ فإنه خاتم النبيين واسمه محمد، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة، وصرنـا إلى أهلنا، ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً، وهؤلاء المتسمين باسم محمد وإن كانوا قد عاصروا حياة الرسـول ﷺ لكن أحداً منهم لم يـزعم النبوة لنفسـه، أو يدعيهـا له أحـد من الناس فالله أعلم حيث يجعل رسالته [السيرة الحلبية والسيرة لابن كثير].

روى الطبراني، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال:

(إن الله عز وجل اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختـار منهم العرب، ثم اختار العرب، فاختار منهم قريشاً، ثم اختار بني هـاشم، فاختـارني، فلم أزل خياراً من خيار).

الإرهاصات والعلامات السابقة عن اسم وصفات النبـي ﷺ قبـل ميـلاده، في ضـوء القـرآن الكـريـم والسنَّـة النبـويـة:

إن المتتبع للذكر الحكيم يجد أنه أشـار في كثير من آيـاته إلى تلك النبـوة الأخيرة، وأعلم بها الأمم الكتابيـة السابقـة على أمة الإسـلام، مما يـدل على أن تلك الإرهاصـات التي كانت سائدة في المجتمع العربـي، وما حـوله من مجتمعـات لها نصيب من الحقيقـة والواقع، وأنها أثر من آثار علمت تلك الأمم بها من أنبيـائهم ورسلهم السابقين، يحفـظها

الأمناء من أهل الكتاب، ويعرفونها كما يعرفون أنفسهم وأبناءهم، فيورثها السابقون منهم للاحقين حفظاً في الصدور وتسجيلاً في الصحف والسطور.

١ ــ يقول جلّت كلماته:

﴿الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُّ لهم الطيباتِ ويحرمُ عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٧].

فهو ﷺ مكتوب باسمه ونعوته عند أهل الكتاب في التوراة، وهو كتاب اليهود المقدس، وفي الإنجيل وهو كتاب النصارى المقدس.

ومن هذه العلامات أن هذا النبي الأمي يأمرهم عن الله تعالى ويكلفهم بفعل كل ما عرفته الفطر السليمة، واستحسنته الطبائع المستقيمة، فإن فيه خير الدنيا، وسعادة الآخرة، وينهاهم عن فعل كل ما أنكرته الفطر السليمة فيحرم عليهم كل ما هو خبيث وضار مما كانوا يتناولونه كالدم والميتة ولحم الخنزير، أو يفعلونه كالربا والرشوة، ويخفف عنهم ما ثقُل عليهم من التكاليف الشاقة كقطع الأعضاء الخاطئة وإحراق الغنائم مما كان في شرائع أهل الكتاب، ويخفف كذلك الشروط المحرمة والمواثيق الشديدة التي كانت مفروضة عليهم بسبب طغيانهم وغلوهم في الفساد والضلال.

٢ ــ كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٦].

فأهل الكتاب وقتئذٍ وهم اليهود والنصارى يعرفون أن محمداً رسول الله معرفة حقيقية كمعرفة الآباء لأبنائهم، فالبشارة به كانت موجودة بوضوح في التوراة والإنجيل، وعلماء اليهود والنصارى كانوا يعرفونها حقاً، لكنهم ينكرونها لمرض في قلوبهم وعلّة في نفوسهم إلّا من عصمه الله منهم فأقر بالحق وآمن بالله ورسوله.

روى الإمام البخاري عن هلال بن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن:

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي

ورسـولي، سميتك المتـوكـل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخـاب في الأسـواق، ولا يـدفـع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعـالى حتى يقيم به الملة العـوجاء بـأن يقولوا: لا إله إلاّ الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً).

ويروي الطبـري في كتابـه جامـع البيان في تفسيـر القرآن عن عـطاء بن يسار قـال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن. وذكر من صفته ما هو موضح عنه سابقاً.

ويقول عن قوله تعالى:

﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم﴾.

يقول: يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوباً عندهم.

ويروي ابن سعد في طبقاته عن سهل مولى عيثمة أنه كان نصرانياً من أهل مـريس، وكان يقرأ الإنجيل فذكر أن صفة النبـي ﷺ في الإنجيـل: (وهو من ذريـة إسماعيـل اسمه أحمد).

٣ ــ وإلى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن المسيح عليه السلام:

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقاً لمـا بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [سورة الصف: الآية ٦].

فهنا أشار المسيح عليه السلام إلى اسم النبـي ﷺ صراحة وهو أحمد وهو من جملة أسمائه، ففي الحديث الشريف يقول ﷺ:

«لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمـد، وأنا المـاحي الذي يمحـو الله بـي الكفر، وأنا الحاشر الذي تحشر الناس على قدمه، وأنا العاقب».

أي الـذي ليس بعده أحـد، رواه البخاري في صحيحـه، وكذلـك الإمام مسلم في صحيحه.

النتيجة التي يمكن استخلاصها من النصوص القرآنية السابقـة، ومـا ورد في السنّة النبويـة:

ومن النصـوص السابقـة يتبيّن أن النبـي ﷺ اختاره الله لـرسـالتـه منـذ الأزل، فلقـد

شاءت إرادة الله منذ القدم ــ وهو يختار ما يشاء ــ أن تحدد اصطفاء محمد ﷺ نبياً ورسولاً خاتماً لرسالات السماء إلى بني البشر.

ومما يؤكد هذا النظر قوله تعالى:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتُكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لَتُؤمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّه قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْري قالوا أقررنا. قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨١].

وفي تفسير الآية الكريمة السابقة يقول الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه والإمام ابن عباس رضي الله عنهما:

(ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلَّا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً، وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه).

كما يؤكده ما رواه الإمام أحمد مرفوعاً عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ:

(إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين).

ورؤيا أم النبي ﷺ كما روى البيهقي في تثبيت دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أُتيت حين حملت بمحمد ﷺ، فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وقال: فإن آية ذلك أن يخرج منه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمداً؛ فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض.

***

(٢)

المباهلة بين النبـي ﷺ وبين طائفة من أهل الكتاب[1]

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلمـوا منهم وقولـوا: آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمـون﴾ [سورة العكنبـوت: الآية ٤٦].

وقـال تعالى: ﴿إن مثـل عيسى عند الله كمثـل آدم خلقـه من تـراب ثم قـال لـه كن فيكـون، الحقُّ من ربك فـلا تكن من الممترين، فمن حـاجّك فيـه من بعد مـا جـاءك من العلم فقل: تعالوا ندْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهلْ فنجعـلْ لعنة الله على الكاذبين، إنّ هذا لهُو القصص الحقّ ومـا من إله إلا الله وإن الله لهـو العزيـز الحكيم﴾ [سورة آل عمران: الآيات ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢].

وتشيـر الآية الكـريمة الأولى: إلى أن أمثـل الطرق في محـاجة أهـل الكتـاب وهـم اليهـود والنصـارى أن يكـون بـالـرفق واللين، إلاَّ أن من يفـرط منهم في الاعتـداء والعنـاد ولـم ينفع معه الرفق فلا سبيل له إلا بالإغلاظ في القول.

أما الآية الكريمة الثانية: فمعناها أن حال المسيح عليه السلام، وصفتـه العجيبة في خلقه دون أب، كحال آدم أبـي البشر عليه السـلام، أراد الله خلقه من تـراب ثم قال لـه، عنـد تعلق إرادته تعـالى بتنفيذ خلقـه: صر وكن بـأمـري بشـراً سـويـاً ذا لحم ودم وعـظام وأعصـاب وعقل وإرادة، فصـار بشراً كمـا أراده الله، وتم بذلـك خلقه من تـراب دون أب

---

(١) نشر بمجلة «منار الإسلام» العدد العاشر السنة الثالثة شوال سنة ١٣٩٨هـ ــ أكتوبر سنة ١٩٧٨م.

أو أم، فكـان بـذلـك أعجب من خلق المسيـح من أم دون أب، وإذا كنتم أيهـا النصـارى لا تقولون بألوهية آدم ولا ببنوته لله، مع أن خلقه أعجب من خلق المسيح، فكيف تقـولون بألوهية المسيح، أو بنوته لله وهو دون آدم في غرابة خلقه.

والآية الكريمة دليل على صحة القياس وشرعية النظر والاستدلال.

فقـد احتج الله على فسـاد ادعائهم الألـوهية للمسيـح محتجين بأنـه ولد بغيـر أب، احتج عليهم بخلق آدم بلا أب ولا أم، فحيث لم يقولوا بألوهيـة من هو أعجب منـه خلقاً، وجب القول بعدم ألوهية المسيح من باب أولى.

ولما كان هذا الاحتجاج واضح الدلالة على بطلان زعم النصارى في المسيح عليـه السلام، أتبعه قوله تعالى:

﴿الحقّ من ربك فلا تكن من الممترين﴾.

والخـطاب هنا ليس للرسـول ﷺ، بل لمن يجـادلُـه في شـأن المسيـح، ولكـل من يخالجه شـك في أمره عليـه السلام، والمعنى أن القـول الحق في شأن المسيـح نازل من ربكم أيها المجادلون في شأنه فلا تكونن من المجادلين فيه بالبـاطل، أو الشـاكين في أمره بعد ما أسفر الصبح لذي عينين بهذه الحجة القاطعة لكل ريب.

ومن أصرَّ بعد ذلك من بعد ما جاء الرسول ﷺ من أدلة العلم، وجادل مـع ذلك في شأن بشريـة المسيح وعبـوديته لله، كمـا هو شـأن آدم الذي هـو أعجب منه خلقـاً، فلتترك مجادلتهم لأنهم مقلدون معاندون معرضـون عن الحق بعد وضـوحه، وأفحمهم بـأن تقول لهـم:

﴿تعالوا نـدع أبناءنـا وأبناءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهـلْ فنجعلْ لعنـة الله على الكاذبين﴾ أي يبتهـل كل منـا إلى الله تعالى، ويـدعوه أن يجعـل لعنته على الكاذبين منا.

وقـد أوردت كتب السيرة النبـوية أنـه قد وفـد على النبـي ﷺ جمـاعـة من نصـارى نجران، من جملة شبههم أن قالوا: يا محمد لما سلّمت أنـه لا أب له من البشـر وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى فقال:

(إن آدم مـا كان لـه أب ولا أم ولم يلزمه أن يكـون ابناً لله تعـالى، فكـذا القـول في عيسى عليه السلام).

ومن ذلك نرى أن الرسول ﷺ جاء لهم في أمر المسيح عليه السلام بالرفق واللين وأورد لهم الدلائل على بشريته وعبوديته لله، لكنهم أصروا على جهلهم فقال عليه السلام: «إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أُباهلكم»، ودعاهم إلى الغد، ومعهم نساؤهم وأبناؤهم، وفي اليوم التالي حضر الرسول ﷺ في الموعد ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، فلم يجدهم، فقد تشاوروا فيما بينهم فقالوا للعاقب وكان صاحب رأيهم: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لَنبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط، فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وأنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك ونتركك على دينك، وأن نرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا، فأمر أبا عبيدة أن يخرج معهم، ويقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

وهكذا كما تحدى القرآن الكريم المشركين أن يأتوا بمثله وهم أرباب اللسان والبيان يتحدى المسرفين في شأن المسيح بهذه المباهلة الهينة السهلة لو كانوا صادقين فلم يقدروا عليها، ثم تحدى التاريخ في كل ما قصه في شأن المسيح بقوله:

﴿إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾.

وفيما أورده الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي في كتابه: إظهار الحق، عن تلك القصة: أن أسقفهم قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا! فأذعنوا لرسول الله ﷺ، وبذلوا له الجزية ألفي حلّة حمراء، وثلاثين درعاً من حديد، فقال عليه الصلاة والسلام: «لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر».

وفي رواية أخرى أوردها الإمام المذكور رحمه الله: أن وفد نجران ذهبوا إلى اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه، ولا يلاعنوه، وهو النبي الذي نجده في التوراة والإنجيل، فصالحوه على ألف حلّة في صفر وألف حلّة في رجب ودراهم.

وإن ما قصه الله في شأن المسيح هو القصص الحق المطابق للواقع الذي لا يصح العدول عنه إلى ما عليه النصارى في شأنه من أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (وما من إلـه إلا الله) فلا شريك له في ملكه بأي وجه من الوجوه، ولا معبود بحق سواه: (وإن الله لهو العزيز الحكيم) الغالب الذي يقهر ولا يُقهر، المتقن لما يصنعه وما يدبره: (فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين)، فإن أعرض هؤلاء النصارى عن الاعتراف بالحق في شأن المسيح، وعن اتباع الإسلام بعد ما تبين لهم الحق، فإن الله عليم بهؤلاء المفسدين، فيعاقبهم على إفسادهم لعقائدهم، وعقائد غيرهم من الناس، وفي هذا تهديد بليغ لهم من الله.

ويقرر الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي بأن واقعة المباهلة تزيد من الدلائل على نبوته ﷺ بوجهين.

الأول: أنه عليه الصلاة والسلام خوّفهم بنزول العذاب عليهم، ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك سعياً في إظهار كذب نفسه، لأنه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه، ومعلوم أنه كان عليه الصلاة والسلام من أعقل الناس، فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه، فلما أصرّ على ذلك علمنا أنه إنما أصرّ عليه لكونه واثقاً بوعد الله.

والثاني: أن هؤلاء النصارى كانوا يبذلون النفوس والأموال في المنازعة مع الرسول ﷺ فلو لم يعرفوا أنه نبي لما تركوا مباهلته.

بعد هذا تتجه الآيات الكريمة إلى النبي ﷺ فتأمره أن يوجه إلى أهل الكتاب عامة، اليهود والنصارى جميعاً، دعوة المنتصر في حقه، القوي في برهانه، الحريص على خير خصمه، وسعادته، ويخفف من غطرستهم وغلوائهم بقوله تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾.

فيقبلوا إلى منهج موحد في العبادة، يستوي فيه المسلمون والنصارى واليهود، نسلكه جميعاً، ولا نعدل عنه إلى سواه، وهذا المنهج هو: ﴿ألا نعبدَ إلا اللَّهَ ولا نشرك به شيئاً﴾ لا صنماً ولا كوكباً ولا ناراً ولا ملائكة ولا غير ذلك، ﴿ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾، فلا يتخذ اليهود عزيراً ابناً لله، ولا يتخذ النصارى المسيح ابناً لله، ولا يقولوا أنه ثالث ثلاثة، وبذلك المنهج الموحد يستوي أهل الكتاب مع المسلمين الذين لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فإن هذا المنهج التوحيدي كما دعا إليه القرآن،

دعت إليه التوراة والإنجيل قبل تبديلهما، ولا تزال فيهما نصوص كثيرة تـدعو إلى التـوحيد تركها اليهود والنصارى وعملوا بنصوص أخرى اصطنعوها أو أساؤوا تأويلها.

وكما دعت إلى التوحيد هذه الكتب الثلاثة دعا إليه جميع الرسل قال تعالى:

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلـه إلا أنا فـاعبدون﴾ [سـورة الأنبياء: الآية ٢٥].

فهـو مبدأ مشتـرك بين جميع الأديـان قامت عليـه الأدلـة العقليـة إلى جـانب الأدلـة النقلية.

فإن أعرض أهل الكتاب عن دعوة التوحيـد لله، وعدم اشتـراك غيره معـه في العبادة مع أن ذلك أمر مجمع عليـه في جميع الـرسالات فـاعلموا أنهم لـزمتهم الحجة، ولكنهم رفضوا الحق عناداً، فقولوا لهم أنصفونا واشهدوا معترفين لنا بأننا مسلمون مخلصون لربنا، قال تعالى:

﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤].



(٣)
مـن لـقـاءات
المفكر الإسلامي الكبير محمد المبارك رحمه الله
بالكاتب الفرنسي (روجيه جارودي)[(١)]

رغم أن الكاتب الفرنسي روجيه جارودي اعتنق الفكر الماركسي وقتـاً طويـلاً، لكنه اتَّخذ لنفسه خَطّاً خاصاً في فكره، فلم يُذِب شخصيته في الأفكار الشيوعية، أو الماركسيـة حتى صار في نظرهم مُنشقّاً عنهم.

ومنذ عشر سنوات ألف كتاباً سماه (**حـوار مع المـدنيات**) يـطلب فيه من الأوروبيين والغربيِّين عموماً أن يفتحوا أفقهم وينفتحوا على المدنيات الأخرى[(١)].

وهو يخص من هذه المدنيات **الإسلام** بصفحات كثيرة لذلك فهو يذكر:

١ ـ أن الإسلام احتوى على قيم عليا، ثم يُعدد كثيراً من مآثر الإسلام.

٢ ـ وأنه جدير بأن تستفيد الإنسانية منه في العصر الحاضر.

٣ ـ وأنه قريب عهد بمعرفة الإسلام بعد أن اجتمع برجاله الذين عدد منهم:

(أ) الشيخ البشير الإبراهيمي العالم الجزائري المعروف.

(ب) والشيخ الطاهر بن عاشور العالم التونسي. وغيرهم مثل:

(ج) المفكر الإسلامي الكبير محمد المبارك.

٤ ـ ولقد نقل في كتابه المـذكور العبـارة التي ذكرهـا أحد أدبـاء فرنسـا من الجيل

---

(١) هذا المفكر الفرنسي اعتنق الإسلام أخيراً.

الماضي يقول فيها: (إن فرنسا خسرت خسارة كبيرة بانتصار شارل مارتل على المسلمين في موقعة بلاط الشهداء أو بواتييه) ويؤكد جارودي بأنها فرصة أضاعتها فرنسا لأن المدنية كانت ستتقدم قرنين على الأقل لو انتصر الإسلام.

٥ ــ ولقد كرر جارودي كلامه الطيب عن الإسلام في مؤلفاته اللاحقة **(نداء إلى الأحياء)**.

٦ ــ وفي كتابه الذي سماه **(الإسلام الحيّ)** يقرر أن في الإسلام الحلّ الأمثل لمشكلات البشرية المستعصية، والتي لم تستطع أن تحلها الرأسمالية الغربية، أو الماركسية الشرقية، ويذكر في ذلك الأسباب التي تجعل في الإسلام الحل الأمثل لمشاكل الإنسانية كلها.

٧ ــ كما وضع كتابه القيم بعنوان **(الإسلام دين المستقبل)** وهو ليس كتاب تاريخ، بل هو كتاب يعمل على إظهار الإسلام كوجود ومستقبل، أي أن الإسلام يكمن في مستقبلنا أكثر مما يكمن في ماضينا، لأن الإسلام لم يكن يكتفي بجمع الثقافات العالمية، بل عمل على إخصابها ونشرها من بحر الصين إلى المحيط الأطلسي، ومن سمرقند في وسط آسيا إلى تومبكتو في غرب أفريقيا، وقدّم لإمبراطوريات متفككة، ولحضارات محتضرة روح حياة جماعية جديدة، وردّ للبشر ولمجتمعاتهم أبعادها البشرية والإلّهية المميزة وروح الجماعة والتسامي، وبدءاً من هذا الإيمان البسيط والقوي كان خميرة لتجديد العلوم والفنون والحكمة النبوية والشرائع.

ولم يعد المسلم ذلك الكافر، كما كان في زمن الحروب الصليبية، أو الإرهابي في زمن حرب تحرير الجزائر، وليس قطعة في متحف يتفحصها المستشرق بعين باحث عن مخلفات الحضارات، منطلقاً من مفهوم الاستثنائية الغربية، وليس ذلك البدوي المتنقل الذي يكثر ذكره في الخيال الرومانسي الشغوف بالانطلاق نحو العوالم الغربية، وليس أيضاً العالِم الذائع الصيت في العصور الوسطى، الذي لم يوجد إلّا لكي يفتح الطريق أمام علومنا الحديثة، بمعنى أن الانفجار العلمي في الإسلام في العصور الوسطى ليس إلّا عصر ما قبل التاريخ بالنسبة لنا.

إنما الإسلام هو تلك النظرة إلى **الله والعالم والإنسان** التي تفرض على العلوم والفنون وعلى كل إنسان، وكل مجتمع فكرة بناء عالم إلّهي وبشري بشكل لا يقبل

التجزئة، ويتضمن البعدين الأعظمين التسامي والأمة، لقد استطاع الإسلام إنقاذ إمبراطوريات عظيمة من التفكك في القرن السابع من حقبتنا، فهل في إمكانه في يومنا هذا أن يقدم إجابة على قلق وتساؤلات حضارة غربية أظهرت في أربعة قرون أنها قادرة على حفر قبر على مستوى العالم، وأن تهدم ملحمة بشرية بنيت منذ مليونين من السنين بإبداعات جديدة وتضحيات من البشر؟

إن الإسلام هو دين وأمة إيمان ونظام حياة متكاملين، إن بزوغ فجر الإسلام وانبثاقه عبر مدينتي مكة والمدينة وعبر الجزيرة العربية بصحاريها وواحاتها، إيمان واحد وروح جماعية واحدة دامت عدة قرون عبر ثلاث قارات من الهند حتى إسبانيا، ومن آسيا الوسطى حتى أواسط أفريقيا، من هنا ولدت ثقافة غنية أخصبت، وحددّت بقية الثقافات الأخرى.

إن انتشار الإسلام لا يشابهه أي انتشار سبقه أو أتى بعده من غزوات كانت تحدث، أو من احتلال عسكري من الغرب، لا من قديم ولا من جديد، كالذي كان يحدث في غزوات كانت يقوم بها بدو آسيا، وكذلك من احتلال قام به الأوروبيون لغزو البلاد الضعيفة بالمدفع والبندقية والرشاش.

إن ظهور النبي محمد ﷺ وانتصاره في الجزيرة العربية والتقدم اللامع الذي حققه خلفاؤه من بعده والذي سيطر بعد وفاته بأقل من قرن على غالبية العالم المعروف ما عدا جزءاً من أوروبا التي كانت في حالة سبات، وجزءاً آخر من بلاد الصين، لا يمكن فهمه دون الاعتراف بالمكانة الأولية للرسالة الإسلامية المميزة، فانتصار الإسلام هو انتصار لا يمكن فهمه دون أن نفهم الإسلام كإيمان وكأمة قامت على أساس هذا الإيمان.

ولقد قاد نبي الإسلام الناس حسب تعاليم الله بشهادة (لا إله إلاّ الله) فالله هو أكبر من أكبر الملوك، وله وحده يتوجب الاحترام المطلق، والإجلال، وهنا يتأسس مبدأ الحق الذي يجيز التصرف لكل إنسان في مقاومة كل ظلم، وهو الأساس الإلهي للتساوي بين جميع الناس بغض النظر عن الطبقات الاجتماعية والسلطة والثروة والدم.

أما الجزء الثاني من الشهادة وهو (محمد رسول الله) فإنه يحدد الحركة النازلة لأن محمداً هو المثال الأعلى لكل حقيقة تعتبر وحياً من الله ورمزاً له.

وأما القرآن فهو أداة الاتصال بين الله والناس، وهو كلام الله المعجز يخاطب به

البشر من خلال آياته التي أنزلها على قلب نبيه محمد ﷺ، ليصبها في قلوب الناس[1].

وقد اجتمع المفكر الإسلامي محمد المبارك رحمه الله مع (روجيه جارودي) في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر فحدثه عن النظرة الإسلامية إلى الأديان:

(أ) فدين الله واحد أوحاه الله إلى الأنبياء جيلاً بعد جيل، والله الحكيم الخبير راعى في ذلك تطور البشرية.

(ب) وأن هذا الدين انتهى إلى الكمال برسالة الإسلام التي أنزلها على خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام.

(ج) وأن المسيح عليه السلام الذي يؤمن به الأوروبيون بشّر بمجيء نبي الإسلام بدليل ما ورد عنه في إنجيل يوحنا في الإصحاح السادس عشر عدد ١٢، ١٣، ١٤ في قوله: (إن لي أموراً كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية) ـ (ذاك يمجدني).

فهذا النص صريح بأن المسيح عليه السلام يشير فيه إلى نبي الإسلام، وليس كما يزعم بعض كهنة النصرانية ورهبانها بأن مقصده فيه (روح القدس) وهو جبريل لأن روح القدس خلاف روح الحق، وهو لا يخبر البشر، فالمسيح إذاً يبشر بإنسان يأتي فيما بعد يكون نبياً وله علامتان:

إحداهما: أنه يخبر بأمور آتية.

والثانية: أنه يمجد المسيح عليه السلام.

وإن ذلك لا ينطبق إلَّا على شخص واحد هو محمد عليه الصلاة والسلام، فكان جواب روجيه جارودي أنه ناول الأستاذ محمد المبارك مذكرة مكتوبة يقترح فيها إنشاء معهد في أوروبا لدراسة الإسلام الصحيح، لأن الغرب تآمر على الإسلام فشوهه وازدراه، مع أن الإسلام هو قمة جميع الأديان في سمو عقيدته وفطرتها، وقمة جميع الثقافات الكبرى في تنوعها وسلامتها[2].



(١) كتاب الإسلام دين المستقبل تأليف روجيه جارودي ترجمة عبد المجيد بارودي وذلك بتصرف.

(٢) مجلة المسلمون الدولية.

(٤)
فكر الإسلام وحضارته

الإسلام هو ذلك الفكر الذي خرج على العالم بدعوة الرسول محمد ﷺ إلى الناس كافة:

١ ــ فأوجد دولة إسلامية قوية البنيان.

٢ ــ وابتدع حضارة ما يزال الحديث عنها يجوب الآفاق.

٣ ــ وخلق إنساناً جديداً قد تكوّن من الروح والجسد هو الإنسان المسلم.

أساس حضارة الإسلام:

١ ــ ليس ناشئاً عن تمجيد العقل كما فعل الإغريق.

٢ ــ ولا تمجيد القوة وبسط النفوذ والسلطان كما كان عند الرومان.

٣ ــ ولا في الاهتمام بالقدرات الجسدية والحربية والنفوذ السياسي كما كان عند الهنود والصينيين.

٤ ــ ولا في الافتتان بالعلوم المادية والاستفادة من ماديات العصر لدرجة التقديس كما هو منهج الحضارة الحديثة المتوارثة عن اليونان والرومان.

٥ ــ بل إن أساس حضارة الإسلام أساس فكري يشمل جميع شعب الحياة الإنسانية في الفكر والعمل، في العلم والعقل، في الروح والمادة، في الشخصية الإنسانية والاجتماعية.

استقلال حضارة الإسلام عن غيرها من الحضارات:

١ ــ لما كان أساس حضارة الإسلام فكرياً، لذلك كانت حضارته مستقلة كاملة

ذات دستور شامل مجرد، يختلف اختلافاً جذرياً عن مكونات الحضارة الغربية، مثلما اختلف جذرياً مع الحضارات القديمة اليونانية والرومانية والهندية.

٢ ــ وإذا كان أساس الحضارة الإسلامية هو الفكر فإن الإسلام لا يعادي العلم الذي هو طريق الحضارة.

ولا يعادي القوة السياسية والعسكرية لأنها أداة ومظهر من مظاهر الحضارة.

٣ ــ والإسلام بهذا الشمول يضع المنهج الملائم والسليم، والمقومات الأساسية لقيام حضارة إسلامية قائمة على الفكر الذي هو جماع كل مظاهر الحضارات، حتى يكون أساسها قوياً متيناً.

٤ ــ لذلك فإن حضارة الإسلام باقية متجددة، لا يصيبها الشلل أو تعتريها الشيخوخة.

٥ ــ ولأن الفكر أساس حضارة الإسلام لذا فإن الثقافة الإسلامية هي إحدى مستلزمات تكوين هذا الفكر.



(٥)

« الـقـرآن الـكـريـم »

يصحِّح مفاهيم العقيدة النصرانية (المسيحية) الحالية
ويعيدها إلى صفائها ونقائها الأول كما كانت في نصرانية المسيح

يمكننا أن نختم هذا الباب بما ذكره القرآن الكريم تصحيحاً لمفاهيم عقيدة النصرانية الحالية وبعبارة أخرى: المسيحية الحالية كما غلب على تسميتها في زماننا المعاصر، وذلك لإعادتها صافية نقية، كما كانت في عصر المسيح عليه السلام وحوارييه، نصرانية الاثني عشر حوارياً قبل أن يعبث بها العابثون باسم التطور، خصوصاً:

١ ــ من يدعونه: القديس بولس.

٢ ــ وتلك المؤتمرات المسكونية المختلفة التي كانت تعقدها الكنائس لتغيير وتبديل العقيدة بين آن وآخر، مع أن العقيدة أمر مقدس من الله تعالى، يوحي به الله إلى أنبيائه ورسله، وهي ثابتة لا تتغير على مر الزمان والمكان وتوالي الرسل والأنبياء قال تعالى:

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[١].

وقال جلّ شأنه:

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[٢].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

كيف كان تصحيح القرآن لعقيدة المسيحية ليردها إلى النصرانية الأولى؟

يتحدث القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام باسم **الواقع التاريخي الصادق** كما يتحدث عنه باسم المنطق:

أما عن الواقع التاريخي فيقول تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[١].

ويقول جلّ شأنه:

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾[٢].

كما يقول سبحانه:

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً، أنْ دعَوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً، إنْ كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ [٣].

أما من وجهة النظر المنطقية فمنها:

قوله تعالى:

﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات، وما في الأرض إنْ عندكم من سلطان بهذا، أتقولون على الله ما لا تعلمون؟ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع في الدنيا، ثم إلينا مرجعهم، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾[٤].

فالله سبحانه غنيّ، وغنى الله غنى مطلق، وهذا الذي يسعى وراء الولد أو يتخذه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ ــ ٩٣.

(٤) سورة يونس: الآيات ٦٨ ــ ٧٠.

أو يتبناه، أو . . . أو . . . أو . . . ، إنما هو الفقير، وهو المحتاج: في العواطف، وفي الأعمال وفي التصريف.

ولكن الله هو الغني سبحانه.

لذلك فإن الله سبحانه يقول:

﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[1].

وسبحانه هنا في موضعها تعني أن الله تنزه عن ذلك وتعالى عن هذا الأمر.

فهو الله الخالق، مالك الملك إذا أراد أمراً كان ما أراد، وهو لذلك في غنى عن مساعد معه أو معين له.

وهكذا صحح الإسلام صورة الإله التي كادت المسيحية أن تطمس حقيقتها، وما زالت تحاول طمسها، ولكن هيهات هيهات فالحق أبلج، وإن أبوا إلا الضلال.

قال الله تعالى:

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون﴾[2].

تتمة الخاتمة:

نشرت مجلة التمدن الإسلامي نبأ هاماً استقته من مجلة (المصور) عن الفاتيكان من مصادر دقيقة الاطلاع مؤداه: أن بابا الفاتيكان الراحل، كان قد ألف لجنة من كبار علماء اللاهوت لوضع تقرير دقيق عن حقيقة الدين الإسلامي.

وقد أنهت اللجنة دراساتها الطويلة العميقة وخرجت بتقرير يشهد بصحة الإسلام وصدق رسوله محمد ﷺ.

وأن البابا قد عزم على إصدار بلاغ يفاجىء العالم بالاعتراف بالإسلام كدين إلهي حق، إلا أن الأجل الذي داهم البابا قد حال دون تحقيق هذا الحدث، فأصبح الأمر موكولاً إلى تصرفات البابا الجديد ومجلسه الأعلى[3].

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٥.

(٢) سورة الصف: الآية ٨.

(٣) كتاب مشكلات الجيل في ضوء الإسلام، لمحمد المجذوب.

وتعليقنا على ذلك:

إن الإسلام حق وصدق، وليس في حاجة إلى تقارير أو بلاغات أو اعترافات من جانب الفاتيكان، أو غيره، لتشهد على أنه دين إلهي وحق، بعد أن قرر القرآن الكريم ذلك، وشهد الله على صدق رسالة نبيه محمد ﷺ، وأكدت الشواهد والآيات على مر الزمان تلك الحقيقة الأزلية.

قال الله تعالى:

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1].

وقال جلّ جلاله:

﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيداً﴾[2].

وقال سبحانه:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[3].



(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٦.

(٣) سورة فصلت: الآية ٥٣.

الباب الحادي عشر

(١) مخطوطات كهف قمران تكشف أن المسيح نبـي مرسل من عند الله.

(٢) صـورة الحـكم الجنـائي الرومـاني ضـد المسيـح.

(٣) صورة ما حرر في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث.

(٤) تقرير معهد البحوث القرآنية في جامعة ميونيخ عن الرواية بين الأناجيل والقرآن الكريم.

(٥) ما يقوله مايكل هارت عن المسيح عليه السلام.

(٦) ما يقوله مايكل هارت عن بولس.

(٧) ما تقرره دائرة المعارف الأمريكية عن التوحيد والتثليث.

(٨) وفد نجران النصراني وحواره عند قدومه إلى مدينة الرسول ﷺ.

(٩) وثيقة الحوار بين خرسطوفورس جبارة وبين أحد علماء الإسلام.

(١)

مخطوطات كهف قمران تكشف
أن المسيح نبي مرسل من عند الله

مما وعد الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم أنه يوسع من دائرة العلم بين الناس، وأنه يريهم من آياته ما يؤكد الحق الذي جاء به الإسلام دين الله، ويدحض الأكاذيب والأغاليط والمفتريات التي زعمها المضللون في الأزمنة الغابرة، فحرفوا وزادوا ونقصوا في الكتب التي أنزلت على أهل الكتاب قال تعالى:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[١].

وكان من أخطر الأحداث في هذا الصدد ذلك الكشف الأثري الخطير الذي وقع سنة ١٩٤٧ على شاطىء البحر الميت في فلسطين، عندما ضلت عنزات أحد البدو فذهب يبحث عنها فاهتدى إلى أحد الكهوف، فعثر بها على بعض الجرار الحجرية الغريبة التي تشتمل على مخطوطات دينية، **أذهلت العالم النصراني بأسره**، وقد أطلق عليها: كشوف شاطىء البحر الميت أو كشوف خربة قمران، وهي تقع جنوب مدينة أريحا بثمانية أميال.

وقد عرف فيما بعد أن هذه الكتابات أو المخطوطات مما لا يقدر قيمتها بثمن، لأنها ألقت الضوء على فترة خطيرة من تاريخ النصرانية، وتاريخ المسيح نفسه، والتي كتبت قبل مولد السيد المسيح عليه السلام بالتواريخ المعروفة بسنين طويلة.

وقد أسرعت بعثات الجامعات العالمية، وكذلك الفاتيكان إلى الحصول على هذه الملفات أو أجزاء منها، وأنفقت الحكومة الأردنية خمسة عشر ألف دينار في سنة واحدة لشراء واستعادة هذه المخطوطات الأثرية القيمة.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

والذي يهمنا في هذا الموضوع أنه أجريت فحوص دقيقة على تلك المخطوطات من قبل مؤتمر للمستشرقين عقد في باريس وقد أثبتت الآتي:

١ ــ إن هذه الوثائق أو المخطوطات وثائق حقيقية لا زيف فيها ولا تلاعب.

٢ ــ ولقد وصفها الدكتور (ألبرايت) وهو واحد من أعظم علماء الآثار المتخصصين في آثار التوراة بقوله:

(إنها أعظم اكتشاف للمخطوطات في العصر الحديث، وأفضل تاريخ يمكن أن تكون كتبت فيه، هو مائة سنة قبل الميلاد بالحساب التقديري المعروف الآن).

٣ ــ ويقول الدكتور صبحي الدجاني من علماء الآثار:

(إن هذه الملفات أو المخطوطات كتبت بأيدي كتبة في دير الأسينيين الذي ما زالت خرائبه وأطلاله وبقاياه بادية للعيان إلى يومنا هذا، على مقربة من الكهف الذي اكتشفت فيه أول مجموعة من هذه الملفات).

٤ ــ هؤلاء الأسينيون كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة، وكانت طقوسهم وتعاليمهم وثيقة الصلة بتعاليم الدين المسيحي، وقد أودعوا جميع ما عندهم من ملفات في الكهوف، عندما فرّوا ليأمنوا شر الاضطهاد الروماني الذي كان واقعاً عليهم في ذلك الحين.

٥ ــ ويرجح العلماء أن المسيح عليه السلام قد يكون واحداً من هؤلاء الأسينيين، وأنه كان متأثراً إلى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم وهذه العقائد هي:

أولاً: عقائد تؤمن بخلود الروح.

الثاني: بل إن نصوصهم تتحدث عن واحد منهم يعلو كثيراً ويسمونه (السيد الكبير) المدهون بالزيت أو المسيح الذي اختاره الله.

ثالثاً: كما تتحدث تلك الوثائق أن هؤلاء الأسينيين كانوا يقيمون في الدير على مقربة من البحر الميت، وأنهم كانوا يشعرون بتسام روحيّ له شكر موجه إلى الله تبارك وتعالى الواحد الأحد.

رابعاً: ومما يثير العجب أن هذه الوثائق تتحدث عن حياة هذا (السيد الأكبر) بما

يشبه حياة السيد المسيح، وقد استقرت في الأذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم كان ينزل عليه وحي الله.

خامساً: ويقول المستر ج. ل. تيتشر أحد أساتذة جامعة كمبردج: إن أحد المراجع الأساسية في ملفات البحر الميت يفيد أن معلم البر والتقوى الذي يتحدث عنه الأسينيون هو نفسه يسوع المسيح ولا أحد غيره.

سادساً: ويقول المستر جون كلارك وهو صاحب بحث ضاف عن الوثائق: إنه مما يترجح معه القول أن يكون المسيح قد عاش قبل مائة سنة قبل التاريخ الذي أجمع الناس عليه حتى الآن، وأن في ذلك جواباً مقنعاً للذين طالما أعربوا عن شكوكهم في الأدلة التاريخية الواردة عن مولد السيد المسيح لأنها قليلة ومليئة بالمتناقضات.

سابعاً: ويقول الأستاذ إبراهيم مطر وهو من المتخصصين في علوم اللاهوت، وأحد واضعي قاموس الكتاب المقدس:

(إن هذه المكتشفات قد اقتضت دراسة استمرت سنوات طويلة ولا تزال، ويعتقد العلماء أنه نزحت جماعة من الناس المحبة للعُزلة إلى تلك التلال الواقعة بجوار البحر الميت فراراً من حياة المدن الصاخبة، وسكنت في ذلك الغار المقفر عند طرف الصحراء الموحشة، فالتجأت إلى نظام رهباني شديد وحياة مشتركة شاملة..

ولقد هزَّت المكتشفات المذكورة الأوساط المسيحية، والغربية، ورجال الآثار، حيث وجدت أدراج وأطمار ومخطوطات متنوعة، وقطع من النقود الوفيرة، والأواني المطبخية والجرار الفخارية، كما عثر على مختلف أسفار العهد القديم ما عدا سفر أستير، فضلاً عن بضعة آلاف من المخطوطات المنوعة ذات القيمة التاريخية والأثر العظيم).

ثامناً: ويقول الباحثون: إن الرومان ربما هاجموا تلك الجماعة حوالي سنة ٦٨ أو سنة ٧٠ قبل الميلاد (بالتاريخ المعتمد الآن) وقضوا عليها، وذلك عندما انقضَّت جيوشهم على مدينة أريحا، بقصد إخماد فتنة اليهود التي اضطرمت إذ ذاك، ويبدو أن تلك الجماعة التي سكنت فوق تلال قمران قد أخفت كتبها الدينية المقدسة بسرعة في المغاور أملاً في أن تعود إليها بعدما تستقر الأحوال، غير أنه لم يتح لأحد منهم العودة لاستعادة ما أخفوه من مخطوطات.

الحقائق التي يمكن استخلاصها من تلك الوثائق المكتشَفة:

أولاً: قدمت حقائق جديدة تؤيد ما ذكره القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام بأنه نبي رسول إلى نبي إسرائيل.

ثانياً: أدّى اكتشاف تلك الوثائق إلى تجدد الدعوة في بلاد الغرب إلى النظر في نصوص العهد القديم، التي لا تتفق مع الحقائق، والتي تبينت من هذه المكتشفات، بل إن ما وصلت إليه بعثة الآثار الدولية في منطقة مناجم الملك سليمان بصحراء النقب من اكتشافات تشير إلى أن المصريين عاشوا في هذه المنطقة منذ ٣٢٧١ سنة، وبناء على هذا صرح البروفيسور (بينورو تنبرج) أحد علماء الآثار بأن هذا الكشف يتطلب إعادة النظر في العهد القديم من الكتاب المقدس.

النتيجة:

كان من نتيجة اكتشافات تلك الوثائق، وما ماثلها أن قام القس المسيحي بايك (Baik) الذي نشرت صورته مجلة تايم الأمريكية على غلافها في ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٦ بإجراء بحث طويل نشرته تلك المجلة تحت عنوان: « انقلاب أو ثورة أجراها القس المسيحي بايك (Baik) »، وقد أعلن ذلك القس في بحثه عن المسيح: أن المسيح نبي فقط، وليس إلّهاً ولا ابناً للإلّه.

ذلك أن القس المذكور اعتمد في بحثه على الوثائق التي ظهرت في مغارة قمران بدليل أنه قصد بعد ذلك إلى هذه المنطقة فأقام بها فترة من الزمن منقباً وباحثاً حتى قضى نحبه.

وقد ألّفت زوجته كتاباً عن تجربته وفيما وصل إليه زوجها من نتائج[١].

(١) كتاب صفحات مضيئة من تراث الإسلام تأليف الأستاذ أنور الجندي.

العقاد ومكتشفات مخطوطات كهف قمران:

مما يؤسف له أن الكاتب الكبير المرحوم عباس محمود العقاد، قد تكلم في بعض كتبه عن مخطوطات كهف قمران، ولم يذكر شيئاً البتة عما تضمنته من وقائع صريحة في العقيدة النصرانية عن المسيح عليه السلام، وأنه ليس إلّهاً ولا ابناً للإلّه مثل ما ذكره القس النصراني بايك (Baik)[1].



(١) كتاب حياة المسيح للمرحوم عباس محمود العقاد.

(٢)

صورة الحكم الجنائي الروماني
ضد المسيح عليه السلام

مما عثرت عليه لجنة الاكتشافات الفنية الملحقة بالجيش الفرنسي في بعثة نابليون سنة ١٨٢٠ ميلادية صورة الحكم الجنائي الذي أصدرته المحكمة الرومانية على المسيح (عليه السلام)، محفوراً على صفحة من البرونز ضمن وعاء من الرخام الأبيض في مذبح دير الكابوشيين من ضواحي مدينة القدس.

وهو مكتوب باللغة العبرية، ومحفوظ حتى الآن بالدير نفسه.

وترجمة هذا الحكم، أو قرار تلك المحكمة الرومانية، كما نشرته مجلة الإيمان (المسيحية) الدمشقية، عدد نيسان سنة ١٩٥٧ منقولاً عن مجلة فرنسية هو: (بيلاطس البنطر حاكم الجليل الأدنى، المتسنم رئاسة مجلس الشيوخ، يحكم على يسوع[١] الناصري بالموت على الصليب بين لصين للأسباب الآتية:

١ ــ أن يسوع مضلل.

٢ ــ أنه ضال.

٣ ــ أنه عدو للشريعة (القانون).

٤ ــ أنه يدعي نبوة الله بُطْلاً.

٥ ــ أنه يدعي ملك إسرائيل بُطْلاً.

٦ ــ أنه دخل الهيكل والجموع تتبعه بسعف النخل.

وبناء عليه فإن بيلاطس يأمر كرينوس كيرنيليوس قائد المائة أن يقود المجرم إلى

---

(١) يسوع هو اسم المسيح عيسى عليه السلام باللغة العبرانية لغة الإسرائيليين الذين بعث إليهم.

مكان العقاب، ويحظر على أي شخص أن يسترحم السلطة بشأن هذا العقاب.

التعليق:

والباحث يرى بلا شك أن في هذا الحكم أو القرار كل ما استطاعت المحكمة أن تجمعه من الأسباب المسوغة لحكم الموت، وهي لا تعدو من **الناحية السياسية** اتهامه بالخروج على قومه من اليهود وادعاء ملك إسرائيل.

أما من الناحية الدينية: فإنها تسجل ادعاء المسيح النبوة... وهذا أشد مؤيدات الحكم حتماً.

وهنا لا بد من القول بأن ادعاء الألوهية لو صحّ ذلك لكان أحق باهتمام بيلاطس، فلو أن المسيح نسب ذلك لنفسه، أو رماه به خصومه اليهود لما أغفل قرار المحكمة أو حكم المحكمة ذكره.

وبذلك يثبت بما لا يقبل الجدل:

١ ـ أن وصف المسيح بالألوهية لم يعرف في زمانه قط.

٢ ـ كما لم يثبت أنه شاع قبل ظهور الأناجيل الذي تأخر إلى مطلع القرن الثالث بعد ميلاد المسيح، وعلى هذا فلن يبقى في العقل مجال للزعم بأن المسيح إله أو أنه أقنوم إلهي أو أنه أحد الأقانيم الثلاثة كما يزعم النصارى.

كما لا محل للقول بأن له طبيعة إلهية تشترك مع الطبيعة الناسوتية فيه، بل الصواب كل الصواب الوقوف أمام ما ذكره المسيح عن نفسه وهو قوله:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)[1].

فهذه مناجاة حارة يرفعها المسيح عليه السلام إلى ربه في أدب يليق برسول كريم يقدر جلال الله، وهي إلى ذلك تعبير صريح واضح لا يكُدّ ذهناً ولا يكلف جهداً، إنه اعتراف من المسيح بأن كل ما يملك من قوة إنما هي من عند الله وأن خلاصة رسالته إلى الناس هي تعريفهم:

---

(١) إنجيل يوحنا في العهد الجديد، الإصحاح ١٧، عدد ٣.

١ ــ أن الألوهية الحقيقية خاصة بالله وحده.

٢ ــ وأن المسيح ليس إلا رسولاً بعثه الله لتقرير أو لتحديد هذه الحقيقة الأبدية.

كما ذكر أن استيعاب هذه الحقيقة هو جواز المرور إلى ضمان الحياة الأبدية.

ولعلّ أحدهم يقول:

إنه مع التسليم بأن مضمون حكم البيلاطس ينفي نسبة التأليه إلى المسيح لكنه يثبت واقعة صلبه بين لصين كالشأن في رواية الأناجيل نفسها.

ولكن الرد على ذلك جدّ يسير، لأن الذي يهم الباحث عن الحقيقة من هذا القرار بالدرجة الأولى، إنما هو شخصية المسيح على لسان أعدائه الأولين ليراها أتباعه المؤلهين له حالياً.

أما موضوع الصلب فأمر دون ذلك لأنه لا يعدو أن يكون ضرباً من العدوان والإيذاء على أنبياء الله ورسله، تعرض لمثله كثير منهم قبل المسيح، وكل ما تضمنته الوثيقة من هذه الناحية هو أنه صدر عليه حكم الموت على الشكل الموصوف.

ولكن الحكم شيء والتنفيذ شيء آخر، والوثيقة نص قضائي يثبت صدور الحكم، وليست قراراً تنفيذياً يصور تنفيذ الحكم[١].

ونحن المسلمين:

مقتنعون أتم الاقتناع بأن الحكم لم ينته إلى التنفيذ، وذلك اعتماداً على شهادة الله الموحىٰ بها من فوق سبع سماوات بأن أعداءه ما قتلوه وما صلبوه، بل رفعه الله إليه، ففي قرآنه الكريم يقول الله تعالى:

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾[٢].

حفظ السيد المسيح من الصلب والقتل من واقع كتب أهل الكتاب:

عقدنا في أحد مؤلفاتنا بحثاً متكاملاً عن حفظ السيد المسيح عليه السلام دون

---

(١) كتاب مشكلات الجيل في ضوء الإسلام، تأليف الأستاذ محمد المجذوب.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

الإضرار به، أو إصابته بأي أذى، أو صلبه، وذلـك من واقع نبـوات الأنبياء السـابقين عليه والمثبتة في العهد القديم (وهو التوراة)، وكذلك من واقع نصوص الأناجيل المتداولـة بين أيدي النصارى في زماننا المعاصر، ويمكن لمن شاء الاستزادة في هذا الموضوع الرجـوع إليه[١].

***

(١) كتاب محمد نبـي الإسـلام في التوراة والإنجيـل والقرآن، للمؤلف البـاب الخامس ــ منـاقشة بعض المفاهيم في الديانة المسيحية واليهودية.

(٣)

ما حرِّر في قاموس الكتاب المقدس عـن التـثـلـيـث[١]

نص ما يذكره عن التثليث[٢] :

(في قاموس الكتاب المقدس: اعترف كبار علماء اللاهوت أن كلمة التثليث لم تـرد في الكتـاب المقدس، ويـظن أن أول من صاغهـا واخترعهـا واستعملها هـو ترتليـان، في القـرن الثاني للميـلاد، وقد خـالفـه كثيـرون، ولكن مجمـع نيقيـة أقـر التثليث سنـة ٣٢٥ ميلادية.

ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنيسـة المسيحية على يـد أوغسطنيـوس في القرن الخامس الميلادي).

انتهى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس.

التـعـلـيـق:

ومن هنا يتضح الآتي:

١ ــ إن التثليث في ملة النصرانية (وهي المسمـاة بالمسيحيـة في زماننـا المعاصـر) ابتدع بعد قرنين من ميلاد المسيح عليه السلام.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. هيئة التحرير: الدكتور بطرس عبد الملك، أستاذ الدراسات الشرقية بالجـامعة الأمـريكية بـالقاهـرة؛ الدكتـور جون الكسندر طمسن، الأستاذ إبراهيم مطر. قـدَّم له: الـدكتور فيليب حتّي؛ الأستـاذ الشرقي في جـامعة برنسون.

(٢) يراجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

٢ ـ ثم أقره مجمع نيقية المسكوني بعد ثلاثة قرون وربع القرن من الميلاد المسيحي عقيدة لدى طوائف النصرانية.

٣ ـ ثم استقر عند الكنيسة المسيحية على يد أوغسطنيوس في القرن الخامس الميلادي.

٤ ـ ولما نشب الخلاف بين الكنيسة الكاثوليكية وطوائف البروتستانت عند ظهورها اتفقوا جميعاً على حد أدنى لا يرقى إليه الخلاف ألا هو توافقهم فيما بينهم على عقيدة التثليث.



(٤)

تقرير معهد البحوث القرآنية

في جامعة ميونيخ، عن الرواية بين الأناجيل المختلفة وبين القرآن الكريم

حدث في القرن الماضي أن جمع بعض كبار قُسُس ألمانيا جميع **مخطوطات الأناجيل** التي باليونانية (وهي الأصل عندهم كالعربية للقرآن الكريم) من العالم كله، وقارنوها سطراً سطراً، وحرفاً حرفاً، فوجدوا بينها من الاختلافات حوالي (٢٠٠ ألف) مائتي ألف اختلاف في الرواية.

فأرادوا تطبيق ما فعلوه بالنسبة للقرآن الكريم:

فأسسوا معهد البحوث القرآنية في جامعة ميونيخ، وصاروا **يجمعون نسخ القرآن** الكريم من جميع أنحاء العالم، ولمدة ثلاثة أجيال متوالية.

وفي سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ قرر مدير ذلك المعهد وهو الأستاذ (بريستل) علناً في جامعة السوربون بفرنسا ـ عند زيارته لها لتصوير مخطوطات القرآن حيث كان في المكتبة الأهلية في باريس نسخة من القرآن ترجع إلى القرن الثاني للهجرة ـ فقال:

(لقد جمعنا حتى هذا الوقت اثنين وأربعين ألفاً من مخطوطات القرآن كاملة وجزئية، وعملُ المقارنة جارٍ).

تقرير المعهد المؤقت:

وقبيل الحرب العالمية الثانية نشر المعهد المذكور تقريراً مؤقتاً ورد فيه الآتي:

(لم نجد إلى الآن أي اختلاف في الرواية سوى بعض أخطاء الكتابة، والفرق بينها أن الاختلاف يوجد في عدة نسخ، بينما سهو الكاتب يتعلق بنسخة واحدة).

ومن المؤسف أن ذلك المعهد وقعت عليه خلال الحرب العالمية الثانية قنبلة من طائرة أمريكية فلم يَبْقَ له عين ولا أثر، إذ دمرت المكتبة، وقتل العمال، وبادَ كل شيء في المعهد المذكور، إلَّا أن أصول المخطوطات موجودة وفي الإمكان جمعها من جديد والوصول إلى نفس النتيجة السابقة[1].



(١) مجلة الأمة القطرية، العدد الحادي والعشرون، السنة الثانية، رمضان سنة ١٤٠٢ ـ يوليو سنة ١٩٨٢م، بحث التاريخ المقارن للقرآن الكريم والصحف السماوية الأخرى للدكتور محمد حميد الله.

(٥)

ما يقوله مايكل هارت
عـن المسيـح عليـه السـلام

يقول مايكل هارت في كتابه (الخالدون مائة) عن المسيح عليه السلام[١]:

أثـر المسيح عليـه السلام على البشـرية قـوي ضخم، ولا أحد ينـاقش في أن يكون وضعـه عند قمـة القائمـة، والسؤال كيف أن المسيح وهـو صـاحب أكثـر الأديـان أثـراً في الإنسانية لم يكن أول هذه القائمة؟

إن الديانة المسيحية تختلف عن الإسلام.

فـالمسيحية لم يؤسسهـا شخص واحد، وإنمـا أقامهـا اثنان: المسيـح عليه السـلام والقديس بولس، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشـائها هـذان الرجـلان، فالمسيـح عليه السلام قد أرسى المبادىء الأخلاقيـة للمسيحية، وكـذلك نـظراتها الـروحية وكـل ما يتعلق بالسلوك الإنساني.

أما مبادىء اللاهوت فهي من صنع القديس بولس.

فالمسيح هـو صاحب الـرسالـة الروحيـة، **ولكن القديس بـولس أضاف إليهـا عبادة المسيـح، كما أن القـديس بولس هـو الذي ألَّف جـانباً كبيـراً من العهد الجـديـد، وكـان المبشر الأول للمسيحية** في القرن الأول للميلاد.

وقد توفي المسيح عليه السلام وهو ما يزال شاباً على خلاف محمد ﷺ وبوذا.

---

(١) في هذا الكتاب يعتبر المؤلف أعظم هؤلاء المائة محمد رسول الله ﷺ.

وترك المسيح وراءه عدداً من الحواريين، وبعد وفاته ألف أتباعه طائفة يهودية صغيرة.

ولكن القديس بولس هو الذي جعل هذه الفئة الصغيرة هيئة كبيرة نشطة شملت اليهود وغير اليهود، حتى أصبحت المسيحية واحدة من الديانات الكبرى.

ولهذه الأسباب، فإن عدداً من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة المسيحية هو القديس بولس، وليس السيد المسيح، وهذا يؤدي إلى أن يوضع بولس قبل المسيح في هذه القائمة، وليس واضحاً ما كان سيؤول إليه أمر المسيحية لولا بولس هذا.

وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسؤولاً عن الذي أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه.

فالحروب بين المسيحيين، وذبح المسيحيين لليهود، تناقض تماماً كل الذي دعا إليه المسيح، ويستحيل أن يقال إن المسيح هو الذي أوصى بهذا كله.

وإذا كانت العلوم قد تطورت في العالم الغربي المسيحي فليس من المنطق أن يقال: إن المسيحية هي المسؤولة عن نهضة العلوم في العشرين قرناً الماضية، فلم نجد في شروح رجال الدين المسيحي من يقول أن المسيحية تدعو إلى التأمل في الكون أو الدعوة إلى التفكير العلمي.

ومن المؤكد أن تحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية قد صاحبه في نفس الوقت انحطاط رهيب المستوى للتكنولوجيا والاهتمام بالعلم.

أما نهضة العلوم في أوروبا فترجع في الحقيقة إلى أن هناك شيئاً ما في الحضارة الأوروبية، والتراث الفكري، يناسب الأسلوب العلمي في التفكير، وهذا الشيء ليس من تعاليم المسيح، وإنما هو التفكير العقلي الإغريقي ممثلاً في مؤلفات الفيلسوف أرسطو وهندسة إقليدس، تلك الفترة التي عاودت فيها أوروبا تقديم كل ما سبق الديانة المسيحية من تراث إنساني.

أما قصة حياة المسيح فهي معروفة كما وردت في العهد الجديد، لكن مما تجدر الإشارة إليه أن أكثر المعلومات عن حياة المسيح ليست مؤكدة.

فنحن لسنا على يقين من اسمه الحقيقي، وأغلب الظن أنه يحمل الاسم اليهودي المعروف (يشوع)، وسنة ميلاده ليست مؤكدة، وإن كان يقال أنه قد ولد قبل السنة التي أجمع عليها رجاله بست سنوات، وحتى سنة وفاته التي أجمع عليها حواريّوه ليست معروفة ولا مؤكدة، كما أن المسيح لم يترك وراءه ورقة واحدة مكتوبة، وكل ما لدينا من معلومات عن حياته إنما هو مستمد من العهد الجديد.

ومما يؤسف له حقاً أن الأناجيل يناقض بعضها البعض، فمثلاً نجد أن أناجيل متى ولوقا يتناقضان في إيراد الكلمات الأخيرة للمسيح، وإن كانت هذه الكلمات مأخوذة حرفياً من التوراة ــ أي العهد القديم.

وليس من قبيل المصادفة أن يكون للمسيح كلمات مقتبسة من التوراة، فمؤسس المسيحية يهودي، ويهودي مخلص، وقد أشير كثيراً إلى أن المسيح كان يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهود الذين جاءوا في التوراة، كما أنه قد تأثر بهم أعمق الأثر، ويسوع كالأنبياء كان عميق الأثر في الناس حوله، وكان في غاية الشجاعة بكل معاني وأعماق هذه الكلمة.

وهو على خلاف محمد ﷺ لم يمارس السياسة، ولا السلطة الدينية، فلم يكن ليسوع أي دور سياسي في حياته، ولا كان للمسيح أثر سياسي في المسيحية.

ولكن الحقيقة أنها لم تلقَ رواجاً واسعاً بين الناس، ولا حتى هي مقبولة عند الناس، فأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لأن نحب أعداءنا إسراف في المثالية لا يمكن تطبيقه إلَّا في عالم خيالي، ونحن عادة لا نطبِّق هذا المبدأ، ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك، ولا حتى ننصح أطفالنا بأن يمشوا على هداه، وكذلك تعاليم المسيح ظلت محيرة، كما أنها نصائح لم يحاول تطبيقها كثيرون.



(٦)

ما يقوله مايكل هارت عن بولس

يقول مايكل هارت في كتابه (الخالدون مائة) عن القديس بولس:

كان بولس هذا معاصراً للمسيح عليه السلام (وإن لم يره ولم يصحبه) والعجيب أنه صار من أكبر المبشرين بالمسيحية، وكان أثره في الديانة المسيحية هائلاً: أهم وأعظم من كل كتابها ومفكريها.

وبولس هذا يسمونه شاؤول أيضاً، ولد في مدينة طرسوس بتركيا القديمة، وعلى الرغم من أنه روماني الجنسية، فإنه يهودي الديانة، وقد درس اللغة العبرية في شبابه، وتلقى علومه في القدس، وكان يتاجر في الخيام.

وعندما ذهب إلى القدس تتلمذ على الحاخام اليهودي الشهير جماليل، وعلى الرغم من أن بولس قد زار القدس في زمن المسيح عليه السلام، فإنه لم يلتق به.

وبعد وفاة المسيح كان أتباعه يلقون التعذيب الشديد بتهمة الكفر من اليهود، وقد ساهم بولس بنفسه في اتهام أتباع المسيح بالزندقة.

ولكن في رحلة لبولس إلى دمشق رأى المسيح في نومه، وبعدها تحول إلى المسيحية، وكان نقطة تحول في حياته وفي تاريخ المسيحية نفسها، فالرجل الذي كان عدواً للمسيحية أصبح من أئمة دعاتها وأعظم أعمدتها.

ومن ذلك الحين أمضى بولس حياته كلها يكتب عن المسيحية، ويدعو لها، فدخلها كثيرون، وقد سافر كثيراً يدعو ويبشر ويقنع الناس بالإيمان بها، فسافر إلى تركيا القديمة وبلاد الإغريق، وسوريا وفلسطين.

ومع اليهود لم يكن بولس واعظاً موفقاً وكثيراً ما تعرضت حياته للخطر معهم، ولكنه

بين غير اليهود نجح في التبشير بالمسيحية، حتى وصفوه بأنه داعية الأميين ـ أي غير اليهود ـ ، ولم يستطع أحد أن يقوم بمثل هذا الدور من قبله أو من بعده.

وترجع أهمية بولس إلى الآتي:

١ ـ تبشيره بالديانة المسيحية.

٢ ـ وإلى ما كتبه عنها.

٣ ـ وإلى تطويره لأصول الشريعة المسيحية.

فمن بين السبعة والعشرين سفراً من كتاب العهد الجديد نجد أن القديس بولس قد ألف أربعة عشر سفراً.

ومن أهم أفكاره:

١ ـ أن يسوع المسيح لم يكن فقط نبياً بشراً بل كان إلّهاً.

٢ ـ وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر.

٣ ـ وأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط، وإنما بالإيمان بيسوع، وإذا آمن بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه.

٤ ـ وبولس هذا هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى.

٥ ـ وبولس هو الذي أعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة، ولا التمسك بتعاليم موسى عليه السلام لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافياً لخلاص الإنسان، وإنما الإيمان الحق هو الذي يحقق للإنسان خلاص روحه وجسده.

والقديس بولس:

١ ـ إنما يردد أفكاراً شائعة في زمانه، ولكن المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس.

٢ ـ وبولس هذا هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى.

٣ ـ وهو المسؤول عن تأليه المسيح.

٤ ـ بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح.

*
**

(٧)
ما تقرره دائرة المعارف الأمريكية عن التوحيد والتثليث

تقول دائرة المعارف الأمريكية:

لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين.

فلقد اشتقت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد، إن الطريق الذي سار من أورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) إلى نيقية (حيث عقد المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م) لمحاولة الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة بدلاً من تلك العقائد المتضاربة، من النادر القول بأنه كان طريقاً مستقيماً.

إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص، إذ على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد التثليث، كما أن انتصارها لم يكن كاملاً.

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة، لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد، بدلاً من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث. إن أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث، ونجد ترتليان سنة ٢٠٠م الذي كان أول من أدخل تعبير التثليث في التفكير المسيحي مسؤولاً عن ضياع الفقرة التي تقول: **(إن في أيامه كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنساناً).**

إن هذا الاعتقاد الشائع هو الذي كان (آريوس) يحاول إنقاذه أو على الأقل إنقاذ

جزء منه في مجمع نيقية، إن المسيح هو (الكلمة) كلمة الله، وبناء عليه فإنه لا يشـارك الله وجوده الحقيقي، إنه من جوهر مختلف عن جوهر الله الآب، إنه ليس أزلياً مـع الآب، إنه مخلوق رغم أنه أول المخلوقات وأرقاها، لقد كان هناك زمن لم يكن الابن موجوداً فيه.

إنه ليس كاملاً لكنه مملوء الرغبة تجاه الكمال.

إن الآريوسية ليست تثليثاً، فالمسيح أقل من الآب، وهي ليست توحيداً لأن المسيح ليس مجرد إنسان، إنها وضع متوسط بين هذا وذاك.

وفي حقيقـة الواقـع التاريخي نجـد أنه بمـرور الزمن صـارت الشقة بين الآريـوسيـة والتثليث أكثـر اتساعـاً، بينما قـلّ الفرق بينهـا وبين التوحيـد حتى صارا في النهـايـة شيئـاً واحداً.

(انتهى كلام دائرة المعارف الأمريكية).

تشويه آراء آريوس:

ممـا يؤسف له أن الآريـوسية قـد عرفت أسـاساً في تـاريـخ الفـرق النصـرانيـة (أي المسيحية) عن طريق أعدائها الذين حاربوها بعنف باعتبارها هرطقة وبدعـة دينية، ومن ثم تعرضت لمحاولات التشويه في آرائها:

فمثلاً تقول الآريوسية: (إن المسيح أرقى المخلوقات، به خلق كل شيء، له علاقة خاصة بالله، إنه مخلوق رباني).

ويقول أعداؤها عنها: (إن آريوس وأتباعه هم قتلة لاهوت المسيح).

ولما كانت الآريوسية تؤمن بالله الواحـد الأحد، وتؤمن بـالمسيح مخلوقـاً مجرداً من الـلاهوت، فـإن هذا يكفي لاعتبـارها من جملة الفـرق النصرانيـة الموحـدة، رغم ما علق بتوحيدها من مآخذ وأخطاء.



(٨)

وفد نجران النصراني
وحواره عند قدومه إلى مدينة الرسول ﷺ

أوردت كتب السيرة النبوية أن وفداً من نجران قدموا إلى مدينة رسول الله ﷺ، وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر، إليهم يؤول أمرهم:

فالعاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم، الذي لا يصدرون إلاَّ عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

والسيد إمامهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم.

وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم، وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكانوا قد شرَّفوه وموَّلوه وبَنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده.

قدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات: جبات وأردية، في جمال رجال الحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فصلوا إلى الشرق.

فكلم السيد والعاقبُ رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك قال: كذبتما، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير.

قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهم النبي ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلاَّ ويشبه أباه؟ قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت؟ وأن عيسى أتى عليه الفناء؟ قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا.

قال: فإن ربنا صوَّر عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب، ولا يحدث. قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة؟ ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها؟ ثم غذي كما يغذى الصبي؟ ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا، فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها.

قال المفسرون: إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد، قال: أجل إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول.

فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله فأنزل الله عز وجل هذه الآية:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.

وفي رواية أخرى عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما دعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا قبلك. قال: كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام، فقالا: هات أنبئنا، قال: حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعنة فوعداه على أن يغادياه بالغداة، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا، فأقرا له بالخراج، فقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي ناراً»[1].

أي لمطر الوادي ناراً عليهم.

***

---

(١) كتاب أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

(٩)
حوار بين خرسطوفورس جبارة وبيـن أحـد علـمـاء الإسـلام

كان الإرشمندريت خرسطوفورس جبارة يحاول التوفيق بين عقيدته النصرانية وبين الإسلام، وأعلن ذلك في جريدته التي دعاها شهادة الحق، والتي جعل مبدأها توحيد الأديان، والتوفيق بينها بطريقة مبتدعة غريبة.

وفي سبيل تحقيق أهدافه زار العلامة الحكيم الشيخ حسن الطويل رحمه الله، وطلب إليه أن يساعده في مسعاه.

فقال له الشيخ حسن الطويل:

أنا أعرف أنه يوجد دين اسمه الإسلام وله كتاب معلوم، ولا أعرف ديناً اسمه النصرانية، فهل لهذا الدين كتاب معلوم ككتاب الإسلام؟

فقال له خرسطوفورس جبارة: نعم له كتب هي الأناجيل الأربعة.

فقال الشيخ حسن الطويل:

هل أنزلت هذه الكتب على صاحب الشريعة النصرانية كما أنزل القرآن على صاحب الشريعة الإسلامية؟

فقال خرسطوفورس: لا، هذه كتب كتبها تلاميذه من بعده ضمنوها سيرته وأقواله.

فقال الشيخ الطويل:

سمِّ لي بعضها، قال جبارة: إنجيل متى.

قال الشيخ الطويل:

بأي لغة كتب متى إنجيله، قال جبارة: بالعبرية.

قال الشيخ الطويل:

هـل توجـد النسخة العبـرية التي كتبهـا متى أو صورة منهـا؟ قال جبـارة: لا ولكنهـا ترجمت إلى اليونانية.

قال الشيخ الطويل:

ما اسم الذي ترجمها؟ قال جبارة: غير معروف.

قال الشيخ الطويل:

كيف أصدق أن هذه النسخة اليونانية تطابق الأصل العبراني الذي كتبه متى؟

ولو كانت النسخة العبرية موجودة لأمكن معرفة ذلك.

أو لو كان المترجم معروفاً لتيسر معرفة مبلغ الثقة به.

فأما والنسخ العبرية غير موجودة، والمترجم غير معروف، فلا أسلم بصحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى.

فبهت خرسطوفورس جبارة وقطع الحديث[١].

تـمَّ الكـتاب

والحمد لله في الأولى والآخرة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) كتاب صفحات مضيئة من تراث الإسلام تأليف الأستاذ أنور الجندي.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

• • •